الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الجزائر2- أبو القاسم سعد الله
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم التاريخ

تطبيق المقاربة البيوغرافية لدراسة العصور القديمة في بلاد المغرب.
ماسينيسا، يوبا الثاني أنموذجا.

مذكرة لنيل درجة الماجستير في التاريخ القديم

إعـــداد الطالب:
محمد حشلاف

تحت إشراف:
أ.د. ويزة آيت عمـارة

لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الصفـــــة
د. مقدم بنت النبي	رئيســـــــا
أ.د ويزة آيت عمـارة	مشرفا ومقررا
د. بومريش ليلى	عضوا مناقشـــا
د.رمضاني أم هاني	عضوا مناقشـــا

السنة الجامعية 2015-2016

الإهـداء

إلى كل من علمني حرفا

إلى روح أبي. و أمي

إلى كل من ساهم في إنجاز هذا العمل و إخراجه إلى النور بالكلمة الطيبة، بالنصيحة أو بالتوجيه.

أهدي هذا العمل المتواضع:

إلى من أخذ بيدي أثناء إعداد هذا البحث الأستاذة المشرفة في المقام الأول أ.د. ويزة أيت عمارة.

إلى كل أفراد أسرتي و أهلي جزاء تحفيزهم لي خلال مشوار إنجاز هذا العمل حتى أثمر و أينع.

إلى كل من أفادنا بكتاب أو معلومة، و أخص بالذكر صديقي أوحاشي الطاهر الذي تعلمت منه الكثير، فكان خير معين.

المختصرات

A.C : Antiquité Classique.

Ant.Afr : Antiquité Africaine.

B.C.T.H.S : Bulletin Archéologique du comité des travaux historique et scientifique.

B.S.G : Bulletin de la société de géographie.

C.B.O : Catalogue de la bibliothèque de l'Orient.

E.B : Encyclopédie Berbère.

H.A.A.N : Histoire Ancienne de l'Afrique du Nord.

H.E.S : Histoire économique et sociale.

J.S.A : journal de la société des Africanistes.

R.E.Ang : Revue des études Augustiniennes.

R.H : Revue Historique.

R.A : Revue Archéologique.

مقدمة

تتجه فكرة التاريخ القديم في الضمير الجماعي للناس، على أنه حقبة تاريخية متجاوزة و عديمة النفع، و لا ترجى أي فائدة من دراسته أو تعلمه و البحث في قضاياه، و وفق هذا المنظور فالتاريخ الجدير بالدراسة هو التاريخ الحالي أي المعاصر غير أن النظرة مختلفة لدى الأمم المتقدمة بحيث نجد معاهد التاريخ القديم و علوم الآثار و التراث منتشرة في كل مكان، لأن القناعة النابعة عند تلك الشعوب أن لا وجود للتاريخ المعاصر بدون تاريخ قديم و أن التاريخ القديم يشغل فترة طويلة من التاريخ العام بالإضافة أن الحضارات التي تثير الكثير من الانبهار نتيجة لانجازاتها تعود إلى فترة التاريخ القديم.

و في جنبات هذا البحث حاولنا استعراض موضوع " تطبيق المقاربة البيوغرافية لدراسة العصور القديمة في بلاد المغرب. ماسينيسا، يوبا الثاني أنموذجا"، و لا بد أن نشير على أن التطرق لأي موضوع من المواضيع له أسباب موضوعية مقبولة مثل إعجابنا و انبهارنا الكبير بالشخصيات الوطنية التي صقلت أسمائها في التاريخ القديم على غرار ماسينيسا، يوغرطة، يوبا الثاني و القديس أوغسطين.

فعبر المقاربة البيوغرافية يمكننا أن ندرس مواضيع مختلفة كالحرب، الدولة الجيش، الإدارة، الدين، الرومنة، الثقافة و الزراعة و غيرها، فاختيار أي موضوع من المواضيع التي ندرسها و نعني بذلك اختيار عينة من الشخصيات كان له علاقة وطيدة بعصر من العصور لم يكن عبثا، فكل شخصية من تلك الشخصيات هي نتاج عصر من العصور و هي عبارة عن مرآة للإنجازات الحضارية لذلك العصر.

بالإضافة إلى ذلك هنالك أسباب عاطفية، كروعة الآثار الرومانية و النوميدية التي خلفتها العصور القديمة، فمن منا لم يسمع بمدينة تيمقاد الأثرية أو بقبر الرومية يضاف إلى ذلك الهالة الكبيرة التي تحيط بصور ماسينيسا، يوغرطة و القديس أوغسطين خاصة عندما يشاهدها المرء لأول مرة، ففي عصرنا هذا، عصر السينما و الإنترنيت تتكفل الدول بإنفاق أموال ضخمة للتعريف بأبطالها و ذلك بتخليدهم عن طريق أفلام أو حصص وثائقية لقيت

رواجا كبيرا عند جمهور غير مختص، كما نعلم الكثير من الأشياء المهمة التي نصادفها في حياتنا اليومية جاءتنا من تلك العصور، و هنا نخص بالذكر الرياضيات، الألعاب الأولمبية، بعض العلوم كالتاريخ و الفلسفة، و أمام كل هذا من المنطقي أن يتساءل الإنسان ماذا ترك أسلافنا النوميديين؟ عكس أولئك الذين يحتقرون و يزدرون تلك العصور المرادفة في نظرهم للتخلف و البدايات الصعبة للبشرية في خطواتها الأولى.

الفكرة الأولية عن الموضوع تبلورت عند مطالعاتنا و قراءتنا لمقالات و كتب حول الموضوع. كتابان مرجعيان كان لهما التأثير الكبير علينا وهما للمؤرخ الفرنسي كامبس (G.Camps) "في أصول بلاد البربر ماسينيسا أو بدايات التاريخ" (Aux origines de la Berbérie. Massinissa et les débuts de l'histoire)، و للمؤرخة الفرنسية ميشال كولتولوني (M.Coltelloni) "مملكة موريطانيا تحت حكم يوبا الثاني و بطليموس (25 ق.م- 40 م.)" (Le royaume de Maurétanie sous Juba II et Ptolémée.). الملاحظة الأولى التي يستخلصها القارئ من هاذين العنوانين هو اختزال النوميديين وممالكهم في ملوكهم، من الناحية المنهجية يجب أن نشير إلى نقطة أساسية و مهمة تتمثل في كون الفترة المدروسة تظهر من الوهلة الأولى أنها طويلة جدا (202 ق.م- 23 م) حوالي قرنين، لكن لن ندرسها كلها، بل سوف نتوقف عند محطات هامة تتمثل في عهود ماسينيسا(202 ق.م- 148 ق.م)، يوبا الثاني(50ق.م- 23 م).

من الواضح أن الحدود و الرقعة الجغرافية للمنطقة التي نحن بصدد دراستها تختلف من عصر إلى آخر و نفس الشيء يقال عن تسمية البلاد. ففي عشية الحروب البونيقية تحدثت المصادر عن نوميديا شرقية و نوميديا غربية.

إن المصادر اللاتينية لخصت أخبار تلك المملكتين في سيرتي رجلين أو بالأحرى ملكين هما سيفاكس و ماسينيسا. من هنا جاءتنا فكرة دراسة الشخصيات.

بعد حرب يوغرطة تغيرت الحدود من جديد، إضافة إلى المقاطعة التي يحكمها الرومان، كانت هناك مملكتان، الأولى هي مملكة بوخوس في الغرب و مملكة هيمصال في الشرق، نجد الحدود تغيرت مجددا بعد الحرب الأهلية في روما التي تورط فيها الملوك النوميديين، بعد انهزام يوبا الأول و انتحاره ضمت روما الأراضي الماسيلية إلى مقاطعة إفريقيا الرومانية.

لتناول هذا الموضوع طرحنا الإشكالية التالية هو كيف يمكن كتابة تاريخ المنطقة عن طريق المقاربة البيوغرافية ؟ و مدى تطبيق هذا المنهج على شخصيتي ماسينيسا و يوبا الثاني؟

كان سيرج ووليكوو (Serge Wolikow) محقا عندما كتب يقول مبجلا منافع المقاربة البيوغرافية:" تكريس الكتابة التاريخية لشخصيات و أفراد هي وسيلة لنشر المعرفة التاريخية و جعلها في متناول جمهور واسع"[1].

ما يمكننا أن نقوله هو كون " المقاربة البيوغرافية " هي منهجية بحث تتمحور حول شخصيات مرتبطة بالمجتمع و بالسياسة، فإذا أخذنا مثلا شخصية ماسينيسا فالملاحظ أن النصوص القديمة الإغريقية و الرومانية تسلط عليه الأضواء على مقدار مساهمته في الأحداث الجارية في المغرب و الحروب البونيقية[2] ، رغم قلة النقوش التي تعود إلى عهده فإن شخصية ماسينيسا كانت وراء الترويج للكثير من الأساطير كقول بوليبيوس أنه مدخل الزراعة إلى شمال إفريقيا.

عبر المقاربة البيوغرافية يمكننا أن نعالج و ندرس المجتمع و السياسة انطلاقا من الفرد، كما يمكننا أيضا انطلاقا من المقاربة البيوغرافية أن نعتمد على الأدب السوسيولوجيا، الأنتروبولوجيا و علم النفس، و بالتالي يمكننا أن نتطرق إلى عصر من العصور.

---

[1] Serge, W., 1994, *Ecrire des vies, Biographie et mouvement ouvrier,* France, p.7.

[2] كامبس، ق.، 1960، *في أصول البربر ماسينيسا أو بدايات التاريخ*، تعريب و تحقيق الدكتور العربي عقون، 2010، ص.224.

إن الاهتمام و التركيز الكبير على دراسات" الأجناس" و "الأعراق" خاصة "البربر" كان على حساب "التراجم".

كل تاريخ تقريبا يحتوي في طياته على دراسة سير سواء ما تعلق بشخصيات خارقة للعادة، أبطال و ملوك، أو أفراد مغمورين، حتى وإن كانت دراسة الفرد لا يمكن تطرق إليها خارج الأطر الاجتماعية، السياسية، الثقافية و الاقتصادية، فعبر شخصية ماسينيسا من حقنا أن نتساءل عن مغزى الممالك النوميدية؟ إننا نعرف شمال إفريقيا عبر الوقائع الحربية التي ذكرتها المصادر القديمة مثل تيتوس ليفيوس بوليبيوس سالوستيوس و غيرهم.

يعتبر ماسينيسا أشهر الملوك النوميديين، إذ تميز بقدراته العسكرية بحيث تمكن من هزم خصمه النوميدي سيفاكس، كما تمكن من هزم حنبعل القرطاجي أعظم الجنرالات التاريخيين، في معركة زاما بتونس الحالية سنة 202 ق.م ، و لربما لأسباب عاطفية تكمن في تزويج القرطاجيين خطيبته : صوفونيسبة لخصمه المازيسلي سيفاكس، رافعا شعاره الشهير: إفريقيا للأفارقة، متحالفا مع روما، عاملا على تأسيس دولة نوميدية قادرة على مواجهة التحديات الخارجية، وفي عهده برزت نوميديا في ميادين عسكرية وثقافية متبعا التقاليد الإغريقية في ما يتعلق بالطقوس الملكية، ومتبنيا الثقافة وتعاطي الزراعة وشجع التجارة الشيء الذي جعله يعتبر أبرز الملوك النوميديين القدماء.

عند وفاة بوخوس الثاني سنة 33 ق.م، حكمت روما بلاد المغرب بطريقة مباشرة إلى غاية سنة 25 ق.م ، بعدها مباشرة عينت روما الملك يوبا الثاني الذي حكم البلاد إلى غاية 23 م ، و اخترنا هذا الملك لأنه مثل المقاومة الثقافية و أظهر الساكنة بصورة أليق مما مثلها الإغريق و الرومان، حتى أضحى أستاذا لأحد أكبر حكام روما يوليوس قيصر.

قد يتساءل البعض عن اختيارينا لهذين الملكين دون غيرهما، و الجواب يكمن في مسار كل واحد منهما، فكل من ماسينيسا و يوبا الثاني يختلفان عن بعضهما، فالأول أخذ

الملك بنفسه و مثل الملك المتحرر، أما الثاني فكان الملك التابع "vassal" الذي نصبته روما غير أنه تميز بسعة علمه وتبنى مقاومة ثقافية.

و للإجابة عن هذه التساؤلات وضعنا الخطة الآتية و التي تتكون من: فصل تمهيدي و فصلين. فضلنا أن نستهل هذا العمل بفصل تمهيدي تحت عنوان: "**التعريف بالبيوغرافية و تاريخها**" أظهرنا من خلاله معني المقاربة البيوغرافية كمنهاج علمي لدراسة العصور القديمة في بلاد المغرب.

أما في الفصل الأول، و المدرج تحت عنوان: "**ماسينيسا في المصادر الأدبية و الأثرية**" فقد ارتأينا أن نشير فيه إلى المصادر الأثرية كالنقوش التي أظهرت شخصية ماسينيسا، ثم المصادر الأدبية و أخذنا عينة من النصوص عن خمس مؤرخين رومان أو إغريق بداية من الأقرب إلى فترة حكم الملك إلى الأبعد، ثم حاولنا التعليق و المقارنة بينها و أنهينا الفصل بوضع ماسينيسا في محكمة التاريخ و ترجيح ما هو منطقي و استبعاد ما هو خرافي.

و في الفصل الثاني، و الذي أدرجناه تحت عنوان: "**يوبا الثاني ملك موريطانيا**"، فقد مهدنا له باستعراضنا لمملكة موريطانيا حدودها و الأقوام التي عاشت على أرضها، ثم أبرزنا موضوعه المحوري ألا و هو الملك يوبا الثاني كملك محلي لكن ملك منصب من الإمبراطور أغسطس، على مملكة مستحدثة على الأراضي النوميدية المسلوبة، إثر انهزام يوبا الأول في معركة تابسوس 46 ق.م و إقدام قيصر بضم نوميديا للممتلكات روما و الموريطانية بعد الفراغ الذي أحدثه الملك بوخوس بوفاته دون أن يعين أحدا عام33 ق.م، كما بينا الانجازات الفكرية، و زيف ادعاء بعض المؤرخين بعقم الفكر و عجزه عن الخلق و الإبداع لدى سكان شمال إفريقيا.

إن طبيعة الموضوع و حيثياته اقتضت منا اعتماد ثلاث مناهج خلال الدراسة و إنجاز هذا البحث، أولهما المنهج الوصفي و الذي تقتضيه دراسة السير، و كي تتجلى معالم هذا

العمل، استعنا ثانيا بالمنهج التحليلي لما استقرأناه من الآراء و الأفكار في جزئياته بحسب طاقتنا في فهمنا لها، و لنتوج ما حللناه بمنهج المقارنة بين الشخصيتين ماسينيسا و يوبا الثاني، سواء عبر طريقة الحكم أو الانجازات المحققة، لأنه شتان بين الملكين من الفروق الجوهرية بينهما، مشيرين في ذات الوقت، أن كلهما قد اعتمد أسلوب المقاومة حتى و إن اختلفت الوسائل لتحقيق ذلك، و استنتاج ما يمكن استنتاجه كلما اقتضى الأمر.

من هذا البحث حاولنا جاهدين أن نرجع فيه إلى أمهات المصادر، مثل بوليبيوس (Polybe) و كتابه "التاريخ" (Histoire) الذي يعدُ أفضل مصدر لدراسة شخصية ماسينيسا لأنه كان مزامنا لفترة حكمه بالرغم من الهفوات المسجلة، بالإضافة إلى الخطيب شيشرون (Cicéron) من بين كتبه المعتمدة في العمل "من الجمهورية" (De la république) رغم أن شيشرون غير مختص في ميدان التاريخ، إلا أنه نقل أحداث وقعت في زمانه، و كمثال أخير عن عينة المصادر التي استعنا بها للمؤرخ و الجغرافي سترابون (Strabon) "الجغرافيا" (Géographie) تتمثل أهمية هذا المصدر في الحقائق الجغرافية التي زودنا بها فاستعنا بمؤلفه لتحديد مناطق الحكم سواء لقبائل الماسيل الماسيسيل و قبائل المور، و قد لاحظنا في ما أوردته تلك المصادر عدم الدقة في سرد الأحداث و مجانبتها للالتزام بالموضوعية، فغالبا هؤلاء المؤلفين يتحيزون لشعوبهم في كثير من الأوقات.

دون أن نستغن عما كُتب عن هذا الموضوع حديثا من المراجع، إثراء و تنويعا لمادة البحث، بما في ذلك المقالات الدقيقة التي تمثل عصارة هذا الموضوع، و من أهم هذه المراجع المختصة للكاتب الشهير كامبس و مؤلفه "في أصول بلاد البربر ماسينيسا أو بدايات التاريخ" الذي لا يمكن استبعاده من أي دراسة لمنطقة المغرب القديم و خاصة عندما نتناول شخصية ماسينيسا، و كما لا يفوتنا أن نذكر شيخُ المؤرخين قزال و كتابه "تاريخ شمال إفريقيا القديم"، الذي هو الآخر أساسي في دراسة المنطقة من جميع الجوانب، كما لا يجب أن ننسى كتاب مهم لدراستنا في الفصل الثاني و المتعلق بشخصية يوبا الثاني و هو بعنوان

"مملكة موريطانيا في عهدي يوبا الثاني و بطليموس" (Le Royaume de Maurétanie sous Juba II et Ptolémée(25 av. J-C-40 ap. J-C)). للمؤلفة كولتوني (Michèle Coltelloni-Trannoy) فهو مرجع يكاد يكون جامع مانع للموضوع.

أما عن الأعلام و أسماء المواقع فلقد حاولنا جاهدين أن نترجم لجلَ من ورد ذكرهم في صلب البحث في أول موضع يذكر فيه ذلك بالرجوع سواء إلى كتب الأعلام أو غيرهم، أكان ذلك من القدامى أو المحدثين لأن القصد من الترجمة و التعريف بالمناطق هو إزالة الإبهام و التعريف بما ذكر.

كما زودنا هذا العمل بعدد من الخرائط و الصور التي رأينا أنها ضرورية لتدعيم الموضوع بمختلف عناصره.

و جهد المُقلّ هذا قد اعترضه بعض من الصعوبات كأي مبتدأ يخوض غمار مجال لم يعهده بعد، و من هذه الصعوبات نذكر:

1- لعل أكبر عائق اعترضنا في بداية هذا العمل هو عدم تعودنا على الولوج في مجال البحوث المتخصصة، و ذلك لقلة زادنا و ضعف استعدادنا.

2- عملية الترجمة لبعض المصادر و المراجع، لأن أغلبها كتب بالفرنسية أو هي مترجمة إلى هذه اللغة و الذي يتطلب جهدا.

و في الأخير لا ندعي بعد انجازنا لهذا البحث أننا قد وفيناه حقه، و ألممنا بجميع جوانبه إلماما تاما، و لكن حسبنا أننا لم ندخر فيه جهدا في أن أنجزناه إنجازا علميا، و لن يؤتي هذا العمل أكله إلا بعد أن يُصوب خطئهُ و تُصحح عثراته من لجنة المناقشة و التي لها أسمى معاني الاحترام و الامتنان سلفا على تفضل الأساتذة المكونين لها بتصويب محاولة من لا يري نفسه إلا طالب علم مبتدأ ما زال أمامه الطريق طويل لم و لن يستغن عن توجيهات و نصح أساتذته، ويحضرنا في هذا المقام ما قاله داود الأصفهاني من قبل "إني رأيت أني كلما عملت عملا، أقول في نفسي لو قدمت هذا لكان أحسن و لو أخرت هذا

لكان أسلم و لو زدت هذا لكان أفضل و لو أنقصت هذا لكان أكمل و لو غيرت هذا لكان أليق، و هذا دليل القصر و استيلاء النقص على جملة البشر".

فصل تمهيدي

التعريف بالبيوغرافية
و تاريخها

1- مفهوم البيوغرافية.

2- المقاربة البيوغرافية بين المؤيدين و المعارضين لها.

3- تطور الكتابات البيوغرافية:

أ- الكتابة البيوغرافية من العصور القديمة إلى القرن التاسع عشر.

ب- الكتابة البيوغرافية من أواخر القرن التاسع عشر إلى منتصف القرن العشرين.

ج- الكتابة البيوغرافية منذ منتصف القرن العشرين.

4- أساليب كتابة سيرة.

تختلف أنماط الكتابة التاريخية من باحث لآخر و من مدرسة تاريخية إلى أخرى وهذا بحسب المناهج والمقاربات وطرق البحث، و من بين هذه الأنماط نذكر المقاربة البيوغرافية (L'approche biographique) التي سوف نعتمد عليها لإنجاز مذكرتنا. لقد استعان المؤرخون بهذه المقاربة منذ العصور القديمة إذ وُظفت لإبراز مناقب الأبطال الكبار و الرجال العظام حيث سادت نظرية " الرجل العظيم " عند الإغريق و الرومان، و بقيت مستمرة فلا يزال الناس شغوفين بالاطلاع على سير الشخصيات الشهيرة .

لكي نُقنع القارئ بالحجج و البراهين التي نسوغها لتبرير استعانتنا بهذه المقاربة كان لزاماً علينا أن نحرر توطئة نحدد من خلالها معنى المقاربة البيوغرافية، تطور هذا المفهوم وكيفية استعماله، حتى يتسنى لنا رسم الإطار العام للموضوع المدروس و تبيان الوسيلة المتبعة لدراسة العصور القديمة في بلاد المغرب الكبير. إن أسلوب المقاربة البيوغرافية كان شائعا في الدراسات التاريخية إلى درجة أنه صار من الفنون المرغوبة اليوم وبالتالي أصبح من أكثر الأساليب انتشارا. ما يهمنا في هذا المقام هو تحديد معنى المقاربة وما مدلول البيوغرافية؟

1- مفهوم البيوغرافية

استعانت العلوم الإنسانية والاجتماعية بعدة مصطلحات للإحالة إلى مصطلح البيوغرافيا: رواية حياة و تاريخ-حياة (récit de vie) وبيوغرافيا وسيرة حياتية (biographie). للأمانة العلمية علينا أن نعترف أن كلمة بيوغرافيا ليست عربية بل هي مأخوذة من اللغات الأجنبية. فمثلا قاموس لاروس الصغير يعرف هذه الكلمة كالتالي: «du gr. Bios, vie, et

graphien, écrire. Histoire écrite de la vie de qq. est un écrit qui a pour objet

l'histoire d'une vie particulière. Elle peut être écrite par la personne elle-même (autobiographie) ou par une personne autre »[1].

تاريخيا كما يوضحه القاموس اشتقت كلمة البيوغرافيا من اللغة الإغريقية وتعني تدوين سيرة حياة شخص ما، علينا أن نشير أن كاتب السيرة يكون إما كاتب أو شخص بحد ذاته يكتب تاريخ حياته. لقد كانت المقاربة البيوغرافية هي الموضة السائدة في ثمانينات القرن الماضي[2]، و تكمن أهمية المقاربة البيوغرافية في أنها تمكننا من كتابة التاريخ المغاربي القديم فحين نتحدث عن الملك ماسينيسا (Massinissa) أو يوبا الثاني (Juba II) فنحن بصدد الحديث عن شخصية ما و عن عائلة ما و هنا يجب أن نشير إلى أننا استعملنا كلمة عائلة بمعنى أسرة حاكمة (dynastie).

ما يهمنا هنا هو أن السيرة أو البيوغرافيا أو الترجمة هي نوع من أنواع التاريخ[3] ورغم أن بيار بورديو (Pierre Bourdieu) يُعتبرُ من الذين تحاملوا على المقاربة البيوغرافية إلا أنه قدم لها تعريفات يمكن لنا الاستعانة بها في موضوعنا، فالسيرة الذاتية لها مفهوم تاريخ ورواية– تاريخ لشخصية ما– ولا يتوقف بيار بورديو عند هذا التعريف بل يضيف إليه مفهوم المسار و الطريق و الرحلة من ولادة الشخص إلى وفاته[4].

اختلفت مكانة البيوغرافيا في الدراسات التاريخية من حقبة زمنية إلى أخرى، لقد لقيت المقاربة البيوغرافية ترحاب مؤرخي التاريخي الوضعي الذين يُولون اهتماما كبيرا للتاريخ السياسي ولكن تغير الوضع رأسا على عقب بعد صعود نجم مدرسة الحوليات التي اشمأز روادها من

---

[1] Patricia, M., et autres, 2014, *Le petit Larousse,* Paris, p.159.
[2] Houle, G., 1997, *La sociologie comme science du vivant : l'approche biographique*, Paris, p.10
[3] Legrand, M., 1992, *L'Approche Biographique : Théories, Méthodes, Pratiques*, p. 503.
[4] Bourdieu, P., 1986, « L'illusion biographique », *Actes de la recherche en sciences sociales*, vol. 62-63, p. 69.

البيوغرافيا[5]، وفي هذا الصدد أُدرجت البيوغرافيا في خانة ترقى إلى أن يطلق عليها تسمية تاريخية، وارتبط إهمال البيوغرافيا ببروز نزعة كتابة تاريخ عام و شامل لدى المؤرخين ولكن سرعان ما أعادوا لها الاعتبار في ظرف يهتمون فيه بدراسة الظواهر الدينية و الثقافية و الاجتماعية، و لقد علق أنطوان بروست (Antoine Prost) على تجدد الاهتمام بالبيوغرافيا قائلا:" لسنا بصدد الحديث عن نفس البيوغرافيا، أي تلك التي تدرس الرجال العظام. لا تهتم المقاربة البيوغرافية الجديدة بتسليط الأضواء على تأثير الفرد على الأحداث بل تهتم كيف أن عبر شخصية ما، تتفاعل مع عوامل و جماعات بشرية "[6].

و كما قلنا سابقا فكلمة بيوغرافيا هي كلمة من أصل يوناني مركبة من كلمة (bio) تعني الحياة، و (graphie) بمعني كتابة، فيرى فؤاد طحطح* في كتابه " السيرة لعبة الكتابة" أن بلوتاركوس هو أول من استعمل لفظ "بيو"، و أنها تستعمل بغرض رسم صورة واضحة عن شخصيتهم و تخليد ذكراهم، و لقد ازدهر هذا الفن في العصور القديمة[7].

و قد تختلف المصطلحات للدلالة على كتابة سيرة خاصة في اللغة الفرنسية و لكن المقصد واحد (Récits de vie, histoires de vie, approche biographique)، فيقابل (récit de vie) محكي الحياة، في حين (histoires de vie) قصة أو تاريخ حياة، أما (approche biographique) المقاربة البيوغرافية.

تكمن أهمية المقاربة البيوغرافية في أنها تمكننا من دراسة تاريخ جماعة بشرية ما و بالتالي مجتمع و حضارة ما، وهذه المقاربة البيوغرافية هي التي غزت اليوم حقل العلوم الاجتماعية و التي تمكننا ليس فحسب العودة إلى الماضي كما يعتقد البعض، بل هي تمثيل

---

[5] Prost, A., 1996,*Douze leçons sur l'histoire*, p. 86.

[6] Prost, A.,1996, p, 86.

* باحث و كاتب مغربي، أستاذ في حقل الاجتماعيات، حائز على شهادة الدراسات العليا المعمقة في التاريخ، لديه مقالات و دراسات و مؤلفات كثيرة

[7] طحطح، خ.، 2011،"عودة البيوغرافيا"، *رباط الكتب*، العدد العاشر، المغرب، ص.4.

لهذا الواقع المنسجم و التعرف على ذواتنا، و البحث عن المنزلة الاجتماعية التي تلاءمنا حسب تعبير بوريس سوريلانك (Boris Cyrulnik) [8].

إن السيرة في الاصطلاح ما هي إلا قصة قديمة تتمازج فيها الحقيقة والخيال، تترجح بين الأسطورة والتاريخ، وما هي إلا قصة طويلة تتطلب من الدارسين البحث الدائم و التنقيب المستمر، ينبثق منها كل ما هو مدفون فيها من واقع جديد و قيم عريقة .

السيرة هي نوع أدبي يُعرفُ بحياة علمٍ أو مجموعة من الأعلام، أو هي السَرد المتابعُ لدورة حياة شخص وذكر الوقائع التي جرت له أثناء مراحل هذه الحياة، و ليس تعريف السير اصطلاحيا قادرا على الإلمام بكل تفصيلاتها أو صورها المختلفة[9] و هذا التعريف حسب قول إبراهيم السعافين وزملائه.

وتُعرف أيضا على أنَها تاريخ حياة أي (Biographie)، أو بعبارة أخرى إنها حياة إنسان منذ ولد إلى أن مات، و إنسان عظيم تستحق حياته التسجيل بنوع خاص أو إنسان تنفرد حياته بسمات تستحق التسجيل عن سائر الأناسي، وأتى في نفس هذا الباب ما قاله إميل دوركايم (Emil Durkheim) في الخطاب الذي ألقاه بمناسبة تقسيم الجوائز بثانوية (de sens) في 6 أوت من عام 1883: " مهما يكن من ثمن ندفعه في حق كرامتنا، يجب أن نعترف أن الخالق قد أوجد صنفين من البشر الكبار و الصغار."[10] فإذن يجب أن نحفظ مسار هؤلاء الكبار ليكونوا الأسوة لمن يلحقهم، وعبرة لمن يخلفهم.

"وأنها ليست من الأدب المستمد من الخيال بل هي أدب تفسيري، السيرة تزاوج متعادل بين حقائق التاريخ و القوى المتخيلة البارعة في الحذف و الإثبات و البناء"[11].

---

[8] الميلود، ع.،2013، "صور الذات في محكي الحياة" ، *رابطة أدباء الشام*، لندن، ص.5.
[9] إبراهيم، س.، 1997، *أساليب التعبير الأدبي*، عمان، الطبعة الأولى، ص.191-192.
[14] Durkheim, E., 1883, *Le rôle des grande hommes dans l histoire,* Québec, p.3-4.
[11] عباس، إ.، 1900، ص.90.

أحيانا تكون البيوغرافية عنوانا لحياة كاملة مصاغة بأسلوب روائي و مثال ذالك كتاب يوبا الثاني (édition apic) لعبد العزيز فراحي

و تظهر أهمية هذا النوع من الكتابات التاريخية أن كل واحد منا يقوم في حياته عن قصد أو دون ذلك، يقوم بتاريخ السير، مثل ما يعود صديق من رحلته ويحكي تفاصيل مغامرته ، أو أحد الأقارب في أحدى المناسبات يروي أحد فصول حياته الغامضة، و الأمثلة كثيرة، حتى وإنَ هذه الممارسات لا تعد كونها إلا عملا شفويا لا يرقى إلى العمل العلمي الأكاديمي إلا أنه يدخل ضمن مضمار البيوغرافية التاريخية.

سواء تعلق الأمر بسير الغير مثل:

° سير كبار الفلاسفة

° اعترافات القديس اوغسطينوس*

° أو سيرة ذاتية كالتي قدمها الكاتب جون ماري ديقينيوا مذكرات مزارع من شمال فرنسا (Les mémoirex d'un paysan bas-breton de Jean-Marie Déguignet)

° الأيام لطه حسين **

° اعترافات جون جاك روسو *** (Les confessions de Jean Jacques Rousseau)

---

* هي سيرة ذاتية، كتبها بين سنوات 397 و 398 استغرقت ثلاث سنوات من الجهد، يعرف فيها بذنوبه لربه، و سنه آنذاك 45 ربيعا، في ثلاثة عشر كتابا من 1 إلى 10 يسرد حياته من مولده إلى حتى موت والدته و من 10 إلى 13 تقرب و تمجيد للرَب. حول الموضوع ينظر:

Augustin, S., 1868-1878, *Œuvres complètes* , trad. P. Écalle, V. Charpentier, France.

** الأيام كتاب عن أيام أتت وولت علي الكاتب، يسردها في هذا الكتاب ليقص بها قصة حياته؛ طفولته في قريته وشقاوته مع شيخه ثم الانتقال إلى أعمدة جامعة الأزهر حيث كان يتجلى كل أمل أبيه أن يراه عالماً يعتكف على إحدى تلك الأعمدة يدرّس فيها طلابه. ذهب طه حسين إلى الأزهر وفي مخيلته صورة جميلة عنه لم تزل حتى اقتحم العاصمة وعاش وتنقّل بين صحون الأزهر وعاش فيها ما عاش ورأى فيها ما رأى. إنها سيرة ذاتية جميلة حيادية وموضوعية، تتسم بالتواضع والاعتراف== ==بالأخطاء والصبر على مصائب الحياة، و لقد كتبها عبر كتب ثلاث منشورة، و قد أصدرت في بعض الطبعات في مجلد واحد كما هو الحال مع الطبعة الأولى المشار إليها. للمزيد من المعلومات ينظر: حسين، ط.، 1929، *الأيام*، الطبعة الأولي، القاهرة.

*** ولد سنة 1712 م بجنيف، والده إسحاق روسو (Isaac Rousseau) و سوزان برنارد (Suzanne Bernard) هي مجموعة قصص للسيرة الذاتية، تتكون من خمس أجزاء، كتبت في الأعوام بين (1764 – 1770) ويحكي فيها الكاتب أحداث

و لقد مثلت السنوات الأخيرة عودة قوية لمحولات البناء الفردي لما يحيطه من واقع اجتماعي، و هذا ما يؤكده "رايت ميلز" أنه لا يمكن فهم البناء الاجتماعي بدون بيوغرافيا لأن علم الاجتماع الحقيقي في رأيه هو عبارة عن الالتقاء بين البيوغرافيا و التاريخ[12].

و منذ 1920م أقدم علماء اجتماع أمريكان على استعمال منهج السير الحياتية، لدراسة الظواهر الاجتماعية، مثل الهجرة، الانحرافات المختلفة و الشاذة، وهذا ما مثل اقتحاما قويا للبيوغرافيا و فاعلا لكل العلوم الإنسانية، و كانت هذه المنشورات الحياتية مصدر إلهام للكثيرين، مختصين منهم (Sigmund Freud, Les Mémoires d'un névropathe de Daniel Paul Schreiber) أو غير مختصين، كتأثرنا بقصة، سواء تاريخية أو حتى روائية لشخصية تعلقت أنفوسنا بها و أردنا أن نحذو حذوها.

منذ بلوتاركوس كثيرون هم من حاولوا رفع التحدي البيوغرافي سواء كانوا من المؤرخين المهنيين أم لا. الخطاب الأخلاقي للفضائل، كان عنوانا بارزا للبيوغرافية، على مرور الزمن أضحت أكثر مهنية و أكثر علمية من أي وقت مضى.

حتى و إن هذا اللون من الصناعة التاريخية قد أفل نجمه خلال فترات متعاقبة من الزمن، و رغم الحرص على تطوير الأدوات المنهجية لوظيفة الكتابة التاريخية سواء مع المدرسة المنهجية أو مدرسة الحوليات إلا أنه منذ 1980م يعود بقوة و خاصة لدى المؤرخين بعدما تجاهلها المنطق و العقل دهرا من الوقت، فالبيوغرافية بكل ما تحمله من مزج مدهش بين

حياته ولم يكن" روسو" ينوي إضافة صفتي الكمال والحياة المثالية على هذه المجموعة من الكتب، وإنما كان يحكي جميع أحداث حياته ويعترف بكل أخطائه ومنها اتهامه الكاذب بالسرقة وهو طفل. للمزيد من المعلومات ينظر:
Rousseau, J.J. 1925, *Les confessions*, Paris, p.1-7.

[12] رشاد، ف.، 1999،"المنهج البيوغرافي:استعمال السير الذاتية و الحياتية في علم الاجتماع"، *مجلة العلوم الاجتماعية*، المجلد 27، العدد 2.

الحقيقة و الخيال، بين التاريخ و الجانب الفني في الكتابة، إلا أنها تضل اليوم من الميادين المرغوب فيها أكثر، إلى جانب إقبال القراء على هذا اللون.

فالمؤكد أن هذه الطفرة الهائلة لعودة حمى البيوغرافية كما سماها فرنسوا دوس في كتابه "التحدي البيوغرافي–كتابة سيرة–" قد فتحت الباب واسعا أمام إعادة مسألة الهوية للكتابة التاريخية و حدود تصنيفها، لكن تبقى هذه الصنعة مجالا رحبا لصنوف الكتابة.

2– المقاربة البيوغرافية بين المؤيدين و المعارضين لها

ترتبط الحادثة التاريخية بالإنسان أولا و بالمجتمع ثانيا، كما تكمن أهمية البيوغرافية حسب المؤرخ الجزائري محمد حربي " بأن التاريخ الشامل لا يمكنه أن يغض الطرف عن دور الأفراد وتصوراتهم الشخصية وخياراتهم في مسرح التاريخ ". لقد حاول مؤروخين منضوون تحت المدرسة الماركسية أن يُقللوا من أهمية هذا المنهج حين دافعوا عن أطروحة مفادها أن على الباحث أن يستقصي وراء سيرة حياة شخص ما، و تأثير الطبقات و الجماعات البشرية على الأحداث.[13]

تعد المقاربة البيوغرافية إحدى أنماط الكتابة التاريخية التي استهوت المؤرخين منذ العصور القديمة والتي أعيد اكتشافها من جديد مع عصر النهضة الأوربية، و لم يخف رواد النزعة الإنسانية إعجابهم بالمؤرخين الإغريق والرومان بحيث طبعت لأول مرة في هذا العصر أعمال تاكيتوس (Tacite) ، 1515، وبلوتاركوس (Plutarque) عام 1559 و غيرهم وفي هذا الإطار أسهمت الصحافة والمطبعة في انتشار أعمال مؤرخي العصور القديمة وبالتالي إعادة اكتشافهم من طرف الجمهور والقراء، فلن نحكم على هذه الأعمال لكن علينا أن نذكر القارئ

[13] Stora, B., 1985, *Dictionnaire biographique de militants nationalistes algériens*, Paris, p.7.

بالرواج الواسع الذي لقيه كتاب بلوتاركوس " السير الموازية " (Les vies parallèles) خاصة في فرنسا أين نشر لأول مرة سنة 1559[14].

لقد ميزنا في دراستنا بين تيارين رئيسيين كان لهما موقفين متباينين من المقاربة البيوغرافية، حيث يُمثل كل من فرنسوا دوس* (François Dosse) وآن جيفرسون** (Ann Jefferson) أشد المدافعين المتحمسين للمقاربة البيوغرافية، في حين أن كل من بيير بورديوا*** (Pierre Bourdieu)

وفرناند بروديل **** (Braudel Fernand) و بربي دوريفيلي ***** (Barbey d'Aurevilly) يدرجون في خانة المتحاملين على المقاربة البيوغرافية، و السؤال المطروح هو ما هي حجج كلا الفريقين في الدفاع عن المقاربة البيوغرافية؟

---

14 Carbonell, Ch-O., 1986, *L'Historiographie*, Que sais-je?, Paris, p. 55-56.

* مؤرخ وكاتب وباحث. أستاذ جامعي في باريس (كريتاي). اهتم فرانسوا دوس بالتاريخ الفكري لفرنسا وأيضاً بابستمولوجيا التاريخ. الكتابة البيوغرافية كانت أيضاً في قلب اشتغاله كما تشهد على ذلك مؤلفاته الضخمة حول ميشال دو سارتو (Michel de Certeau) بول ريكور(Paul Ricoeur) ، جيل دولوز وفليكس غاتار (Gilles Deleuze et Félix Guattari)، وأخيراً بيير نورا(Pierre Nora) , ولد 21 سبتمبر 1951 مؤرخ مختص في التاريخ الثقافي حصل على الدكتوراه 1983 ينتمي لمدرسة الحوليات من مؤسسي مجلة (Espaces Temps) 2007. للمزيد من المعلومات ينظر:

الزبن، م.ش.، 2014، "مفاتيح معاصرة في فهم سؤال التاريخ و الذاكرة"، *مؤسسة مؤمنون بلاحدود*، الرباط

** أستاذ بجامعة اوكسفورد (Oxford) لها مؤلف شهير يدعي التحدي البيوغرافي (Le défi biographique. La littérature en question) كتب المؤلف بالانجليزية بعنوان (*Biography and the Question of Littérature in France*) في سنة 2007، ثم ترجم إلى الفرنسية من (Cécile Dudouyt) . للمزيد من المعلومات ينظر:

Dubois, F.R., 2012, « Ann Jefferson, le défi biographique. La littérature en question », *Les comptes rendus*. lectures.revues.org/9846

*** 1أوت 1930-23 جانفي 2002 عالم اجتماع فرنسي وأحد أبرز المراجع العالمية ضمن علم الاجتماع .بدأ نجمه يبزغ بين المتخصصين انطلاقًا من الستينات بعد إصداره كتاب الورثة مع كلود باسرون وكتاب إعادة الإنتاج مع المؤلف نفسه، وخصوصا بعد صدور كتابه التميز و التمييز، وازدادت شهرته في آخر حياته بخروجه في مظاهرات ووقوفه مع فئات المحتجين والمضربين. اهتم بتناول أشكال السيطرة الاجتماعية عن طريق التحليل المادي لإنتاجيات ثقافية . للمزيد من المعلومات ينظر:

Forquin, J-C., 2002, « Pierre Bourdieu (1930-2002) », *Revue française de pédagogie*, V.139, p.177-178.

**** 24اوت 1902 - 27 نوفمبر 1985 مؤرخ من فرنسا وزعيم من زعماء مدرسة الحوليات في التاريخ. ركزت دراساته على ثلاثة مشاريع رئيسية، تمثل كل منها عدة عقود من الدراسة المكثفة :البحر الأبيض المتوسط 1949-1923 ومن ثم 1949-1966 والحضارة والرأسمالية 1955-1979 والهوية الفرنسية غير المكتمل 1970-1985. للمزيد من المعلومات ينظر:

وللإجابة عن هذا التساؤل سوف نتناول بالدراسة كلا التيارين– أصحاب النزعة البيوغرافية و معارضيها– لأن علينا أن نوضح لماذا تبنينا رأي من ينادي إلى الاعتماد على المقاربة البيوغرافية و تجاهل رأي أولائك الذين ينفرون من هذه المقاربة.

المهم أننا و اعتمادا على مجموعة من الحجج و البراهين إخترنا الوقوف مع التيار المساند للمقاربة البيوغرافية و ما سيأتي يوضح ذلك.

و من بين من تعرض لموضوع البيوغرافيا بالمدح و الإشادة نذكر إحسان عباس الذي قدم الحجج لترجيح رأيه.

فرغم تقديره واعترافه بقيمة المجتمع إلا أنه يدافع عن توظيف البيوغرافية، التي يسميها فن السيرة ، كما أنه أعطى للفرد و لتجربته المكانة المستحقة إذ كتب يقول: " وإني لأعلم أن الاتجاه في الحياة المعاصرة، أخذ يتشكل نحو الجماعة بخطى سريعة، وهذا قد يقلل من تقديس الأبطال، ويُخملُ دور الفرد في الحياة، ويُغير مفهومات الناس عن قيمة ذلك الدور، ومن ثم تَقلُ الرغبة في السير عامة، ولكننا نسيء إلى روح الجماعة إذا اعتقدنا أن التجربة الفردية لا قيمة لها. فقد تزول عبادة الأبطال من النفوس، وقد يفقد الفرد معنى التفرد الأناني، ولكن شيئاً واحداً لا يزول هو هذه التجارب الحية، وطريقة التعبير عنها؛ وكل ما سيحدث أن المفهومات الجماعية ستنعكس على تلك التجارب وتصبغها بلون جديد"[15].

ويقول أيضا خليد طحطح المختص والمدافع عن استعمال السير في التاريخ، في نفس الموضوع مستشهدا بما أتى به المؤرخ الفرنسي فرنسوا دوس وهذا بالرغم من أن هذا الأخير

Bernard, L-P., 1986, »Espace et histoire. Hommage à Fernand Braudel », *Annales Economies, sociétés, Civilisations,* volume 41, N. 1, p.3-6.

***** كاتب فرنسي، ولد 2 نوفمبر 1808، بالنور مندي و متوفى 23 ابريل 1889 بباريس، و الملقب des Connétable) lettres) ، من اشد المعارضين للبيوغرافيا، جمع بين عدة وظائف منها روائي، صحفي، أديب، شاعر و ناقد. للمزيد من الاطلاع يعاد إلى: Vouilloux, B., 1994, *Barbey d'Aurevilly, l'amour de l'art, romantisme,* N° 84, p.98-100.

[15] عباس، إ.، فن السيرة، بيروت، 1900، ص.3-4.

يعتبر المؤرخ الرسمي لمدرسة الحوليات التي رفضت المنهج البيوغرافي في الكتابة التاريخية:

" يؤكد فرنسوا دوس في كتابه " الرهان البيوغرافي–كتابة سيرة–'' على وجود انفجار حقيقي في مجال كتابة السير خلال العشرين سنة الأخيرة في فرنسا، و قد استهل كتابه بلوحة بانورامية تقديمية عن هذه العودة القوية للبيوغرافيا بجميع أصنافها من خلال تتبع التطور الذي حققته سوق السير من مبيعات، و خلص من خلال لغة الأرقام أن البيوغرافيات التاريخية أضحت مسيطرة على سوق الكتب مستفيدة من هوس الجمهور المتعطش لهذا النوع (...) في ظل هذا التنافس الذي وسمه دوس " بالحمى البيوغرافية " (...) تعبر عنها بشكل واضح الإحصائيات التي قدمه في مؤلفه، فقد بلغ عدد البيوغرافيات الجديدة التي نشرت سنة 1985م حوالي 200 بيوغرافيا، و في سنة 1996م نشرت 611 بيوغرافيا ، و في سنة 1999م 1043مؤلف بيوغرافي، هذا دون حساب السير الذاتية والبحوث الأكاديمية، و بهذا احتلت الكتابات البيوغرافية المكانة الأولى في مجلات البيع (...) فلدى المرء رغبة و فضول على الاطلاع على ما هو خفي و غامض في حية الآخرين" [16].

رغم تحامل كل من المدرسة الماركسية ومدرسة الحوليات على المقاربة البيوغرافية إلا أن هذه المقاربة استهوت الكثيرين وحققت مبيعات قياسية لدى دور النشر.

[16] طحطح، خ.، 2011، ص.1.

3- تطور الكتابات البيوغرافية:

أ- الكتابة البيوغرافية من العصور القديمة إلى القرن التاسع عشر

رغم أن الكتابة التاريخية أخذت أشكالا وأنماطا مختلفة إلا أن المقاربة البيوغرافية كانت الطابع السائد و المهيمن. يتجلي ذلك عند سالوستيوس الذي دافع عن العامة في روما من خلال سرد حياة و حرب الملك النوميدي يوغرطة، أما قيصر من خلال سرد حروبه فقد مجد نفسه.

من نافلة القول أن الكتابة التاريخية كانت منحازة ولكن هذا لا يمنع من اعتبار هؤلاء من أشهر مؤرخي اللاتين[17]. بعد سقوط الجمهورية وقيام الإمبراطورية سطع نجم كل من تاكيتوس (Tacite) وسويتون (Suétone)، وإذا كان الأول أعطى الأولوية للجوانب البسيكولوجية في تحليل الوقائع التاريخية فإن الثاني كان متأثرا بالبيوغرافيا.

لقد تميزت الكتابات التاريخية في هذه الفترة بهيمنة الخطاب التمجيدي والتركيز على الفضيلة، مثل ما تناوله المؤرخ اللاتيني سالوستيوس في كتابيه " حرب يوغرطة " (La guerre de Jugurtha) و " مؤامرة كتالينا " (La conjuration de catilina) غير أنا بلوتاركوس يمثل بكتابه السير الموازية (vies parallèle) نموذجا جيدا لهذا المنهج، أقام من خلاله مقارنة بين شخصيات يونانية و أخرى رومانية، غير أن هذا النوع من التدوين لم يسلم من الانتقادات كالامتعاض الذي أظهره توسيديوس اتجاه البيوغرافية. لم يَحد المؤرخون المعاصرون عن القاعدة فهذا غابريال كامبس (Gabriel Camps) يتناول في القرن العشرين شخصية الملك النوميدي ماسينيسا بالدراسة[18]، على نقيض شخصية الملك النوميدي يوغرطة (Jugurtha) الذي قدم عنه سالوستيوس (Salluste) صورة سلبية وسوداوية، فإن الملك ماسينيسا حظي بإطراء المؤرخين

---

[17] Salmon, P., 1969, *Histoire et critique, Bruxelles*, p. 19-20.

[18] كامبس، ق.، 1960، *في أصول البربر. ماسينيسا أو بدايات التاريخ*، ط 2، ترجمة عقون، ع، 2012، الجزائر، ص .730.

القدامى أمثال بوليبيوس (Polybe) و سترابون (Strabon) و أبيانوس (Appien)، وحتى المؤرخين المحدثين كالوا لماسينيسا الإطراء و المديح على غرار جوليان (Julien) وقزال (Gsell)، حتى و إن كثرة الإطراء تطرح مشكلة للباحث لأن المنهجية التاريخية تلح على تجنب إصدار الأحكام القيمية.

لقد سبقت الشعوب الأخرى العرب في مثل هذا الفن و برعوا فيه، فالإغريق كانوا أسبق الأمم بتاريخ السير، و مثال ذلك المؤرخ الروماني بلوتاركوس الإغريقي الأصل في كتابه "السير المقارنة لعظماء اليونان والرومان" و كان أول ترجمة له من جوان فرنونداز دي هارديا (Juan Fernandez de Heredia) خلال القرن 14 م، والجدير بالذكر أن بلوتاركوس أختلف في نظرته للتاريخ وفى معالجته لأحداثه عن الكثير من المؤرخين القدامى، فقد أقدم على تجربة فريدة من نوعها في كتابة التاريخ تقوم على كتابة السير الذاتية لأحد زعماء اليونان يتبعها بكتابة سيرة زعيم آخر ثم يقوم بمقابلة بينهما، أو سالوستيوس الكاتب الروماني بتأليف كتاب "حرب يوغرطة" حتى وإن كان المقصد غير نبيل للمؤلف يبقى أحد النماذج المهمة للكتابة البيوغرافية، وكذلك سويتون (Suétone)* المؤرخ و الجغرافي اللاتيني (70−140م) غير أن هذا الأخير عانى من نظيره توسيديوس و الذي لا يمكن وضع وجه مقارنة بينهما باعتبار تيوسيديوس أكبر مؤرخ روماني آنذاك وصاحب كاتبي "الحوليات" و "التواريخ"، لكن النقاد يشهدون بأهمية و حيوية البيوغرافية التي تناولها عبر كتابه "حياة القياصرة" (Vies des Césars) و الذي اتسم بالبساطة

* ابن سيوتون الملقب بلينيس (Lenis)، قائد (Trubin) للفيلق الثالث الروماني، ترعرع سيوتون الابن في عهد الإمبراطور أدريان (Adrian)، عمل لدي القصر ككاتب مفضل لمدة، و هذا ما سمح له بالاطلاع على أرشيف القصر، و بالتالي القدرة فيما في التأليف لما تجمع له من مادة خام، كان المؤرخ بلين الصغير (Pline Second) احد أكثر الأشخاص تقربا من سيوتون، أصبح أحسن خطباء روما ليشتغل بعد بالتأليف، له عدة مؤلفات أشهرها "حياة القياصرة". للاطلاع على الموضوع ينظر:
Grimal, P., 1965, *La littérature latine,* Paris, p.113-155.

في التناول و برودة غير مشهودة في التعامل مع الأحداث، و تبقى أعمال سيوتون أهم و أغزر مصدر لحياة أولئك الملوك[19] وتتابُع خطى السير على هذا المنوال كما وضَحتُهُ ضمن عنصر تطور الكتابة البيوغرافية و بذلك أضحت مألوفة سواء لدى الباحث أو القارئ، و كانت أكثر مهنية.

نجد في طيات كتب التاريخ في العصور القديمة سير ملوك وأبطال عظام أمثال تيموستوكل (Thémistocle) وبيريكليس (Périclès) و الإسكندر الأكبر (Alexandre) و حنبعل (Hannibal) و سبيون (Scipion) مما يدل على أن المؤرخين الكبار أمثال هيرودوت (hérodote) و توسيديوس (Thucydides) و بوليبيوس (Polybe) و تيتوس–ليفيوس (Tite-live) كانوا قد استعانوا بهذه المقاربة في أعمالهم.

انتشر في بدايات العصور الوسطى نمط فريد من الكتابة التاريخية يسمى بعلم المناقب (Hagiographie)، وقد اهتم هذا العلم بحياة القديسين، حديث المعجزات، رفات القديسيين و قوائم الأساقفة، و كان ما يهم أصحاب علم المناقب هو الذودُ عن القيم الأخلاقية والروحية بغض النظر إلى الحقيقة التاريخية[20]، إذ تمزج كتاباتهم بين الواقعي (Réel) والعجيب (Merveilleux) حيث " يحتل العجيب والخارق للعادة مكانة راقية في كتب المناقب "[21].

إن هؤلاء المؤرخين مولعون بنمط من الكتابة التاريخية تسمى بالحولية وهي ترجمتنا لـ (Chronique)، ويحرص هذا النمط من الكتابة التاريخية في الغالب على عرض الوقائع التاريخية من بداية الخليقة أو بدءا من عهد السيد المسيح، كما مجد علم المناقب خلال العصور الوسطى القساوسة و رجال الدين وطال المدح الملوك و الإقطاعيين، وكانت الانتصارات البطولية لهؤلاء لازالت تشغل جل الكتابات آنذاك، حتى تشهد تراجعا ملحوظا خلال

[19] Eugen, C., 1993, "A propos de quelque vies des Césars de Suétone". In: *Vita latina,* p.27.32.
[20] Bourdé, G., Martin, H., 1983, *Les écoles historiques,* Paris, p. 40-41.
[21] Salmon, P., 1969, p. 22.

الثورة الفرنسية و بعدها، إذ طغى المذهب الرومانسي فكانت الكتابات مصبوغة بالصبغة الأدبية و الخيالية فأتت على شكل روايات و حكايات شغف بها القراء[22].

فابن خلدون، يري أن الغاية من التاريخ هي الكشف عن القدوة الحسنة، وتجنب المزالق والاعتبار بأخطاء الماضي، وكذلك هي غاية التاريخ عند رجل يعكس الأثر الديني العميق مثل ابن حزم، فهو ينصح المتعلم بقراءة التاريخ، إذ يقول: " ليقف على حمد المتقين للفضائل فيرغب فيها ويسمع ذمهم للرذائل فيكرهها"[23].

ب- الكتابة البيوغرافية من أواخر القرن التاسع عشر إلى منتصف القرن العشرين

شهدت هذه الفترة إحجاماً و تراجعاً شديدين للبيوغرافيا، و خاصة مع الجيل الثاني لمدرسة الحوليات مثل ما عبر عنها بروديل أنه التاريخ الوقائعي الذي يركز على الأشخاص أكثر من الجمهور، وهذا كله لصالح الاقتصاد و المجتمع، فتم ازدراء تاريخ السيرة من قبل المؤرخين و الأكاديميين و أصبحت من الأعمال المنبوذة الخليقة بالضعفاء و غير العلمين و لا المنهجيين، و نعتت بالسطحية و من الكتابات الرديئة التي لم تعد تتماشى مع التطور الذي شهدت صناعة الكتابة التاريخية في تلك الفترة، و النوع الذي استمر خلال هذه المدة هو ما ارتبط بدراسة الشخص ضمن المجتمع إذ لا قيمة للفرد لوحده دون الجماعة[24].

وهذا ما يراها بورديوا إذ يعتبر أن البيوغرافيا هي لعنة العلوم الإنسانية

« C'est peut-être la malédiction des sciences de l'homme que d'avoir affaire à un objet qui Parle.» [25].

---

[22] طحطح، خ.، 2011، ص.5.

[23] عباس، إ.، 1900، ص.12-13.

[24] طحطح، خ.، 2011، ص.5.

[25] Werner, J. F, Avril 1991, *Approche biographique et construction anthropologique de la marge*, Thèse (Ph.D) en anthropologie. Université de Montréal, p 116

و خير مثال على هذا الامتعاض ما جاء في المقال التالي:

Quel meilleur indice de cette dépréciation que le titre de l'article publié par Josef W. Konvitz dans la *European studies review*, en 1976 : « Biography : the missing form of French historical studies » ?[26].

هذا هو موقف أصحاب مدرسة الحوليات، أن هذا اللون من الكتابات لا يخرج عن الفن الأدبي إذا لا علاقة له بالتاريخ و مناهجه المستخدمة، ووجهوه نحو اللاحدث و غير المقبول فنعتوه بكل صنوف النبذ و الاستهتار والازدراء مثل (l anathème) [*]، فرونالد بارث شبه السيرة بالنصب التذكاري المزيف و عدها نوعا أدبيا كريها[27].

في سنة 1903 أقدم فرنسوا سيميوند (François Simiand) على مطالبة المؤرخين آنذاك عبر مجلة (d'Henri Berr ,synthèse historique)، دعاهم إلى المضي من التفرد إلى الظاهرة و من الفرد إلى الجماعة لتبدأ بعد عشرين سنة وقع هذا النداء بالتخلي و القطيعة مع تاريخ سير العظماء و كبار الشخصيات التاريخية بنشأة مجلة (Annales ESC (Économie, Société, Civilisation) لبعث تاريخ اجتماعي لا يهتم بالفرد إلا في إطاره الجماعي الذي يجب أن يكون فيه[28].

ج- الكتابة البيوغرافية منذ منتصف القرن العشرين

هذا المصطلح الذي استعمله فرنسوا دوس في كتابه التحدي البيوغرافي-كتابة سيرة- (Le pari biographique-écrire une vie) نشره سنة 2005 ثم أعيد طبعه 2011 ليعبر عن

---

[26] Laurent, A., 2001, *La biographie*, Hypothèses, p.13-24.

[*] Condamnation, réprobation sévère ou malédiction visant une personne, ses actes ou ses opinions.

[27] طحطح، خ.، 2011، 6.

[28] Levallois, A., 2002, "Le retour de la biographie historique", *L'Homme et la société,* 146, France, p.128.

العودة القوية لهذه الصناعة التاريخية التي طالما غيبت عن صنوف الكتابة التاريخية نتيجة الازدراء الذي مارسته مدرسة الحوليات في جيلها الثاني، وتظهر أيضا هذه العودة للبيوغرافية في مجال العلوم الإنسانية و بخاصة في الفن الأدبي كما جاء ضمن كتاب آن جيفرسون (Le defi biographique) التحدي البيوغرافي، لتليهما دراسات متعاقبة و هي كثيرة كما يقول فرنسوا رونان دوبواه (François-Ronan Dubois) تظهر محاسن و مآخذ هذا اللون من الكتابة و ما مدى شغف الناس على قراءتها و اقتنائها، فالكاتب هو صنيع جمهوره و مدى المداخل التي يحققها من سوق الكتاب.

و في الموضوع نفسه عام 2009 ينعقد ملتقى في كريتاي بفرنسا حول البيوغرافيا هل انتهى أجلها؟ والدور الذي أضحت تلعبه اليوم[29]، و من أعطي دفعا قويا للدراسات البيوغرافية هي حركة النسوة التي رأت في هذا اللون السبيل الأمثل لإعطاء للمرأة مكانتها و الدفاع عن حقوقها كما يوضحه المؤلف التالي:

Martine Reid (dir.), *Les femmes dans la critique et l'histoire littéraire*, Paris, 2011.

وكان هناك رفض شامل للتفرد، تفرد الحدث، تفرد الأفراد، لذلك تمثل عودة هذه المواضيع اليوم إلى الواجهة معاكسة ضمنية لكتابة التاريخ كما كانت سائدة في العصر الذهبي لمدرسة الحوليات و تحديا أمام جيل التاريخ الجديد[30].

4- أساليب كتابة سيرة

هناك ثلاث أشكال لكتابة السيرة حسب رأى محمد يوسف*:

---

[29] Dubois, F-R., Mars-Avril2013, "Le biographique partout, tout le temps - point d'interrogation", *Acta fabula*, 14, n° 3. p.2.

[30] طحطح، خ.، 2013، *تحولات الكتابة التاريخية*، نقلا عن شبكة طنجة الإخبارية -ثقافة و أدب.

* باحث في جامعة جواهر لال نهرو بالهند.

1- على الشكل الروائي: وهو الأكثر شيوعا في المجال الأدبي لا التاريخي، حيث تمتزج فيه المخيلة مع الواقع، و تتسع مساحة الإبداع، و مثال ذلك كتاب الأيام لطه حسين أو كما ذكر سالفا عن شخصية يوبا الثاني، ولكن هذا الأسلوب يحتوي على كثير من المزالق على المؤرخ الذي يجد نفسه مبتعدا عن نقل الحقيقة التاريخية و يغوص في مستنقع التزييف، لذا يجب توخي كثير من الحيطة و الحذر لأخذ المعلومة التاريخية غير مشوبة و صافية.

2- الأسلوب السردي: ويغلب على هذا الأسلوب السرد والتقرير والبعد عن التصوير، القائم على سرد الأحداث و الوقائع عن طريق التطور الزمني لها و إيجاد ترابط و تماسك بين أجزاء الموضوع وإظهار التطور الحاصل في السيرة المدروسة سواء كان ذالك سيرة ذاتية أو عن غيره.

3- الأسلوب التصويري: وهو المزج بين الأسلوبين السابقي الذكر، أي بين الطريقة السردية و الفنية الروائية.

و يضيف الكاتب نفسه في مقاله المعنون السيرة الذاتية و حقائقها في التاريخ عن تقريب السيرة من التاريخ يجب الالتزام بما يلي:

أ- الالتزام بالصدق التاريخي، وهذا بتكثيف البحث عن الحقيقة التاريخية من المصادر و المراجع الموثوقة و العلمية، فيبتعد بذلك عن الجانب الفني الخيالي و يصبغها بالصبغة العلمية التاريخية.

ب- عدم تحكيم العاطفة في هكذا عمل، لأنه من شأنه الانزلاق في الانحراف العاطفي و الابتعاد عن العلمية المرجوة[31].

[31] يوسف، م.، *السيرة الذاتية و حقائقها في التاريخ*، نقلا عن الموقع الالكتروني: http://maraji3-elondy.blogspot.com/2011/05/blog-post_26.html.

و الخلاصة أن الفن البيوغرافي هو أسلوب أدبي في ظاهره ولكنه قريب من الحادثة التاريخية مثلما هو قريب من الفن الأدبي السردي، ولو قلنا بالمزالق التي تنتظر الباحث المعتمد علي ذالك مثل ما أوضحه خليد طحطح في مقاله "عودة البيوغرافيا" لابتعدنا عن استعمال هكذا أسلوب و لانتهجنا ما ذهب إليه بورديوا في كتابه " الوهم البيوغرافي" أي نبذ المنهج البيوغرافي و اعتباره أسلوب غير علمي في كتابة التاريخ[32].

غير أن أهم ما يمكن أن يقدمه المؤرخ هو الحقيقة غير مشوبة بالأغيار، و هذا ما ذكره طحطح في كتابه تحولات الكتابة التاريخية، على أن البحث التاريخي يغوص في النفس البشرية مستخرجا ما يمكن أن يستفيد منه غيره من الباحثين في المجلات الأخرى، مستشهدا بما يلي: " إن المؤرخ في نظر ايمانويل لوروي لادوري (Emmanuel le Roy) مثله مثل عامل المناجم الذي يعمل في عمق الأرض، إنه يستخرج المعطيات إلى السطح"[33].

كما يذكر الباحث باسم توفيق عن ماهية التاريخ مثل يراها بلوتاركوس و يؤيده في مقاله المنشور بجريدة الوطن القطرية: "إن التاريخ ما هو إلا خليط من الملاحم الأدبية والحكاية الشعبية والأسطورة وبعض مبالغات كُتابْ السير، وأخيرا القليل والقليل فقط من الأحداث الواقعية المَروية من وجهة نظر الراوي." هكذا أجاب بلوتاركوس[34].

و في الأخير نشير إلى أن السيرة التاريخية كانت و لا تزال مجالا واسعا و شيقا للصناعة التاريخية، و أن المقاربة هي الوسيلة العلمية لتحقيق هدف الباحث لاستخراج الحقائق التاريخية، كما أن أثر الفرد في الحادثة التاريخية واضح المعالم و لا يمكن استبعاده منها لأنه جزء مهم،

---

[32] طحطح، خ.، 2011، ص.6.
[33] طحطح، خ.، 2013،
[34] توفيق، ب.، "الفارس النبيل. في ضمير الفكر الأوروبي"، جريدة *الوطن*، العدد 6836 الخميس 2014/05/22.

فلا يمكن تصور الحادثة التاريخية دونه، كما أن التاريخ ما هو إلا وعاء الخبرة الإنسانية، و العلم الخاص بالجهود البشرية[35].

و السؤال الذي يطرح بإلحاح هنا، هل يمكن تناول شخصيتي ماسينيسا و يوبا الثاني بتطبيق أسلوب المقاربة البيوغرافية لنصل إلى تحقيق الغاية النهائية و هي دراسة تاريخ منطقة المغرب القديم؟ و للإجابة عن هذا التساؤل نستعرض بعض من الدراسات لمؤرخين و منهم كامبس الذي جعل من شخصية ماسينيسا محور كتابه، في دراسة أصول سكان المغرب منذ بدايات التاريخ، و كان اسم العاهل الموريطاني هو الأبرز في ذلك، وأيضا يوبا الثاني الذي تناولته الكاتبة الفرنسية كلتولوني، و حتى المؤرخون القدامى لم تسلم كتاباتهم من سرد سير الملكين، أمثال بوليبيوس، و حتى عن غير هاتين الشخصيتين يمكن الاستدلال للإظهار مدى أقدمية هذا الأسلوب في تناول التاريخ، مثل كتاب سالوستيوس عن شخصية يوغرطة و غيره كثير و إنما استعرضنا هذه الأمثلة ليس على سبيل الحصر بل المثال فقط.

[35] الحويري، م.، 2001، *منهج البحث التاريخي*، القاهرة، ص.7.

الفـــــصـــل الأول

ماسينيسا في المصادر الأدبيـــــة و الأثريـــة

1- تسمية ماسينيسا.

2- ماسينيسا في المصادر.

أ- المصادر الأدبية.

ب- المصادر الأثرية: النقوش والرسوم.

3- دور الحروب البونيقية في تسليط الأضواء على شخصية ماسينيسا.

أ - انقلاب التحالفات بين ماسينيسا و قرطاجة و روما.

ب- ماسينيسا و حلم استرجاع قرطاجة أو طموح ماسينيسا.

4-علاقات ماسينيسا بالعالم الإغريقي.

5-علاقاته مع العالم الإيجي.

6-ماسينيسا بين الأسطورة و الحقيقة.

خلصنا في الفصل التمهيدي أن المقاربة البيوغرافية هي أسلوب علمي يقربنا من دراسة العصور القديمة بمنهجية غير متداولة، و لذا سنطبق هذه الوسيلة لدراسة شخصية فذة في تاريخ المغرب القديم "الملك ماسينيسا" فيكاد يكون شخصية متكاملة، فدراسة سيرة هذا الملك هو دراسة لتاريخ المنطقة.

1- تسمية ماسينيسا

تتفق الآراء على أن اسم ماسينيسا* (Massinissa)، مركب من مقطعين، "ماس" و معناه السيد، و"نسن" أي القوم أو الجماعة (Mes-ensen) وهي المحاولة التي قام بها مرسي (Gustave Mercier)الذي يتقن اللغة (الأمازيغية)، وبهذا يكون المعنى العام لاسمه: سيد الجماعة وفقا للهجات المحلية. أو "ميس انسن" بمعنى إبن الاثنين حسب اللهجة الشاوية. و يتساءل غانم عن المقصود بالاثنين، أهما والداه، أم الإلهين تانيت (Tanit) و بعل حامون(Baal-Hamon) *[1].

و لقد حملت كثير من النقود، الاسم (MN) اختصارا لـ(MSNSN) أي ماسينيسا[2]. ونجد القطعة النقدية التي عثر عليها السيد بريدوم (M. Prudhomme)، تحمل في أحد وجهيها رأس شخص مكلل، بلحية مدببة، و في الوجه الثاني للعملة، صورة فيل، وهي قطعة للملك

* ملك نوميدي عاش فيما بين 238-148 ق.م، حكم نوميديا ما بين 203-148 ق.م، كان والده غايا قد رباه على الشجاعة و حب الوطن، و حسنت تربيته و كانت خليقة بالأسر النبيلة و المالكة، نشأ في مدينة قرطاجة عام 232 ق.م، أتقن اللغة الفينيقية و الإغريقية بالإضافة للغته المحلية الليبية، يمثل رمز الوحدة النوميدية، اتخذ من كيرتا (قسنطينة) عاصمة لمملكته، انتقد بسبب موقفه من الرومان و مساعدته لهم للدخول إلى شمال إفريقيا. للمزيد من المعلومات يعاد إلى:غانم، م. ص.، 2010، *مقالات و آراء في تاريخ الجزائر القديم*، الجزء الأول، الجزائر، ص.124-127.

* ترجع الدراسات التاريخية بحسب الأبحاث، على أن الإلهين"تانيت" و "بعل-حامون" هما من أصول محلية، فالنصوص الهيروغليفية تتحدث عن عبادة المصريين لآلهة اسمها "نيت تحنو" بمعني "نيت الليبية"، و كذالك بالنسبة "لبعل-حامون"، فأمون و حامون هو اله واحد، و أمون هو الإله المعبود عند المحليين، و كان يرمز إلى الكبش، فقام القرطاجيون بتبني هذين الإلهين، بدل من الآلهة "ملقرت" و "عشترت" بسبب انهزامهم في معركة "هيميرا" عام 480 ق.م. للمزيد من المعلومات ينظر: حارش، م. هـ.، 2013، *دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر و بلدان المغرب في العصور القديمة*، الجزائر، ص.57-62. و غانم، م. ص.، 2006، *المملكة النوميدية و الحضارة البونية*، عين ميلة، ص.160-162.

[1] غانم، م. ص.، 2006، ، ص.54.

[2] قداش، م.، 1993، *الجزائر في العصور القديمة*، ترجمة صالح عباد، الجزائر، ص.79.

النوميدي ماسينيسا تحمل اسمه كاملا (Massinissan hamamleket)[3]، أي ماسينيسا مالك المملكة (Massinissa, possesseur du royaume)[4].

أما عن الجدل القائم حول كتابة الاسم إما بحرف S واحد، أم مزدوج فقد فصل فيه المؤرخ كامبس في كتابه "ماسينيسا أو بدايات التاريخ"، و رجح أن يكون الأصح هو بتعدد الحرف أي (Massinissa)، بعكس ما جاء عند قزال (Gsell)[5] أو جوليان (Charles-André julien)[6] أو كاركوبينوا (Carcopino) أو برتيي (Berthier)[7] و مازار (Mazard)، و نحى كامبس إلى جانب المستشرقين أمثال فيفري (Février)[8] أو شابو (Chabot) أو شور (Shur)[9]، أيضا أتت كتابته في كتيب المسكوكات على هذا الشكل بحرف S واحد في البداية و النهاية (Masinisan)، و يمثل ماسينيسا أول ملك نوميدي نقش اسمه على النقود[10]. ربما اقتداء بملوك الشعوب الأخرى التي بلغت درجة من التحضر كالإغريق مثلا.

ويعد نقش معبد دوقة (Dougga)، الذي يقع في الجزء الشمالي الغربي من تونس، أنشأ عام 138 ق.م من الملك ميكيبسا لتخليد ذكرى والده ماسينيسا في السنة العاشرة من حكمه هو

---

[3] Georges, D., Paul, G., 1892, *Description de l'Afrique du nord. Musées et collections archéologiques de l'Algérie et de la Tunisie,* Paris, p.24.

[4] Mahfoud, F., 2009, *Les rois africains de l'antiquité nos ancêtres les rois numides ou les aguellids des imazighen (du 3 siècle avant J-C. au 1 siècle après J-C),* Alger, p.36

[5] Gsell, S., 1927, *Histoire ancienne de l'Afrique du nord,* Tome.V, Paris, p.17.

[6] Julien, Ch., 1978, *Histoire de l'Afrique du nord. Des origines à la conquête arabe,* Alger, P.95.

[7] Berthier, A., 1981, *La Numidie Rome et le Maghreb,* Paris, p.35-48.

[8] Février, P. A., 1989, *Approches du Maghreb romain. Pouvoirs, différences et conflits,* Tome 1, France, p.94.

[9] كامبس، ق.، 1960، *في أصول بلاد البربر ماسينيسا أو بدايات التاريخ*، ترجمة و تحقيق العربي عقون، 2010، الجزائر، ص.226.

[10] Geuthner, P., 1923, *Manuel numismatique orientale de l'antiquité et du moyen âge*, Paris, p.104

النقش الوحيد الذي يعطي الشكل الليبي لاسم ماسنسن(MS'N'SN) وأن بقية النقوش هي إما لاتينية أو بونيقية أو إغريقية[11].

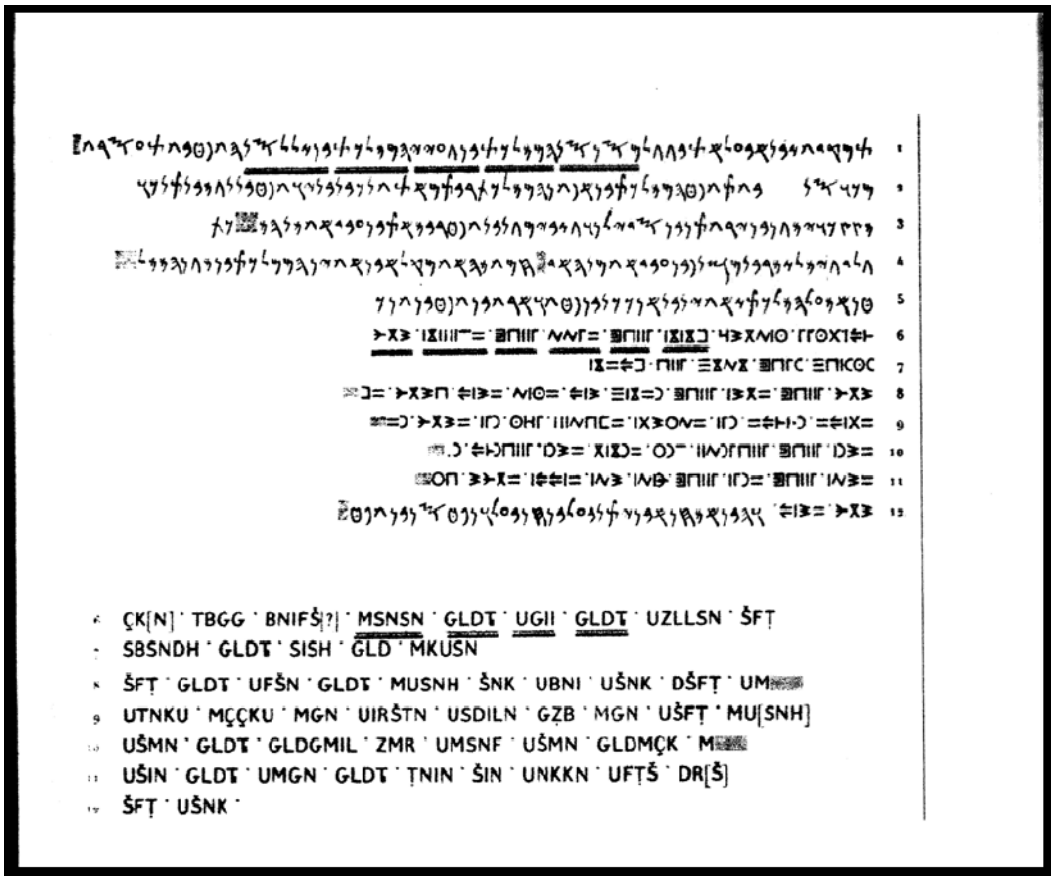

الشكل رقم:1– **نص دوقة المزدوج البوني الليبي وما يقابلهما بالحرف اللاتيني، نجد فيه أسماء كل من ماسنسن ووالده غايا.**

شنيتي، م. ب.، 2012، *نوميديا و روما الإمبراطورية. تحولات اقتصادية و اجتماعية في ظل الاحتلال*، الجزائر، ص.18.

[11] قزال، إ.، 1913، *تاريخ شمال إفريقيا القديم*، الجزء الخامس، ترجمة محمد التازي سعود، 2007، الرباط، ص.27.
حارش، م. هـ.، 2014، *التطور السياسي و الاقتصادي في نوميديا منذ اعتلاء ماسينيسا العرش إلى وفاة يوبا الأول 203-46 ق.م*، الجزائر، ص.15.

و أما عن النون الأخيرة في اسم ماسينيسا وغيره يقول كامبس هي جد متداولة في أسماء الأعلام (البربرية)، مثل ما جاء في كتاب كوريبوس (La Johannide de Coripe)* أن النهاية بـ EN هي أكثر استعمال من النهاية AN و بهذا يكون اسم ماسينيسا أقرب إلى الصيغة ماسينيسن[12].

كما يذكر أيضا مصطفى الأشرف، أن اسم ماسينيسا أو ماسينيسن (Massinissen)، هو من أسماء الأعلام (البربرية) المعروفة، و التي تعني: "أكبر و أعظم الرجال، أرقاهم مرتبة سيد الرجال، الخ..."[13].

و يضيف مصطفى الأشرف، أن هذا الاسم قد استمر عبر التاريخ ضمن متغيرات أخرى غير التي عاهدنها في التاريخ القديم، و لكن في أشكال و صور مختلفة، منها أسماء الذكور مثل: علناس، سيدهم، عليناس، علاهم (Alannas, Sidhoum, Aliennàs, Alàhoum)، و أسماء الإناث أيضا مثلت هذه الاستمرارية في معنى اسم ماسينيسا مثل: لالاهم (Lallàhoum)، بمعنى سيدتهم، و أعلى مرتبة في صنف الرجال أو النساء على حد سواء[14].

و أيا ما كان الأمر، فإن التاريخ السياسي قد حضى ماسينيسا بذكر أهميته، و مناقبه التاريخية، فالميثاق الوطني لسنة 1964م، قد أبرز و بوضوح إسهامات المغرب الأوسط

---

* كوربيوس الاسم الكامل (Flavius Cresconius Corippus) إفريقي ولد خلال القرن الرابع أو الخامس ميلادي، أحد ابرز شعراء العصر القديم المتأخر (l'Antiquité tardive)، كتب (La Johannide) في عهد الإمبراطور الروماني جوستينيان (Justinien)، و هي ملحمة لاتينية تتألف من ثمان مقاطع و 4700 بيت شعري تقريبا، و من خلالها مجد كوربيوس القائد البيزنطي جووان تروكليتا (Jean Troglita)، أرسل للقضاء على تمرد المور (Maures) بين عامي 546 و 548، هذه الملحمة وفرت للباحث معلومات تاريخية قيمة لا يمكن الاستغناء عنها، حتى و إن أهميتها هي أكثر أدبية منها تاريخية. للمزيد من المعلومات ينظر: Zarini, V., 1986," la préface de la Johannide de Corripe, certitudes et hypothèses », *Revue des études Augustiniennes*, p.74-91.et Charlet, J.,1994, « Corippe », *Encyclopédie berbère,* France, p.2104-2110.

[12] كامبس، ق.، 1960، ص.227.

[13] Lacheraf, M., 1998, *Des noms et des lieux. Mémoire d'une Algérie oubliée,* Alger, p.151.

[14] Lacheraf, M., 1998, p.152.

(الجزائر) في الحضارة، و التي تغوس إلى حدود الألفية الثالثة، و بالذات من خلال المملكة النوميدية في القرن الثالث و الثاني قبل الميلاد، و هنا إشارة واضحة للاسم اللامع للملك النوميدي المتألق، ماسينيسا، و تبقى استمرارية في أحفاده، و أقاربه أمثال يوغرطة*، الذي مثل أكبر معارضة، للاحتلال الأجنبي[15]، و أعاد ما حققه ماسينيسا من توحيد نوميديا[16] لتلعب الدور المنوط بها، و الذي أراده ماسينيسا خلال حياته و تمنى أن يستمر بعد أن يغادر هذه الدنيا.

2- ماسينيسا في المصادر

أ- المصادر الأدبية

تاريخيا تناولت المصادر الأدبية الكلاسيكية منطقة المغرب القديم في ظروف خاصة تتمثل في الحروب البونية (Les guerres Puniques). فمؤرخو اللاتين يشرون ضمنيا إلى

* ابن مستنبعل (Manastabal)، أحد ورثة عرش ماسينيسا، حين وفاته و أخيه غلوسة (Gulussa)، استفرد ميكيبسا بالعرش، كان أبا لأذربعل (Adherbal) و همبسال (Hiempsal)، فتبناه هذا الأخير، و يذكر ساليستيوس أن يوغرطة منذ نعومة أظفاره، كان معروفا بشجاعته، و قوته البدنية و العقلية، و يتصف بالجمال كان ينئ عن حياة الترف و البذخ،و يهوى ممارسة كل أنواع الرياضة مثل ركوب الخيل ورمى الرمح، و كان صفات جده ماسينيسا قد انتقلت إليه، و كان ينتصر على من هم من سنه، وحتى الخوف من الوحوش لا يعرفه و هو حديث السن، فكان يطارد الأسود، و قد استغرقت حربه مدة خمس سنوات من 111 ق.م إلى 106 ق.م، و التي مثلت استمرارية لحروب الرفض لأي شكل من أشكال الاحتلال بالمنطقة و جسدت بحق شعار " إفريقيا للأفارقة".للمزيد من الاطلاع ينظر: Salluste, *La guerre de Jugurtha*, VI, trad. Ch. Durosoir, 1865.

غانم، م. ص.، 2010، ص.129-132.

[15] F.L.N, 1964, *La charte d'Alger*, éditée par la commission d'orientation du F.L.N, ensemble des textes adoptés par le premier congrès du parti du front de libération national.(du 16 au 21 avril 1964), première partie, pour une révolution socialiste, chapitre 1, p.9-10.

[16] غانم، م. ص.، 2006، ص.76.

فدراليات القبائل، الماسيل (Massyles)* والمازيسيل (Masaesyles)** ، كما يتطرقون إلى ملوك نوميديين، غايا (Gaia) *** ماسينيسا و سيفاكس (Syphax)**** الذين كان لهم دور لا يستهان به في تلك الحروب. ألم يربط قابريال كامبس بين ماسينيسا و بدايات التاريخ عند البربر؟ و لكي نزيل كل إبهام سوف نتطرق إلى عينة من المصادر الأدبية التي ذكرت هذه الشخصية.

في هذا الصدد لقد عددنا خمس مصادر نذكرها حسب ترتيبها، و اعتمادا على مبدأ الترتيب التفاضلي لمجمل المصادر و تسلسلها الزمني نبدأ أولا بـ: بوليبيوس (Polybe) مؤرخ هلنستي (208 إلى 126 ق.م)، أي القرن الثاني قبل الميلاد، كتابه "التاريخ" (Histoire). ماركوس توليوس شيشرون (Cicéron) محام كاتب وخطيب روماني

* تذكر هذه القبائل المحلية منذ القرن الثالث ق.م حسب قزال، وهي أسماء محلية ويكون مفردها مسيل (Masil) أو مسول (Masoul)، و عرفهم الإغريق باسم مسوليوي (Masylioi) و مسُوليوي (Massylioi) مسولي (Massuli)، و يؤكد قزال على أن المسيل كانوا قبيلة قبل أن أعطوا اسمهم لدولة، و لا يحدد مكانهم عكس قبلة الماسيسليين كما سيأتي ذكرهم، لكن بلين يحدد قبيلة تدعى المسيلي (Massyli) ربما هي ما نحن بصدد الحديث عنها، تقع بين نهر الامساقا و سرنيكا أي برقة، و كانت مملكة المسيليين أي نوميديا الشرقية تتربع على مساحة اقل من جارتها المسيسيلية، و تأخذ جزءا من شرق الجزائر الحلية و غرب تونس، و حتى و إن هذه الماسحة قد تضاءلت بسب سياسة التوسع لمملك الماسيسيليين من جهة، و قرطاجة من جهة أخري، فأصبح لا تسيطر الأعلى الجزء الشرقي فقط لمدينة قسنطينة، وتذكر المصادر أن غايا كان ملكا لها و هو والد ماسينيسا، ظهرت على مسرح الأحداث منذ الحرب البونيقية الأولى، و تمتد حسب سترابون من بوقرعون شمالي قسنطينة، إلى حدود قرطاجة. للمزيد من المعلومات ينظر: قزال، إ.، 1913، ص.89-93.

** كانت تقع بين ملوشا و رأس تريتون، أما في الجنوب حيث قبائل الجيتول فمن الصعب تحديدها، و هي مساحة اكبر من مثيلتها مملكة الماسيل، قد ظهرت بها شخصية سيفاكس أول موحد لنوميديا، ما بين سوات 206-203 ق.م، ثم أصبحت تابعة لماسينيسا، قد ورد ذكر الماسيسيليين منذ 220 ق.م، و لا يمكن الجزم بتاريخ نشأتها، و يفترض أن أصولها مورية، و أنها هاجرت من المغرب نحو الأراضي المنفتحة و استقرت هناك، أي على قسم كبير من الجزائر. حول الموضوع ينظر: قزال، إ.، 1913، ص.89-92.

*** أحد أبناء زيليلسن (Zililsan) أخذ زمام الحكم في مملكة المسيل أي نوميديا الشرقية، ويدعي أيضا غالا (Gala) أو غولا (Gula) نحو 220 إلى 206 ق.م، عقد علاقات طيبة مع بلاد الإغريق و بلدان الشرق. للمزيد من المعلومات ينظر: Mahfoud, F., Alger, P.34. et Armand, A., 1844; *l'univers Afrique: esquisse générale de l'Afrique et Afrique ancienne. Carthage. Numidie et Mauritanie,* Tome III, Paris, p.94.

**** لقد ورد اسم سيفاكس في النصوص القديمة، إذ وصفته هذه النصوص على انه متزن الشخصية، راجح العقل و يتميز بحصافة، وسداد الرأي، كما عرف بان جل قراراته لا يخضها دون روية و بعد دراسة عقلية للموضوع المطروح عليه، ذلك في كثير من المواقف التي صادفته، كما ورد اسمه في النقوش البونية على الشكل التالي (س ف ق هـ م م ك ل ت)، و التي تعني مملكة سيفاكس أو الملك سيفاكس. لمزيد المعلومات ينظر: غانم، م. ص.، 1997، "الملك سيفاكس الكيان السياسي النوميدي"، *مجلة التراث*، العدد 9، باتنة، ص.13. Aït Amara, O., 2009, *Les soldats d'Hannibal,* France, p.76.

(106-43 ق.م)، أي خلال القرن الأول قبل الميلاد، تكلم عن ماسينيسا في أكثر من كتاب سواء " من الجمهورية" (de la République)، "خطاب حول النظم" (Discours sur les statues)، "حوار حول البلاغة" (Dialogue sur l'éloquence)، "الأعمال الكاملة لشيشرون"(Œuvres complètes de Cicéron)، و سترابون (Strabon) مؤرخا و جغرافي و فيلسوف إغريقي (64 ق.م-20 أو23 م)، نهاية القرن الأخير قبل الميلاد و بداية القرن الأول ميلادي، اشتهر بموسوعته" الجغرافيا" (Géographie). تيتوس ليفيوس (Tite-Live) من أكبر المؤرخين الرومان(59 ق.م- 17 م)، له كتاب حول تاريخ روما(Histoire Romaine) من 142 كتاب لم يعثر إلا على 35 منها. أبيانوس (Appien) مؤرخ إغريقي (في أواخر القرن الأول ميلادي 160 م)، أي القرن الثاني للميلاد، انتقل إلى روما و حصل على المواطنة الرومانية و ألف كتابه " التاريخ الروماني" (Histoire Romaine) في أربعة و عشرون جزءا الذي لم يصلنا كله[17].

وسنتناول هذه المصادر بالدراسة من أقدم مصدر من الفترة المدروسة إلى أبعدها. إذا وفقا لهذا المنهج سنتطرق بداية للمؤرخ الروماني ذي الأصول الإغريقية بوليبيوس وهو المؤرخ الوحيد الخليق بأن يوضع إلى جانب هيرودوت وتيوسديدس. اشتهر بسبب كتابه "صعود الإمبراطورية الرومانية" والذي يغطي بالتفصيل الفترة من 220 ق.م-146م، كتبه باللغة اليونانية بالرغم من إتقانه للاتينية، كان أقرب ما يكون من عائلة سيبيوين لأن سيبيو الأصغر Scipio (Aemilianus) * لما لمس منه فطنة وذكاء شديدين، وسعة اطلاعه أدرك

---

[17] Appien, *Guerres Civiles*, V, trad. M. Etienne, 2007, Nancy,
الكعاك، ع.، 1951، *البربر*، الجزائر، ص.18-30.

* هو من أشهر قواد الرومان ولد عام 185 ق.م،اشرف على تحطيم قرطاجة عام 149 ق.م،و المدعــو (le second Africain) ، اصغر أبناء بول إميل (Paul-Emile) الأربع، تبناه عمه الابن الأكبر سيبوا الإفريقي، و بذلك سيأخذ اسم العائلة ولا يحتفظ من أسرته إلا بالكنية (الإميلي)، مات في ظروف غامضة. لمزيد من المعلومات ينظر: Didot, F., 1854-1866, *Nouvelle biographie générale:depuis les temps les plus reculés jusqu'à nos jours*, Paris, p.665-666.

أهميته فتقرب منه بالمودة، وضمه إلى الدائرة السيبيونية التي تظم الرومان المتعلمين، و بذلك تخلص بوليبيوس من المعاناة التي لحقت به بسبب النفي لمدة ستة عشر سنة لأن روما عاقبت كل العصبة الآخية و التي أشهرت تأييدها لبرسيوس، رافق سيبيون في كثير من الوقائع الحربية، وأسدى إليه نصائح عسكرية قيمة، واختير في عام 149 ق.م ليمثل روما في تنظيم الوفاق الذي تم بين المدن الإغريقية وبين مجلس الشيوخ الروماني، ووفق في ذلك، أخذ حريته سنة 151 ق.م، وبعد أن عاش بوليبيوس ستين عاماً في جد متواصل اعتزل هذا النوع من العمل ليكتب كتبه الثلاثة: رسالة في الفنون العسكرية، وحياة فيلوبويمين (Philopœmen) وكتاب التاريخ الضخم[18].

و بذلك يمثل بوليبيوس أهم و أقرب مصدر لدراسة شخصية الملك الماسيلي للاعتبارات المذكورة وهي أنه قريب من عائلة سيبيون بالتي قريب من ماسينيسا، وشاهد عيان على تدمير قرطاجة*(Carthage).

---

[18] حمدان، ع.،1981، "بوليبيوس"، *الموسوعة العربية*، المجلد الخامس، دمشق، ص.608.

* تعد أعظم و أهم مدينة يؤسسها الفينيقيون على سواحل البحر المتوسط، تقع في موقع جغرافي ممتاز، على المضيق الذي يربط حوض البحر المتوسط وفي طرف شبه جزيرة متصلة بقارة إفريقيا أمامها عدد من الجزر المتناثرة، و بالرغم أن بعض المستوطنات الفينيقية هي أقدم منها مثل عوتيقة، إلا أن كما سبق ذكره هي أهم مستوطنة على الإطلاق، و التي تذكر الروايات التاريخية أن الأميرة "إليسا-ديدون" (Elissa) ابنة "متان" ملك صور، بعد ما فرت من بطش أخيها "بيجمليون" (Pygmalion) الذي قتل زوجها و خالها "أشرباس" (Echerbas)- أحد كهنة معبد ملقارت- فهاجرت إلى جزيرة قبرص و هناك انضم إليها كاهن معبد "عشتارت (Asterte)، ليدعمها بشرط أن تكون له و لأسرته، حق تسيير معابد المدينة الجديدة، غير أنها انتحرت بعدما طلب منها ملك الليبيين التزوج منها، تقع قرطاج على مقربة من مدينة تونس الحالية، بين "بوسعيد" و "لاجويت" ، و يعود تأسيسها إلى عام 814 ق.م، حتى وإن يري البعض من المؤرخين بأن تاريخ تأسيسها هو أقدم من التاريخ المتداول و المعروف، غير أن التنقيبات التاريخية لا تأكد حتى الآن صحة هذا القول، كما إن الاسم اللاتيني (Carthago)، إنما هو تحريف للأصل الفينيقي "قرت حدشت" (Qart Hadasht) أي بمعني "المدينة الجديدة" ، و لا يجب الخلط بين قرطاج أو قرطاجة و قرطاجنة التي بناه الفينيقيون في اسبانيا، و لقد تطورت قرطاجة من مدينة-دولة إلى عاصمة. حول الموضوع ينظر:

مهران، م. ب.، 1990، *مصر و الشرق الأدنى القديم. المغرب القديم*، الإسكندرية، ص.180-183.

إيمار، أ.، أوبوايه، ج.، 1964، *"روما و إمبراطوريتها"* ، *موسوعة تاريخ الحضارات العام*، المجلد الثاني، ترجمة فريد م. داغـر و فؤاد ج. أبو ريحان، بيروت، ص.40-43.

غانم، م. ص.، 2003، *التوسع الفينيقي في غربي البحر المتوسط*، عين مليلة، ص.102-112.

الطاهر، م.، بورونيَة، ش.، 1999، *قرطاج البونية*، الإسكندرية، ص.87-105.

على هذا الأساس سنتناول عينة من النصوص التي تطرق فيها بوليبيوس لماسينيسا ونبدأ بما ذكر من تفاصيل لشخصيته و قوته البدنية و العقلية. مثلما يرجع محفوظ قداش في كتابه " الجزائر في العصور القديمة " طول فترة حكمه (من 203 ق.م إلى 148 ق.م) لهذه القدرة[19]. حيث يذكر بوليبيوس: " كان ماسينيسا، ملك النوميديين، أفضلُ و أسعدُ الملوك في أيامنا. حيث حكم أكثر من ستين سنة، و ظل على الدوام في صحة جيدة. عاش طويلا، و بلغ سن التسعين سنة. و قد كان يتفوق على كل معاصريه بقوة البدن، فكان بإمكانه أن يضل واقفا كذلك نهارا كاملا في نفس المكان، عندما يتحتم البقاء واقفا. و عندما يتحتم البقاء جالسا فإنه لا يبدي أي حاجة إلى الوقوف. يتحمل الأتعاب التي تُحتّمها عليها المسيرات الطويلة على الحصان، في الليل كما هو الحال في النهار، دون أن يشعر بأي شكل من تلك الأتعاب. وها هو حدث يُوضح قوته البدنية: عند وفاته في سن التسعين سنة، خلف ولدا يبلغ أربعة عشر سنة، يسمي ستيمبانوس و هو الذي تبناه مسيبسا فيما بعد. و لقد كان له، قبل هذا المولود الأخير، تسعة أبناء آخرون"[20].

فهنا بوليبيوس يبرز قدرة ماسينيسا على التحمل، و بنية جسمه القوية التي لم يؤثر فيها حتى سنه المتقدم و قد بلغ التسعون سنة، كما لم يفته ذكر بعض ملامحه المعنوية حيث كان كما قال أسعد الملوك و أفضلهم على الإطلاق في تلك الأيام، فهذه القدرة الخارقة التي أوتيها ماسينيسا لم تكن معهودة، بل كانت خاصة به دون غيره من البشر، فإن يبقى المرء واقفا طول اليوم أو جلسا أو ممتطيا جوداه حتى أخر ليل أو نهار، دون أن تظهر عليه ملامح التعب هي من الخوارق البشرية، يقفز على حصانه دون مساعدة، يبقى في البرد و تحت

[19] قداش، م.، 1993، ص.74.

[20] Polybe, Histoire, XXXVI, 16, Trad. F. Bouchot, 1847, Paris.

المطر برأس عارية.[21] هي التي ربما أهلته أن يكون أفضل و أعظم الملوك النوميديين و يحقق المنجزات العسكرية و السياسية والاقتصادية.

لكن إذا أمعن النظر وحكمنا العقل و لاحظنا ما يمكن أن يتحمله الآدمي نجد بعض من المبالغة التي لا يمكن تقبلها. فقد يكون الشخص قويا ودرجة تحمله كبيرة و لكن ليس بتلك التي يذكرها بوليبيوس عن ماسينيسا، غير أن في تلك الفترة كان الإيمان بالخوارق أمرا مألوفا.

كما يذكر شارل أندري جوليان بعض من جوانب هذه البنية القوية، أنه كان له أربعا و أربعون ولدا و ربما أربعاً و خمسون*[22]. وكما جاء عند ديودور حسب كامبس بقي له فقط عشرة أولاد بعد وفاته فكثير منهم من قضى نحبه قبل سن الكهولة[23]، كما ذهب قداش أبعد من ذلك واصفا ملامحه الخلقية كحسن الوجه و طول القامة، و شعر طليق و لحية مدببة[24].

أما قزال فيتحدث عن الحياة المادية لساكنة المغرب القديم، أنهم أقوام أصحاء البدن و أعمارهم طويلة جدا[25]، مستندا لما ذكرته المصادر القديمة، و فعلا ما أتى به كل من

---

[21] قداش، م.، 1993، ص. 70.

* هذا راجع بالأساس لتعدد الزوجات، و كان في بلاد المغرب و شمال إفريقيا عموما، أمرا مألوف و مشروع، و كان مقصورا على الأثرياء و الأمراء و القادريين على ذلك ماديا، و قد مثلت هذه العملية، ظاهرة قديمة في بلاد المغرب، فقد أشار نقش مصري يعود للقرن الثالث عشر قبل الميلاد، إلى اثني عشر زوجة لقائد الريبو، كما توجد أدلة على تلك الظاهرة بالمجتمع النوميدي، و كذلك أنتشرت عملية ولادة الأطفال غير الشرعيين، خراج إطار الزواج، و هذا ما يفسر العدد الكبير لأبناء ماسينيسا. حول الموضوع يعاد إلى: حارش، م. هـ.، 2013، *مملكة نوميديا دراسة حضارية منذ أواخر القرن التاسع إلى منتصف القرن الأول قبل الميلاد*، الجزائر، ص.93-94.

[22] جوليان، ش. أ.،1969، *تاريخ إفريقيا الشمالية*، تعريب مزالي، م.، بن سلامة،ب.، تونس، ص .135.- و في هذا الصدد يتحدث قزال في بداية الفصل المتعلق بالحياة المادية لسكان بلاد المغرب، على أنهم كانوا كثيري العدد و هذا لعاملين اثنين أساسيين: أعمار طويلة جدا، وولادة كثيرة، و بالذات بالعائلات متعددة الزوجات. للمزيد من الاطلاع ينظر: قزال، إ.، 1913، *تاريخ شمال إفريقيا القديم*، الجزء السادس، ترجمة محمد تازي سعود، 2007، الرباط، ص.7.

[23] كامبس، ق.، 1960، ص.256.

[24] قداش، م.، 1993، ص .70.

[25] قزال، ا.، 1913، *تاريخ شمال أفريقيا القديم*، الجزء السادس، ترجمة محمد التازي سعود، 2007، الرباط، ص 7

هيرودوت :"إنني لا أعرف شعبا أصح من اللوبيين"[26]، و ساليستيوس (Salluste): " إنهم جنسُ رجال لهم أبدان سليمة، رشيقة و تُقاوم التعب، وأكثرهم يمتون بالشيخوخة، إلا من قضى نحبه بحد السلاح، أو بالوحوش، إذْ يقل أن يقضى عليهم بالمرض" لكنه يقول أن في هذا الكلام مغالاة[27]. غير أن الواقع لا ينفى وجود من البشر من يعيش طويلا و يتمتع بصحة جيدة، و مثال ذلك بأوكيناوا باليابان، أو أوفودا (Ovoda) بسردينيا، أو بكاليفورنيا بالولايات المتحدة الأمريكية.

فضلا عن ذلك، يواصل بوليبيوس حديثه ضمن نفس النص عن عائلته وفترة حكمه التي تميزت بالاستقرار و المنجزات الزراعية التي حققها ماسينيسا :" و بفضل المحبة التي كانت تجمعهم دائما، لم تعكر أبدا، سلم مملكته مؤامرة و لا أية جريمة عائلية، خلال حياته. لكن أجمل و أروع أعماله كان كالتالي: قبله، كانت نوميديا كلها جذبا و ساد الاعتقاد بأن أرضها لا يمكنها أن تقدم محاصيل، و رغم ذلك، فإنه بموارده فقط، أول من أثبت أنها تستطيع أن تنتج كل أنواع الثمار، بقدر إنتاج أي قطر آخر، و ذلك بإنشائه لحقول خاصة من عشرة ألاف بلتير، قسمها بين أبنائه، و قد اتضحت أنها خصبة جدا. أنه لمن الإنصاف التذكير بذلك و ذلك لإحياء ذكراه إحياء جديرا"[28].

حيث إن عائلة ماسينيسا كانت تسودها المودة و الترابط العائلي و ساد حكمه الاستقرار و الأمن الداخلي، هذا يرجع أساسا لإبعاده لمنافسه، مثل يوضح لنا هذا النص وجود حكم مركزي محكم لم يترك مجال للمناوئين من زعزعة وجوده، و هذا ما تعلمه ماسينيسا منذ نعومة أظافره، غير أن كامبس يري في الوفاء الوارد في النص إزاء ملوك الماسيل مبالغ فيه، لأن ماسينيسا قد عرف عدد من الخيانات من محيطه، و يورد كامبس بعض من المحن التي

[26] Herodote, *Histoires*, IV, CLXXXVII, Trad. Larcher, Paris, 1850.

[27] قزال، ا.، 1913، ص 7

[28] Polybe, XXXVI, 16.

اعترضت حكمه، كالخلافات بينه و بين الزعماء المحليين مثل ما حدث عام 195 ق.م بتمرد أفتر أو أفثير (Aphter ou Aphthir)[29].

أما عن سر هذا الترابط عند الماسيل بعكس ما كان موجودا عند جيرانهم الماسيسيل في الغرب، هل هو يعود في الأساس إلى شخصية ماسينيسا أم لعوامل أخرى؟ و بهذا الصدد يورد كامبس جملة من العوامل الجغرافية، منها الطبيعة الجبلية و الغابية التي كانت أكثر ملائمة لتربية المواشي، و امتداد السهول الخصبة الصالحة لزراعة الغذاء الأساسي للسكان و هي الحبوب، ساهم كثيرا في زيادة الارتباط بالأرض، كما أن الدليل الأثري على هذه الرابطة القوية بين الساكنة و الأرض، هي المقابر النوميدية، و لعل العوامل التاريخية في نظر كامبس هي أهم و أقوى من سابقتها، وهي مجاورتهم للقرطاجيين، كان ذو حدين فالمصاعب و الاعتداءات المتكررة التي كانت تلحق الماسيل من جيرانهم، فرب ضارة نافعة فقد اقتبسوا منهم صنوف الحضارة و عناصرها الأساسية، فقد بدأ منذ القرنين الرابع و الثالث قبل الميلاد، تظهر على مسرح الأحداث مدنا خارج سيطرة قرطاج مثل دوقة و تيفست (Theveste)* (تبسة)[30].

وتمثل مدة حكم ماسينيسا هي الأطول في تاريخ الشمال الإفريقي القديم[31]، و يتساءل كامبس عن حقيقة المعلومات الواردة في النص فيما يتعلق بالانجازات الفلاحية، وهل هي من

---

[29] كامبس، ق.، 1960، ص.260.

* هو الاسم اللاتيني خلال الاحتلال الروماني لها، و لقد عرفت باسم هيكتامبيلوس، و تعد من أقدم المدن اللوبية، و سميت كذلك تشبيها لها بمدينة طيبة المصرية، ذات المائة باب، وتؤكد المصادر التاريخية بوجود كثافة سكانية معتبرة بها تفوق 3000 عائلة، استنادا إلى عدد أسرى حانون القرطاجي من المدينة تبسة، و هذا إنما يدل فيدل على غنها كما أكده ديودور الصقلي، وقد تأثرت أيضا المدينة بالحضارة القرطاجية مثلما جاء عند قزال، من خلال التنقيبات الأثرية الموجودة هناك، و استمرت المدينة في لعب دور مهم خلال الحقبة الرومانية إذ أصبحت نقطة اتصال تجارية مفصلية بين الشمال و الجنوب، وكذلك لأهمية موقعها المشرف على المنطقة الشرقية الأوراسية، فقد استقرت بها الكتيبة الثالثة الرومانية لمواجهة التحديات بالمنطقة التي عرفت بشدة المقومات فيها. حول الموضوع ينظر: غانم، م. ص.، 2010، الجزء الثاني، ص.190-199.

[30] كامبس، ق.، 1980، *البربر ذاكرة و هوية*، ترجمة عبد الرحيم حزل، 2014، الدار البيضاء، ص.131-132.
حارش، م. هـ.، 2013، *دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر و بلدان المغرب في العصور القديمة*، الجزائر، ص.17.

[31] كامبس، ق ، 1960، ص 214-258.

وحي ماسينيسا في حد ذاته للكاتب، غير أن كامبس يؤكد صحتها في آخر المطاف لأنها نتيجة فترة طويلة من الحكم دامت ست و خمسون سنة كانت تتمتع البلاد بالسلم إلى درجة كبيرة و هذا ما يساعد فعلا على التنمية، و أن بوليبيوس عندما يجعل نوميديا غير مجدية فإنه لا يبالغ بل يجانب الحقيقة، و أن زيارته للملك سنة 151 ق.م، مع سيبيون لعقد صفقة الفيلة لا شك أنها أثرت في حكمه لان كامبس يرجح أن بوليبيوس حضر قطعاً موسم الحصاد[32] و بخلاف كامبس يرى آخرون دون نفي الدور الذي لعبه ماسينيسا في الزراعة، أن ما جاء به المؤرخ هو مبالغ فيه، لأن المنطقة حسب هيرودوت عرفت هذا المجال منذ فترة طويلة قبل ظهور الممالك المحلية: "و هناك في ليبيا غرب نهر تريتون ووراء أوسيس، بعد، قبائل تسكن البيوت العادية و يمارس أبنائها الزراعة"[33]. و لم تكن نوميديا قبل ماسينيسا عديمة الفائدة و غير قادرة على الإنتاج[34]. كما تشير نصوص كثيرة وآثار إلى أن زراعة الحبوب كانت متطورة قبل القرن الثالث[35].

و لم يتمكن النوميديون فحسب في ممارسة الزراعة وتطويرها مع مرور الزمن، بل حتى نجد اهتماماً من نوع آخر هو تربية النحل، الذي عرفُوه قبل هيرودوت بفترة طويلة[36].

لكن حري بنا أن نورد هنا نظرة محلية أخرى، انتقدت التصور الغربي الذي يرجع أي تطور بالمنطقة، إما للقرطاجيين أو الرومان، لوجود خلفية استعمارية لقابلية المنطقة للغزو فإن إصلاحات ماغون (Magon) *، و خلال القرن الخامس ق.م، و بعد انحصار دور قرطاج

---

[32] كامبس، ق.، 1960، ص .254-255

[33] هيرودوت، *التواريخ*، IV، ترجمة عبد الإله الملاح،2001، ابوظبي.

[34] حارش، م. هـ.، 2013، *مملكة نوميديا دراسة حضارية منذ أواخر القرن التاسع إلى منتصف الأول قبل الميلاد*، الجزائر، ص 113

[35] برنيان، أ.، نوشي، أ.، لاكوست، إ.،1960 ، *الجزائر بين الماضي و الحاضر*، ترجمة رابح اسطنبولي و عاشور منصف و مراد تفاحي، 1984، الجزائر، ص. .69.

[36] عيساوي، م.، 2009، ص.55.

* عالم قرطاجي، من القرن الثالث و الثاني قبل الميلاد، كتب أطروحة مهمة عن الزراعة باللغة البونية، والذي يعتبر من أهم المصادر المعتمدة في الموضوع و هذا لمدة عدة قرون، الكتب الثمانية و العشرون التي تضمنت هذه الموسوعة الفريدة من نوعها ترجمت إلى اللاتينية و الإغريقية، هذا العمل المهم ضاع عبر الزمن و لم يصلنا إلا عن طريق الإشادات التي ذكرها ==

في البحر، تقلصت وسائل الكسب فتوجهوا نحو الأرض، و أيضا حصول ماسينيسا على كتاب ماغون كان أصلا من وراء عملية إزهار الزراعة. فيورد عبد الله العروي تصوره لهذه الجدلية، أن الضغط السياسي لقرطاج على الساكنة هو من دفع بهم إلى رفع التحدي و زيادة الإنتاج إذ بلغ الفائض سنة 50 ق.م، ضعفي فائض قرطاج سنة 150 ق.م، و بالتالي زيادة الأرض المبذورة ليس بسبب تقنيات جديدة بل بسبب مثل ما يقول العروي "تسابق سياسي"، و أن ما أورده بوليبيوس هو خطأ سيردده المؤرخون اللاحقون[37].

في درجة ثانية نتناول شيشرون*، العينة من النصوص التي سنتطرق لها بالدراسة مع شيشرون، يجب أن تكون مختلفة في المواضيع عن التي تناولنها مع بوليبيوس، حتى نأخذ أكثر جوانب من حياة الملك النوميدي.

كان ماسينيسا وهو الذي يحتفظ بصداقته للسيبيونيين، لا يخفي إشادته بهم، فيذكر شيشرون على لسان سيبيون الإفريقي : "عندما وصلت إلى إفريقيا، قائدا للفيلق الرابع (Tribun) ، كما تعلمون، تحت إمرة القنصل مانيلوس (Manilus)، أول شيء أقدمت عليه هو التوجه للقاء الملك ماسينيسا، الذي تربطه بعائلتي صادقة حميمية وشرعية. بمجرد أن

== المؤرخون الرومان أمثال بلين الشيخ (Pline L'Ancien) و فارون (Varron)، نظرا لسبقه العلمي في هذا المجال دعي بـ"أب علم الزراعة" (Rusticationis parentem). لمزيد من المعلومات انظر:
قزال، إ.، 1913، *تاريخ شمال إفريقيا القديم*،الجزء الرابع، ترجمة محمد التازي سعود، 2007، الرباط، ص.11-40.
Pline L'Ancien, *Histoire naturelle*, XVII, trad. M.E. Littré, 1887, Paris.
الطاهر، م.، بورونيَة، ش.، 1999، ص.247-251.

[37] العروي، ع. هـ.، 2000، *مجمل تاريخ المغرب*، الدار البيضاء، ص .73-75.

* أعظم خطباء روما على الإطلاق، ولد بمدينة اربينوم (Arpinum) جنوب شرقي روما، تلقي أفضل تعليم، أتقن اللغة الإغريقية، و كان شغوفا بالعلم فلم تفته دروس الإغريق الزائرين لروما ، و استمع لأشهر خطبائها أمثال ماركوس انطونيوس أو كراسوس، والتحق بعد ذلك بأثينا لمواصلة الدراسة، زاول المحماة منذ 81 ق.م، وبرع فيها، انتخب قنصلا عام 63 ق.م، وكشف عن مؤامرة كاتيلينا (Catilina) عام 60 ق.م، لاقى أتعابا من منـاوئه.كان شيشرون مرآة عصره، و مؤلفاته حافلة بالأحداث، لا غني لأي مؤرخ عنها، يمكن تصنيفها في خمس مجموعات : الخطب، كتابته في البلاغة، الرسائل، كـتاباته في السياسـة و الفكر السياسي، مؤلفاته في الفلسفة و الأخلاق، بذلك كان أغزر الكتاب إنتاجا في العصور القديمة. للمزيد من المعلومات انظر: الزين، م.،1981، *شيشرون*، الموسوعة العربية، المجلد الحادي عشر، دمشق، ص. 875.

لمحني قام الشيخ ليقبلني، و الدموع في عينيه، مستذكرا والدي كورنيليوس سيبيون (Cornélius scipion) ، الذي لم تفارقه ذكراه أبدا"[38].

بالرغم أن هذا النص هو أدبي غير أنه يبرز لنا العلاقة بين الملك النوميدي و روما لأن العائلة السيبيونية ما هي إلا استمرار للحكم في إيطاليا، وهذه العلاقة التي تطورت إلى حد أن ماسينيسا ترك لسيبيون حرية اختيار من يخلفه بعد وفاته[39]، و هذا ما حدث فعلا، إذ قسم مملكة نوميديا على ورثة ماسينيسا، مكيبسا* (Micipsa) (MKW'SN) و غلوسا (Gulussa) (G'L'SN) و مستنبعل (Mastanabal) (M'S'TN'BL)، و قد وضع القنصل و القائد الروماني حدا فاصلا بين نوميديا و دولة قرطاجة المنتهية، خندقا عرف بالخندق الملكي(فوسا ريجيا (Fossa Regia)) ** الذي يمتد من طبرقة (Thabarca) إلى ثيناي (Thaenae)، و الذي لم يتجرأ الورثة الثلاث المساس بما رتبه سيبيون الإميلي[40]، وهذا ما يجعلنا نتساءل عن طبيعة هذه العلاقة بين ماسينيسا و روما، هل هي علاقة تابع و متبوع أم علاقة ند لند لا يجمع بينهما إلا المصلحة المشتركة؟

يؤكد محمد الصغير غانم، أن العلاقة بين نوميديا و روما، هي علاقة مصلحة متبادلة فالرومان إلى غاية تثبيت البروقنصلية الرومانية في شمال إفريقيا (Africa Vitus)، كانوا في

---

[38] Cicéron, *De La République*, VI, II, Trad. V. Poupin , 1911, Paris.

[39] قزال، إ.، 1913، الجزء الخامس، ص.111.

* هو احد أبناء ماسينيسا البكر، ولد في حوالي عام 200 ق.م، يقال انه تربي على كره القرطاجيين و مسالمة الرومان، لم ينجب أطفالا إلا في سن متأخرة من عمره، تولى الحكم و هو ابن أكثر من خمسين ربيعا، رأي في طموح ابن أخيه المتبنى يوغرطة، مخاوف على ابنيه هيممبصال وادربعل، لذا أراد حسب ساليستيوس التخلص منه في حرب اسبانيا، التي حقق فيها انتصارات كبيرة و نال إعجاب الرومان. للمزيد من المعلومات أنظر: غانم، م.، 2010، الجزء الأول، ص.127-128.

** قام القائد الروماني سيبيون الإميلي، رفقة عشرة من الموظفين الذين أوفدهم مجلس الشيوخ، إلى شمال إفريقيا، بعد تدمير و دك قرطاجة عام 146 ق.م، بحفر خندق يمتد على طول الفاصل بين خليج قابس إلى طبرقة على طول الساحل للبحر المتوسط، و هذا من أجل عزل الولاية التي أنشاها الرومان بالمنطقة عن باقي القارة. للمزيد من الإيضاح و الاطلاع يعاد إلى: المدني، أ. ت.، 1986، ص.75-76.

[40] شنيتي، م. ب.، 2012، *نوميديا و روما الإمبراطورية تحولات اقتصادية و اجتماعية في ظل الاحتلال*، الجزائر، ص 20-23.

أمس الحاجة إلى من يؤازرهم و يسند ظهرهم بالمنطقة و تجنب الوقوع في خطأ كل من أغاثوكليس (Agathocles) و روغولوس بالمغامرة بالإنزال في إفريقيا دون سند بالمنطقة فكانت النتيجة هي الفشل. كما أقر ماسينيسا و ابنه مكوسن بأفضال الرومان في توطيد حكمهم[41]. و يقاسم مؤرخون آخرون الرأي نفسه من أن روما وجدت في ماسينيسا حليفا، جيدا و قويا، لتنفيذ خططهم تجاه قرطاجة للتوغل بأراضيها و زعزعة استقرارها[42]، و استثمار هذا الصراع لصالحها، مثل ما أورده حارش ووضحه من خلال الخطاب الذي ألقاه أحد أصدقاء سكيبيوا الأفريقي أواخر الحرب البونية الثانية أمام مجلس الشيوخ الروماني : "ماسينيسا حقيقة صديق الشعب الروماني، لكن يجب ألا نغالي في تقويته و الأصح أن نراعي مصلحة الشعب الروماني"[43].

و ما يجب الإشارة إليه أن ماسينيسا كان حليفا في البدء للقرطاجيين، ثم انقلب للطرف الآخر و هذا للاعتبارات التي أتي بها شيشرون في النص الآتي:" ماسينيسا، ملك الماسيل في نوميديا، اتبع حزب قرطاج، في بداية الحرب البونيقية الثانية، لكن سيبيون الأفريقي(Premier Africain)* أطلق صراح ماسيوا (Massiva)[44]، ابن عمته دون فدية، فتأثر لدرجة أنه تعلق بالرومان، وبقي حليفهم الوفي للأبد، ساهم كثيرا في تحقيق نصر معركة زاما، و نال بالمقابل جزاء ذلك الولايات التابعة لسيفاكس، ملك المازيسيل، و جزء من إقليم قرطاج."[45]

---

[41] غانم، م. ص.، 2006، *المملكة النوميدية و الحضارة البونية*، عين مليلة، ص 126

[42] جوليان، ش. أ.، 1969، ص. 140.

[43] حارش، م. هـ.، 2013، ص.30.

* من أشهر القادة الرومان ولد سنة 234 ق.م، اتهم باختلاس أموال الدولة، و حكم عليه بالنفي إلى مدينة لترنتة، حيث مات هناك عام 183 ق.م، و عبثا كان يدافع عن نفسه بما حققه من إنجازات عسكرية لصالح روما، أوصى بأن يكتب على قبره: لن تنال رفاتي أيها الوطن الجحود. حول الموضوع ينظر: المدني، أ. ت.، 1986، *قرطاجنة في أربعة عصور من عصر الحجارة إلى الفتح الإسلامي*، الجزائر، ص.58.

[44] Gaïd, M., 2009, *Aguellids et Romains en Berberie,* 3 édition, Bordj el- bahri, p.20.

[45] Cicéron, *Songe de Scipion,* XVI, 3, Trad. M. Pottin, 1845, Paris.

وجدنا عند كامبس إشارة لعلاقة الممالك المحلية مع قرطاج منذ تأسيسها، في الأسطورة التي رواها يوستين، و كانت هذه العلاقة يشوبها شيء من التوتر من حين لأخر، لكن العربي عقون يستغرب لموقف كامبس بإنكاره لوجود ممالك محلية آنذاك، خاصة و أن اسم يارباس* (Hiarbas) يتكرر في سلسة ملوك الماسيل و هو تقليد عند المحليين إحياء لذكرى أسلافهم لدليل على وجودها[46].

أيضا بيومي مهران، يرجع هذه العلاقة الحسنة بين مملكة الماسيل و قرطاج إلى فترة حكم الملك غايا والد ماسينيسا، و الغريب في الأمر أن بيومي مهران لا يذكر التوتر الذي كان بين غايا و قرطاج، وذالك أن غايا قد حارب قرطاج قبل سنة 213 ق.م[47]، بعدها سيبقي غايا مخلصا لقرطاج حينما توترت الأوضاع مع سيفاكس سنة 213 ق.م، و قدم ماسينيسا "خدمات جليلة في إسبانيا"[48].

إلى حد أن غايا بعث بماسينيسا لتلقي العلم بقرطاج[49]، و يظهر أثرُ ذلك أن ماسينيسا سمى أبنائه بأسماء قرطاجية.

و مهما يكن من أمر فإن ماسينيسا قدْ انقلب إلى جانب الرومان، ليس بسبب العامل الذي أورده شيشرون، لأنه سبب غير مقنع، ولكن هناك دوافع أخرى ذكرها مجموعة من المؤرخين، فصغير غانم يتحدث عن بعد نظر ماسينيسا الذي اختار الطرف القوي في نظره و بدأ اتصالاته مع سيبيون في إسبانيا، فعرض عليه تحالفا يحقق مسعى الطرفين[50]. لكن آخرون سواء من

---

* هو ملك محلي يعتقد انه قاد قوم الماكسيتان (Maxitani)، غير أن أوسيثاتيوس (Eushate) يظن انه ملك المازيس، وقد حملت أقوام كثيرة هذا الاسم في إفريقيا القديمة، و هو حسب كامبس هو تحريف للاسم البربري "أمازيغ"و "إمازيغن". للمزيد من المعلومات ينظر: كامبس، ق.، 1982، *البربر ذاكرة و هوية*، ترجمة عبد الرحيم حزل، 2014، الدار البيضاء ، ص.188.

[46] كامبس، ق.، 1960، ص .193.

[47] غانم، م. ص.، 2006، ص .55.

[48] مهران، ب.، 1990، *المغرب القديم*، الإسكندرية، ص277

[49] Charles, R., 1834, *Abrégé de l'histoire ancienne de Rollin,* Tome 1, Lyon, p.71.

[50] غانم، م. ص.، 2006، ص .57.

المؤرخين القدامى أو المحدثون[51]، يصغرون من شخصية ماسينيسا ويرجعون أصل الخلاف بينه و قرطاج إلى هوى تملكه من ابنة القائد صدربعل (Asdrubal) "سوفينيزبه" (Sophonisbe) * و التي كانت موعودة له، لكن قرطاج أخلفت الوعد و زوجتها لحليفها الجديد سيفاكس. و قام ماسينيسا فيما بعد حينما دخل كيرتا بعد انهزام سيفاكس بقتلها[52]، أيعقل أن يكون ماسينيسا بقوة شخصيته وبعد تطلعاته، يقلب التحالفات لهكذا سبب تفه لا يليق بالملوك و لا بالعظماء! لكن ماسينيسا بدأ محادثاته قبل حدوث الزواج، مثل ما يمكننا أن نفهم عملية قتل سوفينيزبه بتقديمها كوب سم لتتجرعه بنفسها[53]، يمثل عملية إعلان حرب صريحة على القرطاجيين و لا تمثل في أي حال تصرفا انتقاميا مما حدث من قبل.

ولعل السبب الذي يتمشى و شخصية الملك الماسيلي، هو ضرورة استعادة أملاك أجداده (regnum paternum) من الدخلاء، أيا كان لونهم أو شكلهم وما تحالفه مع الرومان إلا تحقيقا لهذا الغرض، ألم يحمل شعار "إفريقيا للأفارقة"[54]!

ثالثا يأتي سترابون، المؤرخ و الجغرافي و الفيلسوف الإغريقي المتألق، ولد بأماسيا (Amasya) عام 64 ق.م على البحر الأسود، من عائلة ميسورة، فكان حظه أوفر لتلقي العلم و المعرفة على يد كبار العلماء، أمثال الجغرافي تيرانيون (Tyrannion)، و النحوي

---

[51] حارش، م. هـ.، 2013، *دراسات و نصوص في تاريخ الجزائر و بلدان المغرب في العصور القديمة*، الجزائر، ص.82.

[*] (221-203 ق.م)، أميرة قرطاجية تعود إلى عائلة ثرية، ابنة القائد القرطاجي عزربعل ابن جيكسون من سادة قرطاجة تزوجت بسيفاكس و هي ابنة عشرين سنة عام 205 ق.م، وصفها المؤرخ الرماني تيتوس ليفيوس بسحر الجمال، و قوة الشخصية ونباهة العقل، توفيت سنة 203 ق.م، متجرعة السم بعد إلقاء القبض على زوجها سيفاكس في معركة كيرتا، لما القي عليه القبض و اعتبرت من الغنائم و تزوجها ماسينيسا انتقاما، غير أن سيبيون الإفريقي لم يرضيها ذلك و طلب من القائد النوميدي العدول عن هذا الزواج. حول الموضوع أنظر: طراد، ن. إ.، 1997-1998، *تاريخ الرومان*، مصر، ص.149.
غانم، م. ص.، 2008، *سيرتا النوميدية النشأة و التطور*، عين مليلة، ص.211.

[52] Tome 5, p.428.1835 Charles, R.

[53] Dion Cassius, *Histoire Romaine*, CCXI, Tome 2, trad. E. Gros et V. Boissé, 1845-1870, Paris.

[54] حارش، م. هـ.، 2013، *مملكة نوميديا دراسة حضارية منذ القرن التاسع إلى منتصف القرن الأول قبل الميلاد*، الجزائر، ص.19.
كامبس، ق.، 1960، ص.7.

أريستوديموس (Aristodemos)، و الفلسفة مع زنارخوس (Xenarchos)، اعتنق الرواقية وشغف بالنظام الإمبراطوري بروما.

جال كثيرا في الأمصار، فزار أرمينيا وإيطاليا و بلاد اليونان ثم مصر التي أقام فيها من 25 إلى 20 ق.م، عاش في عهدي أغسطس و تيبريوس، ثم عاد إلى مسقط رأسه حيث وري الثرى هناك في 20 أو 23 م[55].

عندما يُذكرُ سترابون يذكر كتابه المميز "الجغرافيا" مكون من 47 جزءا، و الذي اتسم بالوصف بخلاف بطليموس(Ptolémée) الذي كان جغرافيا رياضيا فاهتم بحساب درجات الطول و العرض، و خصص سترابون الكتاب السابع عشر لوصف ليبيا و مصر.

و تقع جغرافية سترابون في مكان مميز بين المصادر الجغرافية، و لا بد للباحث التاريخي أن ينهل منها و إلا يعتريه النقص لما تقدمه هذه المصادر من وصف للمناطق المدروسة.

سنعمد إلى تطبيق نفس المنهج، بتناول نصين على الأكثر لكن يختلفان في المحتوى.

النص الأول و الذي يصف فيه سترابون مدينة سيرتا (Cirta) كعاصمة لملوك الماسيل :

" مباشرة بعد رأس تريتون، يبدأ بلد الماسيل و أيضا قرطاج، الواحد و الآخر ذو طبيعة مشابهة، بالداخل تقع كيرتا، البلاط الملكي لماسينيسا و خلفائه، مدينة محصنة و مزينة بجميع أنواع المباني و المؤسسات، و التي عادت لمكيبسا. و بفضل رعاية هذا الأمير، تم أيضا وضع مستعمرة إغريقية، فأضحت المدينة مزدحمة بالسكان، و التي أصبح بمقدورها تجنيد عشرة ألاف فارس و ضعف هذا الرقم من المشاة"[56].

---

[55] Jean, D., « Strabon (-65env.-env.25) », *Encyclopaedia Universalis,* URL : http://www.universalis.fr/encyclopedie/strabon/

[56] Strabon, *Géographie,* XVII, III, 13, Trad. Gabriel de La Porte Du Theil ,1819 Paris.

يحدد سترابون في البدء مملكتي الماسيل و قرطاج، اللتان تبدءان مباشرة بعد رأس تريتون* (Cap Treton)، بحيث كانت مملكة المازيسيل تحتل مساحة واسعة ثلثي (الجزائر) و جزءا من (المغرب)، و التي اتسعت في عهد سيفاكس بشكل مطرد على حساب المملكة المجاورة أي الماسيل[57].

ويفهم من هذا أن مملكة الماسيليين كانت إلى غاية 203 ق.م ذات مساحة ضئيلة و تتناهشها كل من قرطاجة من جهة، و مملكة الماسيسيليين من جهة أخرى. لكن ماسينيسا غيَر هذا الوضع و مد نفوذه على كامل المنطقة من موريطانيا** إلى حدود قرطاج أي من نهر ملوشا (Malucha) *** (نهر ملوية) إلى تسكا (Tusca) قرب طبرقة[58].

الحديث عن ماسينيسا يستدعي الكلام عن عاصمته سيرتا أو كيرتا**** وهو الأصح لفظا وكما يصفها سترابون أنها كانت عاصمة ماسينيسا و من خلفوه على عرش نوميديا من أحفاده أيضا، لكن هل كانت دائما تابعة للماسيليين و لماذا فضلها ماسينيسا عن باقي المدن التي كانت بحوزته؟

---

* رأس بوقارون في شبه جزيرة القل شمالي قسنطينة، يحدد الجغرافي الروماني سترابون، منطقة "رأس تريتونيس" بأنها تلك المناطق الجافة الواقعة بالقرب من مصب نهر "ملوية"، كما تم الإشارة ضمن النص انه: "رأس بوقرعون"، بشبه جزيرة القل، و لقد كان الإغريق القدامى يعرفونها باسم "الميتاغونيتس" (Métagonitis-terre)، كما أورد بوليبيوس هذه المنطقة حينما كان متحدثا عن تجنيد حنبعل، لأربعة ألاف فارس لحماية مدينة قرطاجة خلال سنوات 219-218 ق.م. حول الموضوع ينظر: غانم، م.، 2010، الجزء الأول، ص.134.

[57] كامبس، ق.، 1960، ص204.

** تغطي موريطانيا المناطق التالية: موريتانيا، الصحراء الغربية و المغرب الأقصى الحالي، أي موطن القبائل المورية في تلك الفترة و التي امتدت حدود هذه القبائل في الجوانب إلى الإثيوبيين. حول الموضوع يعاد إلى: غانم، م. ص.، 2010، الجزء الثاني، ص.159.

*** يذكر قزال أن وادي ملوشا (ملوخاث Molochath) هو الحد الفاصل بين مملك المور و مملكة سيفاكس أي الماسيسيليين، و أصبح يدعى في أوائل القرن الأول ق.م، باسمين هما ملوشا (Mulucha) و ملوا (Malva)، و خلال عام 42 م، فصلت ملوية (Moulouya) بين موريطانيا الطنجية و موريطانيا القيصرية، و يبلغ طوله 600 كلم، ينبع من الأطلس المتوسط و جبال الريف و يصب في البحر المتوسط، و هو أهم نهر بالمغرب الأقصى. للمزيد من المعلومات يعاد إلى: قزال إ.، 1913، الجزء الخامس، ص.86-87.

[58] قزال، إ.، 1913، الجزء الخامس، ص.93.

**** حرف C باللاتينية بنطق كاف و ليس سين كما هو الحال بالفرنسية، فبالتالي(Cirta) تنطق كيرتا (Kirta). و كانت تدعى كرطة من الفينيقيين و الذي يعني "حصن"، و لقي التحريف من الرومان فأصبحت تدعى سيرتا. أما صغير غانم أن الأصل هو كرتن (ك ر ط ن) (Krtn) و معناه المدينة أو القلعة المنيعة و المحصنة طبيعيا. ويورد نقود برونزية تحمل كتابة ترمز إلى اسم كرتن و لضرورة النطق اللاتيني أصبحت فيما بعد بسيرتا حول الموضوع ينظر:غانم، م. ص.، 2006، ص.115-116-221.

يستشَف من بدايات النص و كأن سترابون أراد أن يقول، بأن كيرتا كانت بحوزة الماسيسيليين، حتى و إن لا يذكر بصريح العبارة أنها كانت عاصمة لهم، وهذا حقيقي فعلا هذه المدينة، أصبحت من مناطق نفوذ سيفاكس ما بين سنتي (206-203 ق.م)[59] و اتخذها عاصمة ثانية بعد سيقا (Siga) * حينما ضم الإقليم الماسيلي، وهذا ما يؤكده تيتوس ليفيوس إذ يقول: " كانت سيرتا عاصمة لمملكة سيفاكس."[60]، وتتضارب الرؤى إذا ما كانت هذه الأخيرة جزءا من مملكة الماسيل، فقزال و تيتوس ليفيوس يستبعدان ذلك إلا أن الحقائق** التي استجلاها كامبس ترجح هذا الاحتمال، و هذا ما يفسر المكانة التي حضت بها لدى ماسينيسا[62]. فجعلها مقر إقامته و كان يستقبل الوفود فيها و يقيم المؤدبات التي تليق بالملوك[63]. ولربما اختارها ماسينيسا عاصمة لمملكته الموسعة، لاعتبارات جغرافية بحيث من المعلوم أنها ذات موقع منيع، معزولة بأودية عميقة لأمبساقا (Ampsaga) (واد الرمال) بعمق 1500 متر تقريبا، وهذا من جهاتها الثلاث. و لعل عامل طبيعي أخر حضاها بهذه القيمة، الأرض الخصبة التي تنتج الحبوب و تسمح بتربية المواشي[64]، ويذكر بيرتي أن كيرتا لا تظهر على مسرح الأحداث وتظل

---

[59] قزال، إ.، 1913، الجزء الخامس، ص.92.

* تقع على بعد أربع كلم من واد التافنة، على الضفة اليسرى، و تشرف على خليج جزيرة رشقون التي انشأ بها الفينيقيون محطة تجارية و بذالك تكون سيقا قد احتلت مكانا مهما، كانت عاصمة لمازيسيل بداية من القرن الرابع قبل الميلاد، و ازدادت أهميتها في عهد سيفاكس، و قد كانت أهم مدن الماسيسيل، فقد استقبل فيها سيفاكس عام 206 ق.م سيبيون و صدربعل (Asdrubal) معا، ويفترض كامبس انه في هذه المدينة قام دون شك بضرب نقوده، كما قد زاد بوخوس الأصغر (Bocchus) و رشة جديدة لصناعة النقود إذ جر التقليد بضرب العملات فيها. حول الموضوع ينظر:

Ernest, M., 1888, *Histoire de l'Afrique septentrionale (Berbérie) depuis les temps les plus-reculés jusqu'a la conquête française (1830)*, tome 1, Paris, p.102.

كامبس، ق.، 1980، *البربر ذاكرة و هوية*، ترجمة عبد الرحيم حزل، 2014، الدار البيضاء، ص.140.

[60] تيوتوس ليفيوس، تاريخ روما، VI، XII، نقلا عن قداش، م.، 1993، ص.86.

** منها التقاليد الجنائزية، و مظاهر الدفن، و العلاقة الموجودة بين كيرتا و روسيكاد (سكيكدة) توحي كلها أنها كانت جزءا من أراضي الماسيل.الحول الموضوع ينظر:كامبس، ق.، 1960، ص.205-206.

[62] كامبس، ق.، 1960، ص205.

[63] المدني، أ. ت.،1986، *قرطاجنة في أربعة عصور من عصر الحجارة إلى الفتح الإسلامي*، الجزائر، ص66.

[64] Bertrandy, S., 1994, "Cirta", E.B, France, p.1964-1977.

من نافذة التاريخ إلا خلال سنة 205 ق.م، لما سيفاكس نوى اعتراض تطلعات خصمه ماسينيسا بالمنطقة بعد انهزام لاكومازس (Lacumazés)[65].

وجود جالية إغريقية ليس بالأمر الغريب، لأن ماسينيسا، و بالأخص ابنه مكيبسا و الذي طور المدينة التي أصبحت مدينة هلينستية بامتياز، كأنه تحدي و خطاب للرومان أو حتى القرطاجيين من قبلهم باستبعاد أي أثر للدخلاء، و لعل الأموال التي مولت هذه المنشئات الضخمة، هي نتاج تجارة القمح المزدهرة لنوميديا الموحدة، الانفتاح على البحر المتوسط جعل مدينة كيرتا مدينة عالمية، تزدحم بالرعايا الأجانب، منهم لاجئون قرطاجيون بعد 146 ق.م (كهنة و حرفيين)، إغريق (معلمون، فنانون و عسكر في خدمة الجيش النوميدي)، رومان سيطروا على الحياة الاقتصادية بالتدريج[66]. و بلغ عدد سكانها حسب عبد القادر جغلول مابين عشرة ألاف إلى مائة و ثمنون ألفا، فزاد نشاطها الحرفي و التجاري، لأنها ملتقى الطرق التجارية[67].

بهذا أصبحت كيرتا مدينة متألقة تستهوي كل من يزورها، و نافست المدن الكبرى لدى الإغريق أو الرومان. و حتى في فترة الحكم الروماني لم تفقد من بريقها وأهميتها، فكانت متزعمة لتجمع أربع مدن كيرتا، روسيكاد، شولو (القل) وميلاف (ميلة) تحت اسم الكنفدرالية السيرتية[68].

و من كل هذا نستجلي أن ماسينيسا أراد من خلال عاصمته القوية، المنيعة و المزدهرة، أن يسير بالمنطقة من النظام القبلي إلى نظام الدولة.

---

[65] Berthier, A., 1981, p.35.

[66] Bertrandy, S., 1994, p.1964-1977

[67] جغلول، ع. ق.، 1982، *مقدمات في تاريخ المغرب العربي القديم و الوسيط*، ترجمة فضيلة الحكيم، الطبعة الأولى، بيروت، ص11-12

[68] كامبس، ق.، 1960، ص205-206.

و بنفس الكتاب يتحدث سترابون عن استيلاء و تحطيم قرطاج (Delenda Carthago) (يجب هدم قرطاج) من الرومان، و تحويلها إلي مقاطعة رومانية (Provincia Africa)، لكن لن نتناول سوى الفقرة التي تورد شخصية ماسينيسا:" الرومان انشئوا مقاطعة تابعة لهم فقط على الجزء التابع للقرطاجيين؛ و منحوا ما تبقى لماسينيسا و أبنائه، بالدرجة الأولى لمكيبسا(مكوسن)، لأنهم يكنون كثير من التقدير و الاحترام لماسينيسا، بسبب مآثره الكبيرة و تعلقه بهم. أنت أيها الأمير، فعلا، الذي، بتمدين النوميديين، تذوقوا طعم الزراعة، وجعلت منهم جندا منتظمين، بعد ما كانوا قطاع طرق؛ يعشون في بلد ممتاز على جميع الأصعدة"[69].

بتحطيم قرطاج كان ماسينيسا قد انتقل إلى عالم الأموات[70]، منذ تقريبا سنتين، عام 148 ق.م[71]، و خلال حياته سمح له الرومان بأخذ الأجزاء التي استولى عليها سواء من منافسه سيفاكس، أو أعدائه القرطاجيين فكان يتصرف دون مبالاة لهم و يحتمي بمعاهدة 201 ق.م*، و كان يتذرع بمتابعة المتمردين و احتلال ما سلمه سيفاكس للقرطاجيين من قبل، كذلك

---

69 Strabon, XVII. 3, 15.

70 Lanier, L., 1884, *L Afrique*, Paris, p.105.

71 جوليان، ش. أ.، 1969، ص.137.

* احتوت معاهدة زاما البنود التالية:

1.تحتفظ قرطاج باستقلالها و ممتلكاتها في إفريقيا.

2.تسليم كافة الفارين و الأسرى.

3.أن تسلم ما تملكه من سفن، باستثناء عشر سفن ثلاثية، و تسلم كافة أفيالها مع التحجير عليها ترويض أفيال أخرى في المستقبل.

4.ألا تثير حربا خارج إفريقيا أو داخلها في المستقبل.

5.أن تعيد لماسينيسا كل ممتلكاته و ممتلكات أسلافه.

6.أن تمد قرطاجة جيش روما بالمؤن و الأجور حتى تتم المصادقة على المعاهدة.

7.تدفع غرامة حربية تبلغ عشرة ألاف (10.000) وزنة أوبيه من الفضة، و تدفع أقساطا موزعة على خمسين سنة (أي 200 وزنة أوبيه في العام).

8.تسلم مائة رهينة (100) رهينة، يختارها القائد من البالغين ما بين 14-30 سنة كضمان لتنفيذ بنود المعاهدة. لمزيد من المعلومات ينظر: رمضان، ت.، 1993، "معاهدة زاما(201 ق.م)"، *توالت. مجلة الدراسات التاريخية*، العدد السابع.

ويري الصغير غانم أن هذه المعاهدة زادت من تورط الملك الماسيلي في تكريس الوجود الروماني بالمنطقة لان اغلب بنودها أتت لصلح الرومان. حول الموضوع انظر:غانم، م.، 2006، ص.63.

حارش، م. هـ.، ص.185-186.

استغل ضعف قرطاجة و وقوف الرومان إلى جانبه، وخاصة أن معاهدة زاما (Zama)* لم تحدد بشكل واضح الحدود بين مملكة ماسينيسا و ممتلكات الدولة القرطاجية، في حين تسمح للملك النوميدي أن يطالب متى شاء بما كان يملكه أسلافه، و على هذا الأساس مضى ماسينيسا لينتزع ما بين سنتي 174 و 172 ق.م، ما يزيد عن سبعين مدينة و موقعا، وفي 162 ق.م ضم مدن إمبوريا** (Emporia) و لبدة الكبرى (Leptis Magna)، و في 153 ق.م أخضع ناحية السهول الكبرى (les Grandes Plaines) (الوادي الأوسط في مجردة) و التي كانت تدعى "بكارثة السهول الكبرى"[72]، ثم استغلت روما الحرب المعلنة على ماسينيسا، و التي حقق فيها هذا الأخير نصرا عظيما و هو في سن الثمانية و الثمانيين للإجهاز على قرطاج و تصفية وجودها نهائيا عام 146 ق.م على يد سيبيون الإميلي[73].

مثلما أورد ستربون بنفس النص، على أن تمدين النوميديين، و جعل منهم أناس يفلحون الأرض، و ينقلون من طور البداوة إلى المدنية المتطورة مثل باقي الأمم[74]، لأن حلم ماسينيسا منذ البداية كان أن يصير عاهلا و ملكا لا سيد قبيلة[75].

خلال نصف قرن من الكفاح الطويل و البناء المستمر، تمكن ماسينيسا من أن يجعل من نوميديا دولة تخشاها روما و تسعى لتجزئتها و إضعافها، و كان له الفضل كما يذكر

* ذكرت لأول مرة من المؤرخ الروماني كورنيليوس (Cornelius Nepos)، حينما كان بصدد الحديث عن مكان عن أهم و آخر معركة للحرب البونية الثانية، تقع في الجزء الشمالي الشرقي لتونس، على بعد خمسة أيام مسير عن مدينة قرطاج. حول الموضوع ينظر: Ait Amara, O., 2009, p.63.
Jacques, B., 1806, *Annibal à Carthage après la bataille de Zama,* Paris, p.44.

** بحسب التعبير الذي يستعمله رولان (Rollin) في كتابه الأعمال الكاملة أن الإمبوريا (Emporium) أو (Emporia) كانت مدينة في إفريقيا، تقع على طول السرت الصغير (La petite Syrte)ن و هي منطقة جد خصبة، و منها مدينة لبدة (Leptis) أو تعرف أيضا بـ (Lempta) هي الأكثر أهمية، و لربما للأهمية الاقتصادية للمنطقة المذكورة أصر ماسينيسا على إلحاقها بنفوذه. حول الموضوع ينظر: Charles, R., 1826, Tome 2, p.117.

[72] Gaïd, M., 2009, p.33.

[73] قداش، م.، 1993، ص.70-71.

[74] Strabon, XVII. 3, 15.

[75] جوليان، ش. أ.، 1969، ص.134.

سترابون، في تمدين الساكنة، الذين ألفوا حياة الحضارة[76]، وما تبع ذلك من مظاهر التطور مثل باقي دول حوض البحر المتوسط.

بقي الآن أن نستعرض مصدر أخر، ألا و هو للمؤرخ، تيتوس ليفيوس(59 ق.م–17م) المؤرخ الروماني الشهير، بل أكبر مؤرخ عرفه العصر الجمهوري، ولد بشمال إيطاليا بمدينة بتافيوم (Patavium) التي كانت موطنا لشعراء كبار أمثال فرجيل (Virgile) و كاتولوس (Catullus)، ترعرع في أسرة نبيلة، لم تكن له طموحات سياسية فانكب للدراسة و التأليف، وهذا ما أهله أن يكون أفضل المؤرخين آنذاك، عكف وهو ابن الثلاثين ربيعا، على تأليف كتابه حول تاريخ روما الذي أخذ منه خمسة و أربعين سنة من حياته، موزع على 142 كتابا، سطر فيه كل ما تعلق بروما منذ إنشائها سنة 753 ق.م إلى موت دروسوس (Drusus) عام 9 ق.م، عرف كتابه باسم (Ab Urbe Condita) أي "منذ تأسيس المدينة"، و يندرج عمله تحت تراث التأريخ الحولي الروماني، انتقد على أسلوبه الأدبي الذي لا يرقى إلى البحث العلمي أو التاريخي، لكن يبقى تيتوس ليفيوس أكبر المؤرخين الرومان، و الذي كان المعجبون يشدون الرحال من أجل رأيته[77].

فتاريخ أكثر من ستة قرون لروما، ليسيل لعاب الباحثين المهتمين بهذه الفترة، و لاشك أنه تطرق لشخصيتنا، لارتباط التاريخ الروماني بها في حقبة ما.

إذن النص المترجم، يتعرض فيه ليفيوس لمرحلة حرجة ومصيرية من تاريخ ماسينيسا والتي أعقبت قراره بالعودة إلى إفريقيا بعد وصوله نبأ وفاة عمه أوزلاقن (Oezalcen)، ثم مقتل كابوسا (Capussa) الابن الأكبر، بعد الخيانة التي تعرض لها هذا الأخير من مازايتول (Mazaetulli) الذي اسند العرش للشاب الأصغر سنا من ماسينيسا، لاكومازس و احتفظ هو

[76] Strabon, XVII. 3, 15.

[77] الزين، م.، 1981، *تيتوس ليفيوس*، الموسوعة العربية، المجلد السابع عشر، دمشق، ص .336.

بتسيير الأمور، هذا ما دفع بماسينيسا للمطالبة بالملك حسب ما يقتضيه العرف بالمنطقة بحد القوة[78].

يقول ليفيوس في هذا الصدد:" ماسينيسا، بتلقيه خبر وفاة عمه، ثم ابن عمه بعد ذلك انتقل من إسبانيا إلى موريطانيا أين كان يحكم الملك باغا (Baga)، الذي وضع حرسا لمرافقته بأربعة ألاف رجل، بدل من جيش لاستعادة حقوقه، فتحرك نحو الحدود بعد ما أرسل لمؤيديه للالتحاق به، عند وصوله، لم يجد سوى خمس مائة رجل، و حسب الاتفاق مع ملك المور خلى سبيل الحرس المرافق، و التحق بذويه و الأسى يتملكه لقلتهم، فلم يغامر بهذا العدد غير الكاف، لكن كان يؤمن أن السرعة و الصرامة يضاعفان من قوته و مصادر نصره هرع إلى تابسوس* (Thapsus)، أين التقى لاكومازس الذي عقد العزم لملاقاة سيفاكس. ضجة النصر حتى و إن كانت ليست معتبرة، جمعت النوميديين حول ماسينيسا"[79].

يتضح لنا من نص ليفيوس، أن القاعدة التي تبنتها القبائل النوميدية في تولي العرش** هي من ألهمت ماسينيسا لتنفيذ تطلعاته نحو المنطقة، و إيجاد قاعدة للانطلاق في هجماته على أعدائه من داخل نوميديا أو من خارجها.

ترك ماسينيسا قادس (Gadès)*** بإسبانيا عام 206 ق.م، ليحل بموريطانيا على الملك

---

[78] حارش، م. هـ.، 2013، *التطور السياسي و الاقتصادي في نوميديا منذ اعتلاء ماسينيسا العرش إلى وفاة يوبا الأول 203-46 ق.م، الجزائر*، ص15.

* بحسب الخريطة التي أوردها حارش، فان مدينة تابسوس تقع في القسم الشرقي الأوسط، جنوبي موقع قرطاجة، قرب مدن مثل ريتا في غربها و أوزيتا في شمالها، و هي مدينة تطل على البحر من جهتها الشرقية، لا يمكن الوصول إليها إلا من خلال ممرين في الجنوب حيث مستنقع كبير، و في الغرب المستنقع بشملها أيضا مما يجعله مدينة منيعة بطبيعتها، شهدت معركة حاسمة في عام 46 ق.م، بين يوليوس قيصر و سكيبيو ميتيللوس و الملك النوميدي يوبا الأول، و كان النصر حليفا لقيصر. حول الموضوع ينظر: حارش، م. هـ.، 2014، ص.84-86.

[79] Tite-Live, , *Histoire Romaine,* II, 33, trad. M. Nisard, 1839, Paris.

** كان الملك تختص به أسرة، بالمعنى الواسع للكلمة، أي مجموع انسباء يرجعون عن طريق الذكور إلى جد مشترك ورئيس هذه الأسرة يكون هو الأكبر سنا بين الذكور الأحياء المولودين من زواج شرعي و إليه يعود الملك. فإذا توفى انتقل الملك إلى الذي صار الأكبر سنا في المجموعة. للمزيد من المعلومات ينظر: كامبس، م.،1980 ، ص.133.

*** حسب بلين أن معني قادس هي مكان حصين أو قلعة، أما في الكتب الحديثة فيرجعون أصل التسمية إلى أصل سامي، بمعنى المناعة و القوة و يقولون انه مأخوذ من كلمة قادر، يحدد جغرافيتها المؤرخ بومبينيوس ميلا (Pomponius Méla) على أنها جزيرة وهي عكس ذلك إنما هي مدينة من ضمن جزيرة، يقول ميلا أنها كانت منفصلة عن اليابسة بممر مائي، و ارتفع==

باقا، الذي وفر حراسة من أربعة ألاف رجل للمرور عبر أراضي سيفاكس، و الوصول إلى مملكة والده، حيث كان ينتظره هناك مناصروه و الذين لم يتعدى عددهم خمس مائة مناصر فقط[80]. سيحقق ماسينيسا النصر على مازايتول في البداية، مما ساعد ماسينيسا أن يعرف بمسعاه للقبائل الماسيلية والالتفاف من حوله[81].

و مهما يكن من أمر فإن ماسينيسا، قد مضى في طريقه لتحقيق مبتغاه، مستفيدا من التجارب، بالرغم من الانتكاسة العسكرية عام 205 ق.م[82].

أخيرا نتناول خامس و أخر مصدر من حيث الترتيب المذكور أعلاه، للمؤرخ الإغريقي أبيانوس (90-160م)، ولد بالإسكندرية، ونشأ فيها. وبعد حصوله على حقوق المواطن الروماني انتقل إلى روما. عاش في القرن الثاني للميلاد، وعاصر الأباطرة: تراجان (Trajan)، وهادريانوس (Hadrien)، وأنطونيموس بيوس (Antonin le pieux) . وفي شيخوخته كتب تاريخ روما من 24 كتابا، لم تصلنا كلها، كتبها بالإغريقية، تسطر حروب روما بتتبع ترتيب جغرافي، للمناطق المحتلة حتى السيطرة على شبه الجزيرة العربية[83].

النص الذي سيكون محل الدراسة، و هو خاتمة العمل المتعلق بالمصادر الأدبية، التي تناولت شخص ماسينيسا، ارتأينا أن تتضمن آخر عهد الملك الشيخ بهذه الحياة، أي وقت مماته عام 148 ق.م، سنتين قبل هزم قرطاجة و تحطيمها عام 146 ق.م.

اعتمدنا على رواية أبيانوس التي استقيناها من الكتاب الرابع الذي صدر تحت عنوان "تاريخ روما"، و هي ترجمتنا للعنوان الأصلي باللغة الفرنسية

==في جانبها راسين، بني على احدهما مدينة قادس و المقابلة للمحيط، أما الجزء الثاني المطل على البحر المتوسط فشيد عليه معبد الإله المصري هرقل، كما يعتقد المؤرخون على هذه المدينة نشأت على أنقاض مدينة ترشيش المذكورة في التوراة، و أن هذه المدينة زالت لتحل محلها قادس في القرن الثاني عشر ق.م. حول الموضوع ينظر: غانم، م. ص.، 2003، ص.81.

[80] Armand, A., 1844, p.201.

[81] غانم، م. ص.، 2006، ص.58-59.

[82] غانم، م. ص.، 2010، *مقالات و آراء في تاريخ الجزائر القديم*، الجزء الثاني، عين مليلة، ص.132.

[83] Maud, E., 2007, *Le livre V des guerres civiles d'Appien d'Alexandrie,* Thése en langues et littérature greques, Univrsité Nancy, Ecole doctorale, HISCANT, France, p.1-8.

(Histoire Romaine) ، بحيث تطرق أبيانوس في هذا النص للانتصار الذي حققه سيبيون الإميلي على جيش صدربعل، و استدعاء ماسينيسا لهذا الأخير، أي سيبيون، للبث في قضية العرش بين أبنائه الثلاثة[84].

في الكتاب الثامن تحت عنوان كتاب إفريقيا (Le livre Africain)، و ضمن الجزء المخصص للقرطاجيين (Le livre Carthaginois)، يتعرض أبيانوس بالحديث عن:" في غضون ذلك، أرسل مجلس الشيوخ (Senatus)، إلى الجيش الروماني بشمال إفريقيا، لجنة تحقيق، لتقصي الوقائع، حول مجريات الأحداث هناك. أمام اللجنة، صرح مانيلوس، و مجموع الجيش و قادته الذين سلموا من أهوال الحرب، لصالح قائدهم سيبيون لذا حين عودة مبعوثي مجلس الشيوخ لروما، أذاعوا كفاءة و قدرة سيبيون، ومدى تعلق الجيش و انبهاره به. سُر المجلس للخبر، لكن، نظرا للانتكاسات و الإخفاقات العديدة التي صادفها الجيش، أرسل سفراء إلى ماسينيسا لطلب الدعم العسكري ضد قرطاج. السفارة و حتى و مع ذلك، لم تتوصل من لقائه. مكروب بالمرض و الشيخوخة، وأمامه أبناء غير شرعيين كثر، و الذين منحهم هبات معتبرة، لكن ثلاث منهم شرعيون فقط، أظهروا من خلال نشاطاتهم اختلافات جوهرية، أرسل ماسينيسا في طلب سيبيون، على أساس الصداقة الموجودة بينهما مثل ما كان جده من قبل، لطلب استشارة حول أبنائه و مملكته. مباشرة سيبيون لبى الطلب وراح للقائه، قبيل وصوله، ماسينيسا، و في حشرجة أخيرة و الموت يترقبه، أوصى أبنائه بالطاعة لسيبيون، مهما يكن القرار الذي سيتخذه بالنسبة لتقسيم تركة العرش بينهم. بهذه الكلمات الأخيرة، لفظ ماسينيسا أنفاسه"[85].

---

[84] قداش، م.، 1993، ص.83.

[85] Appien, *Histoire romaine,* VIII, le livre Africain, CV, trad. Paul. G avec la collaboration de Serge. L, 2002, Paris.

بالرغم أن أبيانوس قد أخذ عن بوليبيوس، الذي عايش فترة حكم ماسينيسا، لذا فبوليبيوس يعتبر من أفضل المصادر لدراسة هذه الفترة، لكن التلف الذي لحق عمله المتعلق بإفريقيا، جعل قزال يبدي تحفظا بما يخص المعلومات المروية عن هذا المؤرخ نقلا عن الإخباريين الرومان[86]، غير أن هذا لا ينفي أهمية ما أنجزه أبيانوس الإسكندري، فيما يتعلق بالأعمال التاريخية، و الطريقة التي اعتمدنها في بداية عملنا هذا، سنواصل العمل بها مع أبيانوس، إذ النص المدروس يختلف في محتواه عن النصوص المدروسة سابقا.

يتناول النص فترة مهمة من حياة الملك النوميدي ماسينيسا، آخر عهده بالحياة، ولكن قبل هذا يتحدث أبيانوس عن حرب ربيع 149 ق.م، و التي كانت بداية للحرب البونيقية الثالثة، بعدما انتهز ماسينيسا أحد بنود معاهدة زاما، و الذي يسمح له باسترداد ممتلكات أجداده من القرطاجيين، غير أن هذه الأخيرة ضاقت ضرعا من تصرفات الملك النوميدي و ردت بالمثل، فكان التدخل الروماني، وجند مجلس الشيوخ 80.000 جندي من المشاة و حوالي 4.000 فارس، تحت إمرة كل من مانيليوس الذي تولى الجيوش البحرية و لوكيوس ماركيوس كونسورينوس (L. Marcius Consorinus) لقيادة البحرية[87].

نتيجة لخسائر الجيش الروماني أمام القائد القرطاجي صدربعل، أرسل المجلس لجنة تحقيق، بحيث خرجت بنتيجة إيجابية اتجاه القائد الشاب سيبيون الإميلي، بحسب شاهدة مانيلوس و أيضا الجيش المرافق، غير أن مجلس الشيوخ، اتقاء لكل مفاجئة، حسب ما أورده أبيانوس، أرسل سفارة للحليف الذي أوجد لهم موطأ قدم بإفريقيا، كي يمدهم بالعون العسكري، مثل ما تعودوا في كل مرة، بريتي في هذا الصدد يورد حقيقة تاريخية، أن بعد الانجازات التي حققها ماسينيسا وضم أكثر من خمسين مدينة أسرعت روما للتدخل خلال سنة 151 ق.م، و هذا لم يرق للملك النوميدي، الذي لم يبقى بينه و بين حلمه الأبدي، و هو مدينة

[86] قزال، إ.، 1913، الجزء الخامس، ص.20.
[87] حارش، م. هـ.، 1992، ص.70.

قرطاجة إلا مسافة ضئيلة، و أن المدينة التي عاش بين جدرانها 232 ق.م، أصبحت على مرمى حجر، فيأتي غيره ليقطف ثمرة جهد دام سنون طويلة، لذا راوغ و ماطل في الاستجابة على طلب المساعدة[88]، هذا من غير عادة العاهل النوميدي، تدخل روما لم يكن بريئا و لا من أجل مساندة ماسينيسا بل لقطع الطريقة على هذا الحليف الذي بدأ يشكل خطرا على مصالح روما ومنع إلحاق و ضم قرطاجة[89]، يذكر أبيانوس أن السفارة لم تقدر الوصول إلى ماسينيسا[90]، لربما الملك هو تجنب هذا اللقاء، للأسباب التي ذكرناها من قبل.

ما يهمنا في الأمر هو حالة ماسينيسا التي يبدوا أنها لم تكن جيدة، و لعلنا في سنة 148 ق.م، العام الذي يجزم أغلب المؤرخون على انتقال الملك النوميدي لعالم الأموات، فحينما أحس ماسينيسا بقرب أجله، أرسل في طلب صديقه الروماني سيبيون الإميلي[91].

بوفاة ماسينيسا، قام سيبيون بتقسيم عرش نوميديا على أبنائه الثلاث[92]، حسب وصية صديقه الملك، أو ربما حسب رغبة روما التي لن ترضى بأن تتقوى مملكة محلية على أقل تقدير ستخلف قرطاج بالمنطقة، وهذا الاحتمال رغم ضآلته غير وراد في حسابات روما لأنه يتعارض و مصالحها، فتجربة قرطاجة لن تتكرر مرة أخرى.

قضية تولي سيبيون تقسيم العرش بين الإخوة الثلاث مكيبسا، غلوسن و مستنبعل، هي في نظر بعض المؤرخون تجاوز للواقع بكثير، حيث أن ماسينيسا لم يخرج عن عادات و تقاليد القبيلة الماسيلية التي كان ينتمي إليها بتوريث الأكبر سنا في العائلة، بحيث عهد العاهل النوميدي بالخاتم الذي يرمز للقوة و السيادة، لابنها الأكبر مكيبسا، و هذا إدلاء كاف

---

88 Berthier, A., 1981, p.86-87.
89 Ayache, A., 1964, *Histoire ancienne de l'Afrique du nord,* Paris, p.35.
90 Appien, VIII, le livre Africain, CV.
91 Appien, VIII, le livre Africain, CVI.
92 Appien, VIII, le livre Africain, CVII.
Duruy, V., 1890, *Histoire romaine,* Paris, p.156.

لتوليته العرش[93]، مثلما يؤكد قزال أن موت ماسينيسا بعد سن تسعين سنة عام 148 ق.م، لم يبقى حسب اعتقاده من هو أكبر من أبناء ماسينيسا في نوميديا آنذاك غير مكيبسا، و لذلك يعطي قزال الشرعية لحكم مكيبسا أو مكوسن[94]، بعكس ما يدعيه البعض أنه خير ولي للرومان و لذا ساعدوه في الاستفراد بالحكم، و لهذا يستفسرُ الكثير من الباحثين حول المغادرة المبكرة لإخوته، و الخلاف الذي وقع بين مكيبسا و إخوته فيما يتعلق باستمرارية سياسة والدهم اتجاه روما، ليطرح أكثر من تساؤل حول وفاتهما[95].

تذكر حقيقة أخرى في النص، هي مكانة الأبناء غير الشرعيين بحيث يقصيهم العرف النوميدي من تولي العرش، إذ يذكر أبيانوس أنه كان لماسينيسا أبناء كثر لكن الزحام لمن يفوز بكرسي الحكم اقتصر على ثلاثة شرعيين فقط: " وأمامه أبناء غير شرعيين كثر، و الذين منحهم هبات معتبرة، لكن ثلاث منهم شرعيون فقط"[96].

لكن و الحقيقة تقال، أن هؤلاء الأبناء غير الشرعيين لم يحرموا من كامل حقوقهم بل قام ماسينيسا بتقسيم الأرض التي حازها فأعطى لكل واحد منهم عشرة ألاف بلثير* (Pléthres) و ما يلزم من آلات لاستغلالها[97].

أيا كان الأمر فإن ماسينيسا في نظر البعض قد ارتمى في أحضان روما وأصبح من أراقئها[98]، حتى تولية الحكم من بعده كان الرومان هم صانعو هذا السيناريو، لكن الصغير غانم يجد مخرجا للملك النوميدي، وهي أن ظروف الملك غير معروفة و لذا لا يمكن الحكم

---

93 قزال، إ.، 1913، الجزء الخامس، ص.110.
غانم ، م. ص.، 2006، ص.68.

94 قزال، إ.، 1913، الجزء الخامس، ص.111.

95 غانم، م. ص.، 2006، ص.70.

96 Appien, VIII, CVI.

* هي وحدة قياس استعملها الإغريق لتعين الطول و المساحة، تساوي حوالي 30.88 متر و هو ما يعادل مائة قدم في كل جهة بمعنى 10.000 قدم مربع أي 876 م²، و بالتالي فعشرة بلثير تساوي 874 هكتار. حول الموضوع ينظر: حارش، م. هـ.، 2014، ص.127.

97 قزال، إ.، 1913، ص.163.

98 كامبس، ق.، 1960، ص.280.

المسبق[99]، و لا أن نقف موقف الجلاد و أن نتهم الرجل دون بينة و نلصق به دم سيدنا يوسف، و المعطى الذي نسوقه هنا لإعطاء مصداقية لهذا الكلام هو أن ما حكي عن ماسينيسا أتى كله من مؤرخين غير محليين أغلبهم رومان، وحتى ما سجله القرطاجيون، قطعا قد أتت عليه نيران سيبيون عام 146 ق.م[100].

ب–المصادر الأثرية: النقوش والرسوم

مما هو متفق عليه قلة المصادر الأثرية و النقوش (Epigraphie) عن شخصية ماسينيسا و أتت معظم المصادر نقود (مسكوكات) (Numismatique) و هي إلى حد ما معتبرة، أو نصوص أثرية إما معاصرة للملك أو عقب وفاته بفترة قليلة، و رغم ذلك فإنها مهمة، لأن المصادر المادية لا تظهر أي شكل من أشكال التحيز.

و قد انتشرت النقوش اللوبية و النوميدية خاصة في الشرق الجزائري، و شمال غربي تونس، ويعود اكتشافها إلى سنة 1631م من توماس داكروس (Th-Dacros)، وقد بلغ عددها أكثر من ألف نقش منها عشرون فقط مزدوجة إما لوبية–لاتينية أو لوبية–بونية، و هي ما استطاع علماء اللغة من فك رموزها، أما ما تبقى منها فتبقى غامضة وهي في أغلبها جنائزية إهدائية[101]، وهذا ما يعيق دراسة هذه النقوش إذ لا يمكن استخراج أي إشارة أدبية أو فنية باستثناء أسماء الأعلام[102]. وربما هذا ما يفسر قلة المصادر المادية عن ماسينيسا.

ومهما يكن من أمر فان صغير غانم قد أشار إلى مجمل التنقيبات على معبد الحفرة والذي اكُتشف خلال القرنين التاسع عشر و العشرين، من الأب دولامار (Delamar) يقع على ربوة، و التي تتسع على مساحة 400 م، هناك على يسارها وادي الرمال الذي يلتقي بوادي

---

99 غانم، م. ص.، 2006، ص.64.

100 شنيتي، م. ب.، 1982، *سياسة الرّومنة في بلاد المغرب من سقوط الدّولة القرطاجيّة إلى سقوط موريطانيا (146 ق.م- 40 م)*، الجزائر، ص.18.

101 عيساوي، م.، 2009، ص.74-75-79-82.

102 عيساوي، م.، 2009، ص.82.

بومرزاق في الجزء الجنوبي الغربي لعاصمة ماسينيسا، أي كيرتا، و انتهت هذه التنقيبات ما بين سنتي (1950-1951)، خلصت إلى أن المنطقة قد عرفت أوج ازدهارها في فترة حكم كل من ماسينيسا و ابنه مكيبسا[103]، وهذا ما يدفعنا إلى القول أن ماسينيسا قد أسهم في تطوير مملكة نوميديا الموسعة و الموحدة، و يؤكد ما جاءت به المصادر الأدبية.

و يخص بالذكر كامبس هو الآخر معبد الحفرة (La Favissa) الذي يحتوي على نصب بونية جاء فيها اسم ماسينيسا مرتبطا بتحديد تاريخ، ووجد نص مزدوج بدوقة، بأحرف ليبية واحد بخمس أسطر و الثاني على سطر واحد، يخلد ذكر الملك المؤله، كما يعطي شجرة أنساب الملك و المعماري[104]، و هذا النص المزدوج بعد الدراسة أكد حقيقة بوجود هيكل لم يُعثر عليه لحد الآن، شيد من سكان المدينة سنة 138 ق.م، و مع غياب البراهين و الأدلة القطعية لم يستقر الباحثون على تحديد موقع و جود ضريح الملك ماسينيسا، و لذا تبقى الافتراضات تحوم حول وقوعه إما بصومعة الخروب (La Souma du Khroub) (أنظر الشكل رقم 2) أو المدغاسن* (Médracen) أو ضريح دوقة[105].

---

103 غانم، م. ص.، 2008، *سيرتا النوميدية النشأة و التطور*، عين ميلة، ص.109.

104 Georges, D., Paul, G., 1892, p.107.

* يستلهم تسميته من أجداد النوميد الأسطوريين "مادغس"، يتواجد بالشرق الجزائري، هو احدث المدافن المغربية، وبنوعية جد راقية عن سابقيه، توجد بجنه سبخة اسماها الرومان البحيرة الملكية (Lacus regius) بني على نموذج البزينا بقاعدة اسطوانية محيطها 59 م، يعود إنشائه إلى القرن الثالث ق.م. أما قزال فيحدد موقعه بالشمال الغربي للأوراس، بالقرب من بركة مائية سماها القدماء البركة الملكية (Lacus Regius)، و هو ضريح ضخم، و يفترض بحسب دقة العمل فيه انه ضريح ملك هو الآخر عظيم بحسب عظمة المبنى و هذا نتيجة جيدة توصل إليها شيخ المؤرخين، لكن لا يثبت ادعاء البعض من الباحثين بأنه ضريح إما لملك ماسيلي و اغلب الضن ماسينيسا أو ملك ماسيسيلي أي سيفاكس، لعدم وجود أدلة قطعية تثبت ذلك. للمزيد من المعلومات ينظر: كامبس، ق.، 1960، ص.146-148. قزال، إ.، 1913، الجزء الخامس، ص.90.

105 Kadra, H., 2013, *Massinissa le grand africain*, France, p.170.

الشكل رقم:2- **صومعة الخروب (ما يعتقد أنه ضريح الملك ماسينيسا)**

صورة مأخوذة من و. أيت عمارة

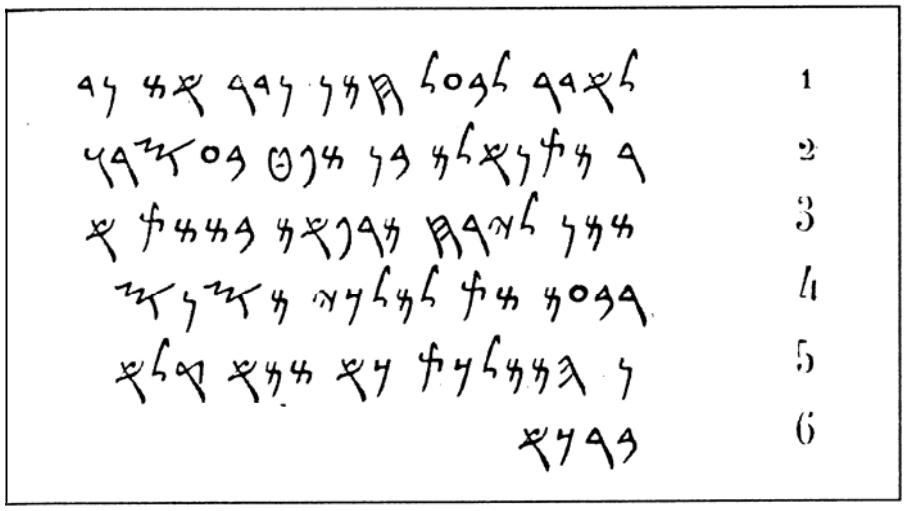

1- إلى المولى إلى بعل حمون نذ

2- ره متنالم بن شفط في الثامن

3- عشرة أشهر مرفئم و ذلك في السنة السادسة

4- و الأربعين لحكم ماسينيسا

5- ن الملك لأنه استجاب لقوله

6- فباركه[106].

مدينة قسنطينة لوحدها تقدم تسع نصب تحمل الإشارة إلى حكم العاهل النوميدي ماسينيسا[107].

الشكل رقم:3- **نص بوني مأخوذ من نقيشة نذريه عثر عليها بمعبد الحفرة بمدينة قسنطينة.**

غانم، م. ص.، 2003، *التوسع الفينيقي في غربي البحر المتوسط*، عين مليلة، ص.36.

[106] غانم، م. ص.، 2003، ص.36.

[107] غانم، م. ص.، 2006، ص.54.

و هناك نص جنائزي آخر بشرشال حمل اسم ماسينيسا بالرغم أنه موجه لأبنه مكيبسا كما خلده الإغريق، للعلاقة الجيدة التي كانت بينهما، في نصب تذكارية هي الأخرى نصوص إهدائية وجدت في ديلوس[108].

وجدت أيضا، قطع نقدية محلية، بها صورة الملك، في كل من يوغسلافيا سابقا إيطاليا، اليونان، فرنسا و إسبانيا، و مما لاشك فيه أنه يدل على توسع العلاقات التجارية وتطورها بين الأطراف المذكورة[109]. وكذلك يدل على شهرة شخصية ماسينيسا إلى ما وراء حدود مملكته، بل و حتى خارج نطاق القارة.

قطع نقدية أخرى عثر عليها في مدينة كيرتا، عام 1888 بمقبرة أمسيد، يحمل بعضها صورة الملك ماسينيسا[110]. من جهة أخري يورد قداش صورة لعملة الملك ماسينيسا كذلك تحمل إحداها، صورة فيل والاسم الكامل للملك، و أخرى في إحدى وجهيها صورة حصان يخطوا، في خلفه رمح مغروز بالأرض و مزين. و على الوجه الثاني صورة الملك، مكلل بالغار، وحول رقبته طوق و إلى جنبه صولجان* مزخرف[111] (أنظر الشكل رقم 4). وجعلُ صورة الملك على النقود هو تقليد هلنستي، و تزيين الرأس بإكليل من الغار هو اقتباس من الإسكندر الذي هو الأخر أخذه من الفرس استذكارا للانتصارات التي يحققها الملوك[112].

ومما هو مسلم به أن النقود هي الدليل القطعي على الاستقلالية، وعدم التبعية، كذلك نوعيتها والمادة المصهورة فيها دليل آخر على مدى التطور والازدهار الحاصلين

---

108 كامبس، ق.، 1960، ص.225-226.

109 حارش، م. هـ.، 2013، *دراسات و نصوص في تاريخ الجزائر و بلدان المغرب في العصور القديمة*، الجزائر، ص.199.

110 غانم، م. ص.، 2008، ص.92.

***** يرمز الصولجان إلى القوة الممثلة في الاله الذي يفرض العدل و السلم بين بني البشر، و هو عبارة عن قرص يجسد الشمس و هلال يمثل القمر و كلهما مثبت على عصا من الخشب أو المعدن، تعود أصوله إلى حضارة واد الرافدين، و أول ما ظهر بمدينة لاجاش (Lagash) على رأس الملك جوديا (Godae) على شكل صورة منحوتة و يرجع تاريخها إلى عام 2600 ق.م مثلما ظهرت صورة الصولجان على العديد من النصب الحجرية، حول الموضوع ينظر: غانم، م. ص.، 2008، *سيرتا النوميدية النشأة و التطور*، عين مليلة، ص.161.

111 قداش، م.، 1993، ص.77.

112 قزال، إ.، 1913، الجزء الخامس، ص.115.

الوجه الأول :صورة الملك ماسينيسا مكلل بالغار وحول رقبته طوق، وإلى جنبه صولجان مزخرف

الوجه الثاني للعملة: صورة حصان يخطو في خلفه رمح مغروز بالأرض ومزين

عملة أخرى تحمل صورة فيل والإسم الكامل لماسينيسا

الشكل رقم:4- **عملة ماسينيسا بمتحف قسنطينة**

قداش، م.، 1993، ص. 77.

بالمنطقة المعنية، و الملاحظ على النقود التي عثر عليها أغلبها في حالة جيدة من الحفظ وأنها مصنوعة إما من البرونز أو الرصاص (أنظر الشكل 4)، تختلف في الميزان من 1.99 غ إلى 35.35غ[113].

و في هذا الصدد يقول قوتتر (Geuthner) أنه لا يعرف و بصفة قطعية في الفترة التي سبقت حكم ماسينيسا، وجود نقود نوميدية، و أن العملات النوميدية تتوزع بين نوعين، منها النقود الملكية و منها التابعة للمدن[114].

و يكون ماسينيسا بمحاولة ترويج وتعميم استعمال النقد، بين ذويه قد حمل المنطقة للخروج من طور اقتصادي متقادم يعمل بنظام المقايضة، إلى نظام اقتصادي أرقى، حتى و أن يعود أقدم نقد وجد في نوميديا إلى فترة حكم الملك سيفاكس[115].

الشكل رقم:5– **نقود نوميدية تعود إلى فترة حكم ماسينيسا من البرونز تزن 12.20 غرام.**

Source gallica.bnf.fr/ Bibliothèque nationale de France

[113] Atelier monétaire, 2013, *Monnaies de Numidie. Massinissa ou Micipsa*, Numidie, BNF.
[114] Geuthner, P., 1923, p.103.
[115] غانم، م. ص.، 2010، الجزء الأول، ص.86.

كما عثر بمدينة قرطاجنة نقيشة تحمل اسم ماسينيسا، تعود إلى حقبة حكم الإمبراطور أغسطس (Auguste) [116].

إجمالا و على الرغم من الجهود المبذولة يبقى الملف الأثري فيما يتعلق بشخصية ماسينيسا فقيرا، و السؤال الذي يطرح نفسه بإلحاح، كيف ملكٌ بهذا القدر و الحجم و طول فترة الحكم التي استغرقها (203-148م)، أي ستة و خمسون سنة لا يخلف عقبه، قدر كاف من الآثار المادية، أم نستطيع القول أنها تعرضت للإتلاف من الرومان أو...؟ و ذلك لحاجة في نفس يعقوب.

3-دور الحروب البونيقية في تسليط الأضواء على شخصية ماسينيسا

لقد كانت الحروب البونيقية* و التي استغرقت قرابة 43 سنة متقطعة، عبر ثلاث مراحل، الحرب الأولى (264-241 ق.م)، الثانية (218-201 ق.م)، والثالثة (149-146 ق.م)، فرصة للرومان للتعرف على سكان المغرب، في القرنين الثالث والثاني ق.م، ولم تهتم أقلامهم بالمنطقة وملوكها إلا عندما تتعارض هذه الأخيرة بمصالحهم. ما دور ماسينيسا خلال هذه الحروب. هل هذه الحروب هي التي صنعت الملك القوي. أم هو من صنع النصر الروماني ودفع المنطقة للخروج من قبضة القرطاجيين إلى احتلال روماني فعلي، دام حوالي خمسة قرون (40 ق.م-429 م)؟

كانت بلاد المغرب مسرحا لصراعات بين قرطاج و روما، و خاصة حينما بدأ التوسع الروماني خارج حدود شبه الجزيرة الإيطالية، وخرق روما لمعاهدة 307 ق.م بدخولها لمسينا

---

[116] غانم، م. ص.، 2006، ص.54.

* هي الحروب التي جرت بين روما و قرطاج، خلال القرن الثالث و الثاني الميلاديين، و أصل هذه التسمية تعود للمؤرخين الغربيين الذين يريدون من خلال ذلك تحميل قرطاج مسؤوليتها لكن لو نظرنا مليا إلى حقيقة هذه الحروب لوجدنا أن روما هي من كانت مسببة فيها، بحيث أن روما هي من أتت إلى قرطاجة و استولت على أملاكها و ليس العكس و هذا في كل من صقلية و سردينيا فإذا أردنا أن نكون منصفين دون أن نتحيز لأي طرف من المفروض تسميتها بالحروب الرومانية.

(Messine) لنجدت الممارتيين (Mamertins)، يمثل السبب المباشر لاندلاع الحرب البونيقية الأولى[117]، و التي كانت حربا بحرية بامتياز.

لن نستعرض هنا كل تفاصيل الحرب الأولى، بل نظهر فقط الاصطدام الأول بين الساكنة و القرطاجيين، و تكون عملية الاحتقان التي بدأت تغضي الكراهية و محاولات الاستنجاد بحليف جديد، مثل ما سيفعل سيفاكس في بادئ الأمر ثم ماسينيسا فيما بعد.

وقد مثل هذه العملية ماتوس (Mathos) * النوميدي باندلاع ثورة المرتزقة (241-237 ق.م) و التي دامت ثلاث سنوات و أربعة أشهر[118]. و لربما يذكرنا هذا الأخير بماسينيسا الذي كان حليفا لقرطاج ثم تحول إلى ألد أعدائها.

بالرغم أن الحرب البونية الأولى، لا تسلط الضوء على شخصية ماسينيسا و لا حتى والده غايا، إلا أننا نتساءل عن الدور الذي لعبه الماسيل آنذاك؟ لا شك أنهم لم يقفوا متفرجين أمام التطورات بالمنطقة، كما أن المصادر والمراجع تذكر استعمال قرطاج لمرتزقة نوميديين، لأن قرطاج لم تهتم بالجانب العسكري و صبت جام اهتمامها بالتجارة ثم الزراعة إذا نستطيع القول أن المرتزقة ربما كانوا ولو جزء قليل منهم من أتباع غايا، و أن الماسيل
شاركوا بطريقة أو بأخرى في هذه الحرب[119]، التي ستنتهي لصالح روما بعقد معاهدة بعد تحطم الأسطول البحري القرطاجي في معركة إيقاس (Aegates) البحرية و تضمنت ما يلي:

---

117 Gaïd, M..2009, *Les Berbères dans l'histoire de la préhistoire a la Kahina,* Tome 1, Bordj el-bahri, p.58.

* كان ضابطا في الجيش القرطاجي في الحرب البونية الأولى بصقلية حيث تزعم ثورة المرتزقة، واستطاع هاميلكار قمع الثورة بمساعدة ا لزعيم البربري نارافاس ، وصلب ماتوس في حوالي 237 ق م. و كما ينفي عنه الصغير غانم صفة الخشونة و الفظاظة التي وصفته إياه المؤلفات القديمة، بل كان يتقد ذكاء، قويا متبصرا و ملما بالمسائل الحربية، لأنه تتلمذ في مدرسة هميلكار برقة سيد البحر و البر، و كانت نيته إزاحة التواجد القرطاجي لإنشاء فيدرالية كبيرة من القبائل المحلية، و لقي ندائه استجابة عظيمة من القبائل و المدن الواقعة غرب قرطاجة، ما عدا المدن الساحلية مثل بنزرت و أوتيكا و التي كانت قرطاجة تمد نفوذها عليها. حول الموضوع ينظر: غانم، م.، 2010، ص.106.

118 جولين، ش. أ.، 1969، ص.99.

119 Mercier, E., 1888, Tome 1, p.34.

1)- دفع غرامة قدرها 3200 تالنتة، موزعة على عشر سنوات.

2)- النزول عن ممتلكاتها في صقلية و الجزر الواقعة بينه و إيطاليا(ليباري)

3)- منعها من تجنيد مرتزقة من إيطاليا ولدي حلفاء روما[120].

وبهذه النهاية المأساوية تبدأ بعد أكثر من عشرين سنة من الحرب، أزمة أخرى أثقلت كاهل قرطاج، و هي ثورة المرتزقة العشرون ألفا، والتي عجزت هذه الأخيرة عن دفع أجورهم، بحيث تم تجميعهم بمدينة سيكا (Sicca) *، و هذا بأمر من قرطاج، و الذي مثل أكبر خطأ، أراد قائدها جيسكون (Gescon)** تجنبه بإرسال الجند المرتزقة على دفعات لتتمكن حكومته من دفع أجورهم على مراحل، دون أن يشكلوا ضغطا بعد الإرهاق الذي أصاب الخزينة من الحرب[121]، ولقد اتخذت الثورة بقيادة ماتوس طابعا وطنيا، و هذا ما يجعلها ذات أهمية، و تصب في نفس مضمون تطلعات ماسينيسا.

لا تظهر شخصية ماسينيسا إلا من خلال الحرب البونيقية الثانية[122]، و التي عرفت أيضا باسم الحرب الحنبعلية***، حينما أرسل القائد صدربعل ماسينيسا، للالتحاق بالجيش القرطاجي

---

120 حارش، م هـ.، 1995، *التاريخ المغاربي القديم السياسي و الحضاري منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي*، الجزائر، ص.61.

* تقع على هضبة تصل بين قرطاجة وسيرتا وتيفست (Theveste) ولقد ذكرت لأول مرة في حرب المرتزقة في 241ق.م، والتي تأخذ أصلها من عدم رضي المرتزقة القرطاجيين. أسست في عام 300 ق.م من جالية صقلية، تقع في الجهة الغربية من جبل دير الكف، محاطة بمعاقل طبيعية. للمزيد من المعلومات ينظر:

Maurice, B., 1886, *Expédition française en Tunisie (1881-1882)*, Paris, p.50.

** محافظ صقلية (la Lilybée ou Sicile)، كان حكم بين قرطاج و الثائرين المرتزقة. حول الموضوع يعاد إلى: Kadra, H., 2013, p.176.

121 Buchon, J. A. C., 1836, *Ouvrages historiques de Polybe, Hérodien et Zozime* , XV , trad. D. Thuiller et C. Mongault, 1836, Paris, p.59.

122 Berthier, A., 1981, p.34.

*** نسبة للقائد القرطاجي حنبعل، ابن هميلكار (Hamilcar Barca)، ولد عام 247 ق.م أي قبل نهاية الحرب البونية الأولى(264-241 ق.م)، بمدينة قرطاج شمال تونس، حيث ترعرع في فترة صراع حاد بين دولته و روما، أخذ خصال والده، مثل حبه للحروب و النضال، وكرست فكرة غرس الكراهية و الانتقام لديه من أبيه الذي اخذ منه يمينا على ذلك، و هي فكرة رومانية روجها مؤرخوها، يعد قائد يخرج عن المألوف و العادة، ألهم كثير من مشاهير الكتاب أمثال La Fontaine, Victor Hugo, Voltaire، أهملته المص،ادر الأدبية ألا القليل منها، النصوص الأولى التي تطرقت للقائد الفذ، هي من أصل== =إغريقي، و التي وظفها الكاتب الروماني كورنيليوس (Cornelius Nepos) حول الموضوع ينظر: المدني، أ. ت.، 1986، *قرطاجنة في أربعة عصور من عصر الحجارة إلى الفتح الإسلامي*، الجزائر، ص.49. .Aït Amara, O., 2009, p.1-10

بإسبانيا و الذي بلغ حسب بوليبيوس تسعون ألف رجل، و كان والده غايا آنذاك حليفا لهم. و تعود أسباب هذه الحرب إلى مهاجمة القرطاجيين أو بالأحرى حنبعل (Hannibal) لمدينة ساغنتوم (Sagantum) أو ساغونت (Sagonte)* عام 219 ق.م ودام حصارها ثمانية أشهر، و الذي اعتبرته روما خرق لمعاهدة 226 ق.م[123]، و كان ميدان الحرب هذه المرة يتوزع عبر ثلاث مناطق هي إسبانيا، إيطاليا و إفريقيا[124].

أ – انقلاب التحالفات بين ماسينيسا و قرطاجة و روما

اتسعت دائرة الخلاف بين ماسينيسا و قرطاج، لما نهجت هذه الأخيرة سياسة التقرب والتودد من ملك الماسيسيل، و الذي بدأ بحق يزعج هو و من والاه أمثال لكومازس و مازايتول، ماسينيسا، بالإضافة إلى طرق الإقناع التي توصل إليها القائد الروماني سيبيون، في إسبانيا، بإذكاء نار الفتنة بينه وبين حليفته و حليفة والده من قبل قرطاجة، و قد نجح الرومان في ذلك، فغير ماسينيسا نظرته للقرطاجيين، و اختار الجانب الروماني[125].

إن الموقف الذي اتخذه ماسينيسا من حليفته السابقة لم ينطلق من فراغ، و لا حتى أن يأتي الرومان لتحريضه ضد قرطاج، بل كان يشاهد و هو يبذل كل سبل العطاء للقرطاجيين في إسبانيا، و هم يتنكرون للمعروف و الجميل، بسلبه حقه في العرش شيئا فشيئا[126].

---

* تبعد عن مدينة فالونس (Valence) ب 25 كلم شمالا، اسمها الأصلي (Murviedro) ، عام 219 ق.م ضرب حنبعل عليها حصارا، و فضل سكانها الموت حرقا على الاستسلام للقائد القرطاجي. حول الموضوع ينظر: Henri, W., 1865, *Promenade en Europe et au delà,* Paris, p.2072.et Eugene, G., 1899, *Excursion dans la péninsule ibérique, Espagne et Portugal,* Paris, p.34.

[123] Anes, P., 1987, *Sagonte, Iliturji, Astapa : Trois destins vus de Rome,* Tome 23, p.108.

[124] حارش، م. هـ.، 1995، ص.62.

[125] غانم، م. ص.، 2010، ص.130.

[126] Mercier, E., 1888, Tome 1, p.38.

و مقابل الولاء الذي أبداه ماسينيسا اتجاه الرومان و قضيتهم، فقد وفوا بوعدهم له فنصبوه على عرش نوميديا التي حلم بها ماسينيسا، و منحوه كما يذكر غانم لقب ملك "ريكس" (Rex)، كما ساق إليه سيبيون الإفريقي مدينة كيرتا وما حولها[127].

و لا داع لإيراد مرة ثانية قصة زواج سيفاكس من سوفونيزبة، لان الأدلة توضح عكس ما ذهب إليه المؤرخون القدامى، من أن سبب ذلك الانقلاب هو تلك الزيجة* و كما أوضحنا سالفا أن ماسينيسا بدأ مشاوراته مع الرومان قبل أن ينعقد هذا الزواج السياسي**[128]، و الذي تم سنة 205 ق.م، أما المحادثات فلقد بدأها ماسينيسا مع سيبيون عام 206 ق.م[129].

فتحول ماسينيسا إلى الحرب ضد قرطاجة فأضعفها وأنهكها، وهو الذي لعب الدور الأكبر في إسقاط قرطاجة، وأنهى الرومان المعركة مع قرطاجة بفعل ذلك واعتبروا أن الفضل في إسقاطها يعود إليهم، وقد شهدت دولة ماسينيسا في هذه المرحلة ازدهارا من حيث تأسيس وحدة سياسية والتعامل بالند مع كل من قرطاجة والروم إن في المجال السياسي والاقتصادي أو العسكري وهو ما يتم استثناؤه بالتركيز على "الحضارة الرومانية" دون غيرها، بل أن ماسينيسا

---

[127] غانم، م. ص.، 2010، ص.138.

Meynier, G., 2007, *L'Algérie des origines de la préhistoire a l'avènement de l'islam,* Alger, p.51.

* مثل زواج سيفاكس من سوفونيزبة، محور نقاش المؤرخين الأجانب، بحيث ركزوا أكثر مما يستحقه الموضوع وجعلوه، من الأسباب الجوهرية التي كانت تحرك ماسينيسا للانتقام، فما كان من وراء انقلابه على القرطاجيين إلا هذه الزيجة، كما أعطوا لشخصية سوفونيزبة أدوارا في تحريك الحرب ضد الرومان تارة، و ضد الملك ماسينيسا تارة أخري، فلم يظهر الملكين النوميدين من خلال التصور الذي رسمه المؤرخون الأجانب القدامى منهم و المحدثون، إلا اشخصا تحركهم الجوانب العاطفية، فجردوهم من كل مسؤولية، كقائدين، كانا يسعيان كل واحد في طرفه لتجسيد شعار " إفريقيا للأفارقة". حول الموضوع ينظر: غانم، م. ص.، 2010، ص.134.

** أن الزواج السياسي في العالم يعود إلى عصور موغلة في القدم ، أدى بعضها إلى خدمة مصالح مشتركة و خلق جو يسوده الوئام بين بلدي الزوجين غير أن أكثر حالات الزواج كانت تنتهي بصراعات و حروب مدمرة ، مثل زواج سيفاكس و ماسينيسا، يوغرطة و يوبا الثاني و ابنه بطليموس بأميرات إفريقيات و يونانيات و هو ما يعرف بالزواج السياسي. لمزيد من المعلومات يعاد إلي مداخلة: شارن، ش.، 2008، *أثار زواج الملوك النوميديين بالأجنبيات على نوميديا*، الملتقى الوطني حول "الجزائر النوميدية" تاريخا و حضارة، قسنطينة.

[128] حارش، م. هـ.، 2014، ص.34.

[129] حارش، م. هـ.، 2013، ص.83.

هو الذي هزم قرطاجة فعليا وليس الرومان مثلما يرد في كتابات المؤرخين الغربيين[130]، في هذا الصدد يذكر قداش أن سيبوين تمكن من إلحاق الهزيمة و الإيقاع بعدوه في المعركة الحاسمة زاما 201 ق.م إلا بفضل فرق ماسينيسا[131].

و حتى حينما كان حليفا للقرطاجيين فلقد حمل ماسينيسا النصر لحلفائه القدامى فبدخوله لإسبانيا، انتقل ميزان القوة لصالح قرطاج[132].

يبدو أن ماسينيسا كان يحمل الحظ و النصر لمن يحالفه، أو أنه كان ببساطة رجل قيادة و حرب، يعرفُ متى و كيف، يوظف قدراته و ملكاته لتحقيق أهدافه، و أهداف من ولاه.

ب – ماسينيسا و حلم استرجاع قرطاجة أو طموح ماسينيسا

من المعلوم أن ما كان يطمح إليه ماسينيسا دوما، هو تحقيق حلمه وحلم ذويه، في توحيد نوميديا* تحت راية واحد، تكون قرطاج هي عاصمتها، إلى درجة أنه تكَون داخل قرطاج ذاتها حزب موال لماسينيسا يُطالب بنقل الحكم له، لأن مناصرو هذا الحزب رأوا في ماسينيسا هو مخلص مدينتهم من شجع و نهم روما، لأن قرطاج في نظرهم ما هي سوى دولة مدينة (Etat-Cité)، لا قدرة لها لمواجهة هذا التحدي الجديد، فما كان لأشفاطها** (Suffètes) إلا إجلاء هؤلاء من مدينتهم[133]، فلقيت المدينة مصيرها بعد أن حكم عليها كاتون

---

[130] إحدادن، ز.، 1999، *الصحيح في تاريخ المغرب و الجزائر أو تحرير التاريخ المغربي من النزعة الاستعمارية*، مجلة الدراسات القيمية الإعلامية المعاصرة، العدد 2، ص.4.

[131] قداش، م.، 1993، ص.50.

[132] Charles, R., 1838, *Histoire générale d'Espagne,* Tome 1, Paris, p.641.

* تمثل مملكة نوميدية الموحدة أول دولة جزائرية ضمن حدودها الحالية تقريبا، فأول عملية توحيد تعود لعام 206 ق.م، على يد الملك الماسيسيلي سيفاكس، ثم بعد ذلك أتي الملك ماسينيسا ليجسده أكثر مدة سنة 203 ق.م، و التي قبل ذلك تتقاسمها كل من مملكتي الماسيل تحت إمرة الملك غايا، و مملكة الماسيسيل تحت حكم الملك سيفاكس. حول الموضوع ينظر: غانم، م. ص.، 2010، ص.232.

** أعلى سلطة في قرطـاجة، و يوجد شفطين أو بالأحرى ملكين مثل ما يشبههما أرسطو بملوك اسبرطة أو القنصـلين بـروما، و ينتخبان لممارسة هذه السلطة لسنة واحدة، كما أنهما لا يختاران من نفس العائلة، و تتمثل مهمتهما في استدعاء مجلس الشيوخ و رئاسته، و الأمر نفسه لمجلس الشعب، يقودان الجيوش، بالإضافة للمهام القضائية و من هنا أتت التسمية شفط أي قاض. حول الموضوع ينظر: Fantar , M. H., 1970, *Carthage la prestigieuse cité d'Elissa,* Tunisie, p.79-86. ، و حارش، م. هـ.، 1995، ص.73-74.

[133] عقون، ع.، 2014، *ماسينيسا كان يريد أن يجعل قرطاج عاصمة لإفريقيا لكن الرومان منعوه*، جريدة النصر، الجزائر.

(Caton) * بالموت و الفناء، عام 146 ق.م، و يؤسس بعدها الرومان الولاية الرومانية الأولى على حساب ممتلكات القرطاجيين، و يعطونها اسم إفريقيا الرومانية (Africa Romana)[134]، و التي مثلت بداية لتوسعات الرومانية ببلاد المغرب القديم، حتى الاستيلاء الكامل عام 46 ق.م، و مثلت نوميديا بالنسبة للرومان مثل ما عبر عنها جوليان بقوله:"كانت بلاد البربر بالنسبة لروما مستعمرة للاستغلال لا للعمران"[135]، و هذا ما يفسر عدم رغبتها في استمرار حليفها ماسينيسا في جملة توسعاته، و خاصة على حساب قرطاجة بالذات.

غير أن كامبس يرى عكس هذا التصور، ويرجع ذلك إلى تأخر هذا الطموح في الاستيلاء على قرطاج إلى سن الشيخوخة، و هذا في نظره مستحيل التحقيق[136]، لكن ما قد أثبتته المصادر أن عامل السن لم يكن ليطرح أي إشكال أمام الملك النوميدي، فقد خاض آخر حرب له و هو ابن الثمانية و الثمانين عاما في سنة 150 ق.م، و ألحق شر هزيمة بالجيش القرطاجي قرب باجة (Vaga) [137] أو (Béja)** ، و الذي سيشجع الرومان على إلحاق الضربة القاضية

* ولد عام 237 و توفي سنة 142 ق.م، يعد من أكبر ساسة روما وأبلغ خطبائها، ترك كتابا في الزراعة يبرز ما مدى رفعة مداركه و رجاحة عقله،أشتهر بسب الموقف الذي اتخذه حيال قرطاج، بدفع مجلس الشيوخ لتحطيمها، بعدما زارها عام 150 ق.م لتقصي الحقائق بعد الشكوى التي قدمها قرطاجة ضد ماسينيسا، فذهل كاتون لما رآه من تقدم حضاري و تطور في فنون الحياة و جلب معه حبة تين لروما و خطب في المجلس أن من ينتج مثل هذا مشيرا لحبة التين ليشكل خطرا علينا، و هي تبعد عن روما مسيرة ثلاثة أيام فيجب تحطيم قرطاجة (Delenda est Carthago)، و كان دوما يردد هذه العبارة كلما ألقى خطاب ، فكان ذلك عام 146 ق.م ، فدك سيبيون الاميلي المدينة و أضرم فيها النار التي بقيت أسبوعين و هي متقدة، ثم دك ما بقي بالمعول، و بيع ساكنوه في سوق النخاسة. للمزيد من المعلومات ينظر: المدني، أ. ت.، 1986، ص.68-77.

134 غانم، م. ص.، 2010، ص.154.

135 جوليان، ش. أ.، 1969، ص.205.

136 كامبس، ق.، 1960، ص.237.

137 Gsell, S., 1927, *Histoire ancienne de l'Afrique du nord*, V, les royaumes indigènes organisation sociale, politique et économique, Paris, p.261.

** دعيت بباقا (Vaga) و التي تعني البقرة الحلوب،و أيضا توحي بحقول السنابل المتموجة، هي إحدى أهم المدن التونسية، تقع في القسم الشمالي الغربي لتونس، على بعد قرابة مائة كيلومتر عن تونس العاصمة، و على نفس المسافة من الحدود التونسية الجزائرية، تعد أخصب المناطق، على مشارف جبل الخمير (Kroumirie)، تمثل مدينة باجة أهم و أكثر المناطق إنتاجا للحبوب، يجري بالقرب منها واد مجردة و واد مليانة، مثلت احدي أهم المدن التي أنشاها البربر، و ازدادت حينما أسس بها == ==جامع القرويين عام 674 م،تأثرت بالحروب البونيقية الثلاث خاصة خلال الحرب الثانية، تعرضت في الفترة الرومانية إلى الرومنة، للمزيد من الإيضاح ينظر إلى: Maurice, B., 1886, p.21.
Wikipédia, *« Béja », du lien :* http://fr.wikipedia.org/wiki/B%C3%A9ja

لعدوهم التقليدي[138]، و تفويت الفرصة على النوميد لتحقيق حلم الاستيلاء على قرطاج.

و لقد اتخذت عمليات توسع ماسينيسا شكلا غير اعتيادي، فاستغرقت كل عملية تقريبا عشرية كاملة، و هذا يبرز ما مدى بُعدُ نظر الملك النوميدي، و ابتعاده عن حالات التهور و التسرع ، التي قد تفضي في أكثر الأحيان إلى الفشل المحتوم، و قد اتخذت هذه التوسعات الشكل التالي:

193 ق.م حملته على الإمبوريا.

182 ق.م استرجاع ما كان قد سلمه سيفاكس للقرطاجيين.

162 ق.م السيطرة بشكل نهائي على الإمبوريا.

153-152 ق.م مد النفوذ على السهول الكبرى و توسكا.

150 ق.م محاصرة أوروسكوب * (Oroscope)[139].

و بهذا الصدد يذكر بوليبيوس:" في إفريقيا، كان ماسينيسا، مجذوبا من المدن العديدة المقامة على الشواطئ، سيرت الصغير و كذلك من رخاء القطر المسمي أمبوريا، يطمح منذ زمن طويل في المداخيل الهامة التي كانت تدرها هذه البلاد.[140]"

و هذا ما معناه، أن الملك النوميدي، لم تكن عمليات الغزو التي كان يديرها، اعتباطية و لا من أجل استرجاع مناطق لا جدوى منها، بل كان هذا الفعل، ضمن عملية انتقائية، مثل ما يشير بوليبيوس في هذا النص، أن ماسينيسا طالت يده، المناطق التي كانت سببُ رخاء

---

138 Meynier, G., 2007, p.52.

* يجهل مكان هذه المدينة التي حازها ماسينيسا من القرطاجيين في آخر عهده عام 150 ق.م، أي عاميين قبل وفاته، لكن حسب غانم الذي يعود إلى كامبس أن ابيانوس، قد حدد موقعها و التي تقع حسبه بين السهول الكبرى و منطقة توسكا التي تظم أخصب الأراضي الزراعية، و على هذا الأساس يرجح أن تكون في منطقة الخمير. حول الموضوع يعاد لكتاب: غانم، م.، 2006، ص. 66-67.

139 كامبس، ق.، 1960، ص.238.

140 Polybe, XXXI, 21.

القرطاجيين، و بذلك سيضرب عصفورين بحجر واحد، أولهما هو قطع المئونة، و بالتي سيكون سقوط قرطاج سهل، و سيسترجع ما بقي من الأقاليم التي بحوزتها، و من جهة ثانية تكون أسباب نصر أعدائه بيده، أي انتقال ميزان القوة إليه.

مات ماسينيسا و لربما الحسرة تحز في قلبه، لأنه لم ينه ما كان يصبو إليه، و هو تكوين دولة وطنية، تكون من ضمنها و ربما عاصمة لها، مدينة قرطاجة، سابقه الزمن و لو مُدَ في عمره أكثر ما عاشه الرجل لكان مسار التاريخ بمنطقة المغرب، غير الذي ندرسه اليوم، لكن ما يجب قوله أن هذا الملك الفريد، قد حقق ما لم يحققه لا من قبله و لا من بعده قائد أو ملك محلي.

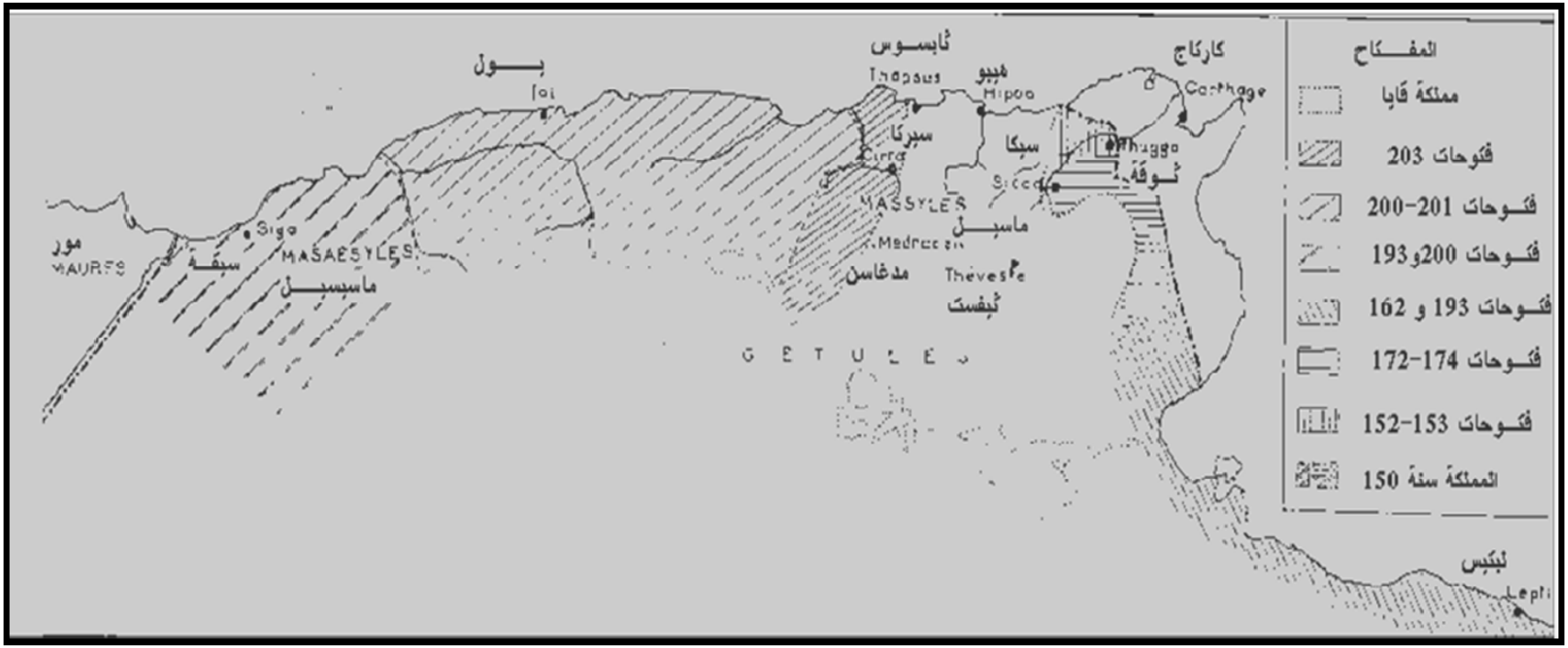

خريطة رقم1: – **توسعات ماسينيسا**

كامبس، ق . ، 1960، ص. 234.

4- علاقات ماسينيسا بالعالم الإغريقي

إذا تحدثا عن العلاقات خارج الجانب الاقتصادي أو الفني، فإن ماسينيسا كان أشد معين للرومان، في حروبهم ضد الإغريق، فمرة يمد حلفائه الرومان بالمئونة (القمح)، و تارة أخرى يبعث لهم العدة و العتاد، فها هو ابنه مساجين (Misagéne) في مقدمة جيش قوامه ألف فارس نوميدي ومثلهم من الفرسان، وفوقها 22 فيلا، لمحاربة برسيس* (Persée)[141].

لكن خارج هذا الإطار المتوتر، اصطبغت العلاقات النوميدية الإغريقية في عهد ماسينيسا بالطابع التجاري بينهما، من المنطلق الذي رسمته الخريطة النوميدية بتوسعها على حساب الأراضي القرطاجية، على طول الساحل المتوسطي، فتحولت المراكز التجارية لقرطاج لحساب المملكة الفتية، و بالتالي تحكم ماسينيسا بالتجارة، و منها مع العالم الإغريقي و قد زاد ماسينيسا في تطوير هذه العلاقة، بعدما كانت محجوبة عن الأجانب[142] في العهد القرطاجي، خاصة بعد السيطرة على الإمبوريا في المنطقة الطرابلسية، و السرت الصغير فأضحت مدن ساحلية ألت لحكم النوميديين مثل يول (Iol) (شرشال)، صلداي (Saldae) (بجاية) و سيقا (تموشنت)، مدن تجارية يتهافت عليها التجار من كل حدب و صوب ومن بينهم الإغريق[143].

و أن هذه العلاقة لم تتوقف عند حدود التجارة، بل امتدت إلى ميادين أخرى، فقط رقص و سمر النوميديون في قصر كيرتا على وقع لحن موسيقيين إغريق، كما حرص ماسينيسا على يُنشَأ أبنائه تنشئة إغريقية، و مثال ذلك ابنه مصطنبعل الذي تلقى ثقافة إغريقية[144]، لعل ماسينيسا أدرك أهمية الحضارة الإغريقية، في تكون الفرد في مملكته الفتية، و كأني أيضا بهذا

---

* (212-165 ق.م) هو آخر ملوك مقودينا، انتصر في معركة بيدا ببلاد الغريق عام 168 ق.م، و لقد مات و هو مسجون بايطاليا. حول الموضع انظر: غانم، م. ص.، 2008، ص.210.

141 Tite-Live, *Histoire Romaine,* XLII, 42,8, trad.Verger.V, 1832, Paris.

142 قزال، إ.، 1913، الجزء الخامس، ص.17-18.

143 كامبس، ق.، 1960، ص.238.239.

144 كامبس، ق.، 1960، ص.244.

الملك الأريب، يرسل الرسائل تلوى الأخرى للرومان، باستبعاد أثرهم عن المنطقة، و أن دورهم لن يتعدى المجال العسكري الذي تحدد من قبل وفق ظروف خاصة، و لم يكن ماسينيسا لئيما بل لبى النداء لروما كلما دعت الحاجة و هذا ما بيناه سابقا.

و قد مثل الإغريق بالنسبة لماسينيسا شعبا متميزا، نظرا للإسهامات الحضارية التي قدموها، و على هذا الأساس فقد استقبل العاهل النوميدي كل من كان إغريقيا، دون النظر لمكانته الاجتماعية، و من بينهم، بوليبيوس الذي تلقى كل الاحترام و التقدير[145].

زيادة على ذلك لا يجب أن ننسي، أن ماسينيسا جعل عاصمته كيرتا، مدينة هلينيستية بامتياز، فجلب لها جيشا من العلماء و الحرفين الإغريق، و كان يتحدث فيها بلغات متعددة بالبونية، الليبية، اللاتينية و الإغريقية[146]، و حتى ماسينيسا في حد ذاته قد تثقف باللغة الإغريقية إلى جانب اللغة الأصلية الليبية و الفينيقية، لأنه نشأ في مدينة قرطاجة عام 232 ق.م[147].

مثلما يحضرنا في هذا المقام، ما وجد عليه ضريح "صومعة الخروب"(أنظر الشكل رقم2)، وقد يكون حسب اعتقاد الباحثين قبر العاهل النوميدي ماسينيسا، بسبب القرب من مدينة قسنطينة، أي الإشراف على عاصمة مملكته، مبني من الحجارة المنحوتة، و المستلهم من الأسلوب الإغريقي[148].

---

[145] كامبس، ق.، 1960، ص.244.
[146] غانم، م. ص.، 2010، الجزء الثاني، ص.144.
[147] غانم، م. ص.، 2010، الجزء الأول، ص.125.
[148] جوليان، ش. أ.، 1969، ص.138.

الشكل رقم6: – **وسام فضي عليه شكل الإله الإغريقي بوسيدون، وجد بضريح الخروب.**

كامبس، ق.، 1960، ص.245.

و من نافلة القول، نصرح أن فترة حكم ماسينيسا، مثلت و بحق انفتاح بلاد النوميد خاصة، و المغرب عامة، على التأثيرات الإغريقية، ليس فقط في كيرتا العاصمة كما أسلفا الذكر، بل في باقي المدن الساحلية منها بحكم جغرافيتها القريبة من هذه التأثيرات، ولكن حتى الداخلية منها[149]، كما تظهر تأثيرات الحضارة الإغريقية، بارزة في اقتباسات ماسينيسا، أن أضحى زعيم النوميد، أي ما أراده أن يكون، ملكا لا زعيم قبيلة، فشيد القصور الفاخرة و أكتسب التاج[150].

وما لا يجب إغفاله في هذا العنصر، أن علاقات الإغريق بشمال إفريقيا، تعود إلى أوقات متأخرة، فقد تطلع الإغريق إلى الشمال الإفريقي، و أقاموا مستعمرة قورينة (Cyrène)، في القرن السابع ق.م[151].

5- علاقاته مع العالم الإيجي

من بين مظاهر هذه العلاقة، التي اتسمت بالطابع التجاري أكثر من غيره، أن فترة حكم ماسينيسا، مثلت انفتاحا كاملا على البحر المتوسط، منها تلك العلاقة مع جزيرة رودس (Rhodes)، و التي كانت أكثر بروزا من غيرها، و لعل السبب يعود بالدرجة الأولى للقرب الشديد من المدن النوميدية الساحلية، و الشاهد المادي على هذه العلاقة هي إقامة أحد سكان رودس تمثال للملك النوميدي كعربون اعتراف[152]، للتسهيلات التي قدمها هذا الأخير لكمال التجار، بعكس ما كان مألوفا لدى القرطاجيين من قبل، و هذا ما اشرنا إليه سالفا.

---

[149] كامبس، ق.، 1960، ص.239.

[150] برنيان، أ.، نوشي، أ.، لاكوست، إ.، 1984، ص.71.

[151] Mercier, E., 1888, Tome 1, p.3.

[152] كامبس، ق.، 1960، ص.239-240.

الشاهد المادي كثير و دال على ما ذهب إليه المؤرخون، فقد عثر على جرار رودية بمدينة قسنطينة، و هي الآن ماثلة بمتحفه، قد نوع النوميديون صادراتهم للروديين، فلم تقتصر فحسب على الحبوب، بل شملت أيضا، خشب العفصة و العاج [153].

ماسينيسا بمخالفته للقرطاجيين، و توسيع العلاقات التجارية مع كل من رغب فيها أراد من كل هذا أن ينتزع اعترافاً دوليا بدولته الفتية، هو ما يسمى في القانون الدولي بالاعتراف الكاشف.

كما لا نستبعد، ضمن المنطقة، التجارة التي ازدهرت بين النوميد منذ اعتلاء ماسينيسا العرش و ديلوس (Délos)، و منها صفقات القمح و الشعير، و التي يُفصّلها حارش، ضمن كتابه التطور السياسي و الاقتصادي لنوميديا، مثلما يورد الشواهد المادية على هذه العلاقة منها صفقة القمح عام 179 ق.م بلغت 11.6000 قنطار[154]، مقابل تزويد ماسينيسا ديلوس بالقمح حصل العاهل على كمية معتبرة من العملة الفضية قدمها بدوره لمعبد الإله أبولون[155] و لقد خلدت ديلوس هي الأخرى ذكر الملك النوميدي بنصبان تذكاريان[156]، و هذا إذا دل على شيء إنما يدل على الشهرة و التقدير اللذان كانا يحضا بهما ماسينيسا، و هذا ليس من منطلق فارغ، أو أجوف، لكن فرضه الملك النوميدي بنفسه، بما حققه هذا الأخير من انجازات اقتصادية و سياسة و عسكرية، ففرض احترام الجميع له، حتى حليفته روما لم تتجرأ على إغاظته، ليس كونه صديق الرومان فحسب، أو قد قدم لها خدمات جليلة، بل أيضا لأنه ند لا يمكن تجاهله، و علمت روما و مجلس شيوخها، أن من المستحسن كسبه كحليف، أفضل من تحويله إلى

[153] غانم، م. ص.، 2010، الجزء الثاني، ص.143.
[154] حارش، م. هـ.، 2014، ص.170.
[155] غانم، م. ص.، 2006، ص.127.
[156] كامبس، ق.، 1960، ص.241.

عدو، تُجهل بعد ذلك عواقب هذه العداوة، و قد شاهدت روما كيف يتحرك ماسينيسا، حينما يعقد العزم، على تحقيق آماله و مبتغاه، و لذا كل محاولات الإلحاق و الذم ستأتي بعد مماته.

6- ماسينيسا بين الأسطورة* و الحقيقة

يعيش المغاربة، مثلهم في ذلك مثل السواد الأعظم من الشعوب، في ظل العديد انساق الاعتقاد، فلا يمكننا بأي حال من الأحوال، نفي وجود أسطورة أوردها الباحثون القدامى حول شخصية ماسينيسا، و منهم بوليبيوس، و تناقله المؤرخون من بعده دون تحري أو تمنع في صدق هذه الأحداث التاريخية، و تبدوا إحدى عناصر هذه الأسطورة في ما تداولوه عن قوة بنيته الجسمية، بكثير من المبالغة، فجعلوه يخرج عن طور البشر، فلا يتعب و لا يؤثر فيه البرد و الحر، و لا يريح جسمه الآدمي، فأضحى و كأنه ربما مخلوق آخر، أو لربما أوعز بوليبيوس إلى تأليه ماسينيسا: " و قد كان يتفوق عن معاصريه بقوة البدن. فكان بإمكانه أن يظل واقفا كذلك نهار كاملا في نفس المكان، عندما يتحتم البقاء واقفا. و عندما يتحتم البقاء جالسا فإنه لا يبدي أي حاجة إلى الوقوف. يتحمل الأتعاب التي تحتمها عليه المسيرات الطويلة على الحصان، في الليل كما هو الحال في النهار، دون أن يشعر بأي شكل من تلك الأتعاب"[157].

* هي واقعة ثقافية، يعرفها كل من فارنزورث (Farnsworth) و لابيير (La pier) أنها مجموع الشائعات التي أصبحت من التراث الشعبي المتداول، أما دائرة المعارف البريطانية فترى: " أنها تعني حكايات الناس و أساطيرهم التي تنتقل شفاها من جيل إلى آخر و تحفظ من الضياع بقوة ذاكرة الذين يتوارثها طبقة بعد طبقة و انه تخدم غرضين أساسين، فهي من ناحية تحدثنا بتاريخ الشعوب، ومن زاوية أخرى فهي ثقافة تصويرية تحدد مكانة صاحبها في المجتمع الذي يعيش فيه."و هي تمثل قيمة تاريخية لا يمكن الاستغناء عنها لأنها جزء من تراثنا ، و تعرف لغتا على أنها الأحاديث التي لا نظام لها، و هي الأباطيل و الأحاديث العجيبة، و هي الحكاية التي لا أصل لها، أما اصطلحا فجاء في قاموس علم الاجتماع أن الأسطورة هي:«تفسير أو قصة رمزية تروي حادثة غريبة، أو خارقة للطبيعة، توجد في ثقافة فرعية، وتتميز الأسطورة بتناقلها، وانتشارها على نطاق واسع، وتأثيرها العميق نتيجة ما تنطوي عليه من حكمة، وفلسفة وإثارة وإلهام." للمزيد من المعلومات ينظر:
القمنى، س.، 1999، *الأسطورة و التراث*، الطبعة الثالثة، القاهرة، ص.23-35.
لكبير، ف.، 2008-2009، "*دور الأسطورة الدينية في بناء النظام الاجتماعي*"، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع، باتنة، ص.30-39.

157 Polybe, XXXVI, 16.

تتضح أيضا حلقات هذه الأسطورة في ما ردده المؤرخون عن الانجازات الاجتماعية التي حققها ماسينيسا بحمل القبائل النوميدية من طور البداوة إلى عالم الحضارة و التمدن في وقت قياسي فيروي سترابون:" أنت أيها الأمير، فعلا، الذي، بتمدين النوميديين، تذوقوا طعم الزراعة، وجعلت منهم جندا منتظمين، بعد ما كانوا قطاع طرق"[158]، ومن جهته لا يختلف ساليستيوس في موقفه من النوميديين عن سترابون، حيث يصفهم بأقوام متوحشة تعيش على أرض قاحلة تكثر فيها الحيوانات المفترسة، لا يخضعون لا لقانون و لا لزعيم، و هذا ما نلمسه من خلال النص التالي:" كان يسكن إفريقيا في البداية الجيتول و الليبيين، أمم أفضاض غلاظ، يعيشون على لحوم الحيوانات المتوحشة، والأعشاب البرية كالقطيع، لا يخضعون لا لعادات و لا لقوانين و لا حتى لزعيم. بدون مأوى قار، يهيمون في الطبيعة، منازلهم تكون حيث تداهمهم ظلمة الليل."[159] بحيث يري قزال عكس ذلك إذ يقول: " ليس من قبيل الصواب أن يكون الانتقال من الحياة الرعوية إلى الحياة الزراعية قد حدث فجأة"[160].

أما عن المنجزات الزراعية فالمبالغة هي أكثر حضور ووضح و صادمة إن صح القول أكثر من أي مجال أخر، ففي هذا الصدد يذكر أبيانوس: " أن النوميديين كانوا يعتاشون على الأعشاب الطبيعية، لعدم امتهانهم الزراعة."[161]، فيبدوا أن هذا الطرح الذي تناقله المؤرخون الرومان لم يعد مقبولا خاصة مع توفر المصادر التي تنفي ذلك، فقلد رأينا أن هيرودوت يتحدث عن وجود الفلاحة و الاستقرار في شمال إفريقيا قبل ماسينيسا أو حتى قبل ظهور الممالك المحلية في القرن الثالث ق.م، إطلاقا هذا لا ينفي ما حققه العاهل النوميدي فأصبحت نوميديا في عهده أكثر عطاء، فازدهرت على إثرها التجارة خاصة بالمدن الداخلية أين كانت تقام الأسواق و المعارض، تطورت المراكز الفينيقية على طول الساحل، فصدرت كميات معتبرة من

---

158 Strabon, XVII.3, 15.
159 Salluste, XVIII.
160 قزال، إ.، 1913، الجزء الخامس، ص.161.
161 Appien, VIII. CVI, 499.

القمح، الصوف، الخيول، حيوانات مفترسة لتنشيط المهرجانات، و كذلك العبيد لبيعهم بروما و المدن الإغريقية الكبرى: أثينا رودس و مرسيليا[162]، و يبدوا من سياق الأحداث التاريخية أن المنجزات المعتبرة التي تحققت في عهد الملك ماسينيسا، لم تظهر من لا شيء، بل هذا يبعث في ترجيح الاعتقاد بوجود كيانات سياسة سابقة لماسينيسا مهدت لهذا التطور، الذي نسبه المؤرخون كليا للعاهل النوميدي[163].

و هكذا، يمكن أن نقول مثل ما قال غانم أن ماسينيسا قد أستطاع أن يجعل نوميديا تظهر و كأنها " أرض ملتقى الحضارات"، و أن يحمل نوميديا أن تكون مملكة لها وقعها و دورها الفاعل في منطقة البحر المتوسط، و لم يدخر أي جهد في توفير الأمن و الاستقرار، و تمدين ساكنتها[164].

و عبر المقاربة البيوغرافية التي طبقنها على شخصية ماسينيسا، لمسنا كل هذا، فكان الملك الذي تكاملت فيه الصفات الخلقية و العقلية و الجسمانية، حتى و إن قد محصنا الصائب منها من المبالغ فيه، وهذا عبر أخر عنصر من هذا الفصل.

---

162 Ayache, A., 1964, p.34.

163 شنيتي، م. ب.، 1982، ص.20-21.

164 غانم، م. ص.، 2010، ص.144.

الفـــــصل الثاني

يوبا الثانـي ملك موريطانيا

1- التعريف بمملكة موريطانيا.

2- أوضاع إفريقيا قبيل فترة يوبا الثاني.

3- بيوغرافية يوبا الثاني.

4- أعمال يوبا الثاني العلمية.

5- نهاية مملكة موريطانيا.

حتى نتطرق إلى مضامين فترة حكم الملك يوبا الثاني لا بد أن نشير على أن الملك ماسينيسا مثل ما جاء في الفصل الأول من هذه المذكرة قد اعتمد أسلوب المقاومة العسكرية و بهذا يختلف عن ملكنا الموريطاني الذي فضل أسلوب أكثر سلاسة، و هو أسلوب المقاومة الثقافية مثل ما سيأتي تبيانه من خلال هذا الفصل، و على هذا الأساس اخترت للدراسة هذين الملكين للاختلاف الواضح بينهما في الأسلوب لكن يلتقيان في الغاية و هي المقاومة كما أوضحنا سالفا.

1- التعريف بمملكة موريطانيا

ظهور مملكة موريطانيا (Maurétanie) هو أقدم من ممالك النوميد، وهذا منذ القرن الرابع ق.م أي بقرن كامل عن مملكة نوميديا في الشرق منها، حتى و إن الجزم بتاريخ بعينه عن حقيقة ظهور هذه المملكة هو غير مؤكد لحد الآن، بحيث يورد حارش ما جاء به يوستينوس عن استعانة حنون* (Hannon) القرطاجي حينما حاول الاستيلاء على الحكم بالملك ماوري[1]، و لقد ميز الأقدمون من الإغريق والرومان من المؤلفين سكان موريطانيا القاطنين إلى جوار أعمدة هرقل عن بقية السكان الليبيين، و هم الذين يستقرون الأبعد إلى الغرب بحيث أسموهم الموريين، بالرغم أن في القرن الثاني ق.م لا يزال آرتيميدوروس**

* قائد عسكري قرطاجي و ملك قرطاجة حكمها ما بين 480-440 ق.م خلفا للملك هميلكار الأول، بالإضافة انه مستكشف و بحار ماهر كما كان جل القرطاجيين، اشتهر برحلته من قرطاج إلى سواحل غينيا، و هذا بغرض توسيع دائرة تجارة قرطاج و بناء مستوطنات جديدة هناك، قاد هذه الرحلة البحرية عام 465 ق.من نقش الملك القرطاجي نص هذه الرحلة على صفائح علقت بمعبد كرونوس. للمزيد من المعلومات يعاد إلى: Claude, A.; 1919, *Larousse classique illustré,* Paris, p.1547.
Bongars, B., 1843, *Biographie universelle ancienne et moderne : histoire par ordre alphabétique de la vie publique et privé de tous les hommes,* Paris, p.201.

[1] حارش، م.هـ.، 1992، *التاريخ المغاربي القديم السياسي و الحضاري منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي*، الجزائر، ص.101.

** جغرافي إغريقي شهير من آسيا الصغرى، عاش في القرن الثاني ق.م (Artémidore d'Ephèse)، و الملقب ب(Daldien)، ألف عدة كتب مهمة، ضاعت ، و لم تبقى إلا بعض الشذرات منثورة هنا و هناك في مؤلفات الغير و من أهم ما ألفه، كتابه أينوروكريتيكا (Oneirocritica) بحيث جمع فيه كل المخطوطات القديمة عن تفسير الأحلام و هي مقدم بكيفية==

(Artémidore)، يدخل سكان هذه المناطق في النوميديين و لا يعنينا هنا أن ندخل في الجدل القائم بين بعض المؤرخين أمثال بوشار (Bochart) و قزال، حول أصل التسمية فيذهب الفريق الأول إلى اعتباره ذي أصول سامية فينيقية لكلمة "ماهوريم" (Mahaurim) أي الغربيون، و الفريق الثاني إلى اعتباره محلى الأصل "موري" (Mauri)، ويستندون في ذلك إلى الرحالة الجغرافي الاغريقي سترابون[2]، مثل ما ينعت كذلك هذا الأخير منطقة موريطانيا بمورسيا (La Maurusie) قائلا :" يوبا هو الوحيد الذي بقي يسيطر على كامل مورسيا و على جزء مهم من ليبيا، بفضل تمسكه بالتحالف المعقود بينه وبين الرومان"[3].

مثل ما يحدد أيضا هذا الرحالة الشهير بلاد المور (Maures) بحسب التسمية الرومانية لسكان المنطقة، و الموريسيين (Maurusiens) أو موروسيوي (Maurousioi) و هذه اللفظة موجودة أيضا عند بوليبيوس، و هذا بالنسبة للفظة الإغريقية، و لعله حسب قزال مأخوذ من النص الذي نقشه حنبعل بلغتين، منها الإغريقية، فمن ضمن الأقوام التي جندها في حربه ضد الرومان الموريسيون، و بقي هذا الاسم ذو دلالة جغرافية قبل أن يصبح اسما سلاليا[4].

يصفهم سترابون بأنهم شعب لوبي، شعب عظيم و ثري، لا يفصلهم عن إسبانيا غير مضيق قليل المسافة، إذ يقول: "هنا يعيش الموريسيين، حسب التسمية الإغريقية؛ و المور حسب الرومان و الأهالي؛ هم شعب ليبي، عظيم و غني، لا يفصلهم عن إسبانيا غير مضيق. و بالرغم أنهم يسكنون منطقة جيدة و خصبة، أغلب الموريسيين يعيشون، وإلى يومنا هذا، حياة البداوة، يضفرون شعورهم، و لحاهم، يلبسون الحلي، يعتنون بأسنانهم وأضافرهم. يحاربون في

==منهجية و دقيقة، بعد ما كان يعتريها الخلط و الدجل، وبذلك يكون أول من وضع أسس لتفسير الأحلام. حول الموضوع ارجع إلى: Conrad, M. B., 1840, *Précis de la géographie universelle ou description de toutes les parties du monde,* Tome 1, France, p.51.

[2] كامبس، ق.، *البربر ذاكرة و هوية*، ترجمة عبد الرحيم حزل، 2014، ص.144.

[3] Strabon, Géographie, VII-XII, Trad. A. Tardieu, 1873, Paris.

[4] قزال، إ.، 1913، *تاريخ شمال إفريقيا القديم*،الجزء الخامس، ترجمة محمد التازي سعود، 2007، الرباط، ص.84-85.

أغلب الأحيان على جثوة خيولهم و بالرمح دون سروج و يستعينون أيضا بسيف مقوس."[5]، و تبدوا أهمية سترابون في كونه معاصر للملك الموريطاني يوبا الثاني، و في نفس الصدد يتحدث قزال عن الشعوب التي سكنت و انتشرت على الشمال بين المنطقة البونية و المحيط، و هم ثلاث أقوام، على رأس كل واحد منها ملك يحكمها، و منها في الشمال الغربي، مملكة المور[6]، كما أن المؤرخ اللاتيني تيتوس–ليفيوس هو أول من ذكر اسم باغا، حيث أن ماسينيسا الملك النوميدي لما كان عائدا من شبه الجزيرة الأيبيرية إلى مملكته تلقى من حليفه باغا حامية عسكرية من الجنود لحراسته عند اجتيازه لتراب خصمه و منافسه سيفاكس ملك الماسيسيل، يقول ليفيوس في هذا الصدد:" ماسينيسا، بتلقيه خبر وفاة عمه، ثم ابن عمه بعد ذلك، انتقل من إسبانيا إلى موريطانيا أين كان يحكم الملك باغا ، الذي وضع حرسا لمرافقته بأربعة ألاف رجل، بدل من جيش لاستعادة حقوقه."[7] وكان يجب أن يمر قرن آخر قبل أن يتردد اسم المملكة الموريطانية من جديد بسبب قيام الحرب بين روما و الأمير النوميدي يوغرطة أي عند نهاية القرن الثاني ق.م، وكان المؤرخ سالوستيوس هو الذي أعطى تفاصيل و حقائق تهم هذه المملكة، مثل ما وجد إشارة لملك موريطاني، و هو الملك بوخوس* (Bocchus)[8].

---

[5] Strabon, XVII, III, 2, trad. Roget.R, 1924, Paris.

[6] قزال، إ.، 1913،ص.23.85.

[7] Tite-Live, *Histoire romaine,* II, 33, trad. M. Nisard, 1839, Paris.

* ملك موريطاني (Rex) ابن الملك سوسيوس (Sosus ou Sosius)، (BQS HMMLKT)، وهو ملك المور أو موريطانيا، و التي امتدت في البدء في منطقة (المغرب الأقصى الحالي)، أي من واد ملوية إلى المحيط الأطلسي، و من البحر المتوسط شمالا إلى حدود القبائل الإثيوبية جنوبا، و ستتوسع على حساب مملكة النوميد، جزاء على ما قدمه من إعانة و التآمر لإلقاء القبض على صهره يوغرطة، وتظهر شخصية بوكوس أو بوخوس الأول من خلال كتاب سلوستيوس "حرب يوغرطة" و التآمر الذي بدأت خيوطه تظهر باتصال منيلوس (Manilus)، علما أن الملك الموريطني كان صهرا للمقاوم النوميدي.للاطلاع أكثر على الموضوع يعاد إلى: Majdoub, M., 1992, « Les luttes du début du Ier siècle av.J,-C. au nord de la Mauritanie », *publication de l'école française de Rome,* Lixus, Actes du colloque de Larache, p.235-238.
Amandry, M., 1989, "Notes de numismatique africaine, IV", *revue numismatique*, V.6, N.31, p.80-85

[8] Salluste, *La guerre de Jugurtha,* LXXX, trad. Ch. Durosoir, 1865, Alger.

و على كل فإن كانت منطقة بلاد المور معروفة لدى التجار منذ القرن السادس ق.م باتجاههم نحو أعمدة هرقل، إلى أن المعلومات عنها زهيدة، و مما زاد في غموض المنطقة هو إقدام القرطاجيين بإغلاق أعمدة هرقل على الملاحة الدولية.[9]

و على العموم فإن لفظة موريطانيا التي كانت ترد في المصادر اللاتينية و الإغريقية تعني (المغرب الأقصى) حاليا و قد حصر المؤرخون حدودها ما بين أعمدة هرقل (مضيق جبل طارق) شمالا، ونهر ملوية في الشرق و المحيط الأطلسي من ناحية الغرب أما جنوبا فكانت حدودها غير قارة[10]، كما كان مع جارتها مملكة النوميد نتيجة الحركة المستمرة للقبائل البدوية أمثال الجيتول* (Gétules)، كما استقر جنوبا من المغرب الحالي أقوام كثر كالفاروسيين (Pharusiens) و البيررسيين** (Péroses)، مثل ما مثلت رحلة حنون أهم

---

[9] قزال، إ.، 1913، ص.17.

[10] حارش، م.هـ.، 1992، ص.102.

* من القبائل الليبية التي تداول اسمها المؤرخون الكلاسيكيون، أمثال سلوستيوس، بلين الشيخ و بروكبيوس، و تمتد هذه القبائل البدوية جنوب ممتلكات المور و النوميد على حد سواء، كما يحدد آخرون تواجدهم خلف جبال الأطلس، و أنها تنقسم إلى قسمين: منهم المرتحلون و المستقرون، كما يجعل جون نوال فيري (Jean-Noël Ferrié) و جيل بواتش (Gilles Boetsch)، في مقال حول جدلية أصول البربر و التفرقة بينهم و العرب، يرجعون انحدار الطوارق الحالين في الصحراء الشمال الإفريقي إلى الأصل الجيتولي، و لم ينحدر هؤلاء بالصحراء إلا في خضم التوسع الروماني الضاغط على المناطق الشمالية من بلاد المغرب القديم في فترات متقدمة، في عهد السيفرسين (Des Sévères)، و في نفس الفترة تظهر تربية الإبل التي تجعل من الممكن الترحال عبر الصحراء الإفريقية، و بدؤوا يشكلون ضغطا مستمرا على الشعوب بالشمال فاخترقوا بلاد المور و النوميد و قدروا على الوصول حتى سواحل البحر المتوسط في نوميديا. للمزيد من المعلومات أنظر:

André, P., 1930, « Histoire ancienne de l'Afrique du nord »,*H.E.S*, Volume 2, Numéro 6, p.296-298.

V.51, N.51, Waelkens, M., 1982, « Gabriel Camps, berbères aux marges de l'histoire", *A.C*, p.553-555.

** فبائل من أصول ليبية توطنت في جنوب المغرب الحالي أي موريطانية، و على حواف الصحراء، و يتناول الدكتور احمد سراج ضمن مقاله "في المواطنة مسالة الانتماء إلى الوطن" ضمن سلسلة مقالات عنونها بـ "الإنسان و سؤال الأصول"، عن التشابه الذي ذكره المؤرخ الروماني سلوستيوس فيما يتعلق بتأثير الميدي و الفارسي للتشابه الحاصل في الأسماء (Pharusii) و (Pérorsii) مع اسم (Perse)، و منهم من كانوا ساكني الكهوف (troglodytes)، يحاربون على العربة، مسلحون بالقوس و الرمح، يتوغلون أحينا داخل ارضي المور في القسم الشمالي الغربي و حتى الشرقي منه وصولا إلى مدينة كيرتا النوميدية، على الخيول. للمزيد من الاطلاع ينظر: Lucas, A. J., 1931, « Considération sur l'ethnique maure et en particulier sur une race ancienne ; les Bafours », *J.S.A*, N.1-2, p.151-194.

مصدر للاطلاع على هؤلاء الأقوام التي توطنت المنطقة، كالرعاة من اللكسيين* (Lixites) إذ وجدهم حنون يعيشون بمحاذاة نهر لكسوس العظيم (وادي درعة)[11]، حتى و إن وُجد من ينفي التأثير البوني على المنطقة[12]، و يُرجعُ بيومي مهران هذا الابتعاد عن التأثيرات التي حصلت في الغرب من نهر ملوشا، هي طبعتها الجبلية (سلاسل الأطلس)، ولذلك كان تقدم موريطانيا هو أبطأ من نوميديا، أو هو كما يظن الكاتب تعود لنقص المعلومات[13]، كما أشرنا من قبل، أما كامبس فيتحدث عن تأثير مزدوج بوني أيبري ليس على السواحل فحسب بل امتد حتى بالداخل، فكانت المدن الداخلية مراكز للثقافة البونية قبل أن تصبح رومانية الثقافة، بالإضافة إلى ذلك فقد استخلص هذا الأخير من خلال الوثائق الأثرية و النقوش و ما ورد في المصادر الأدبية، أن المدن المورية تعدت في وقت مبكر مرحلة القرية، بظهور وظيفة الأشفاط فيها مثل مدينة وليلي[14].

و لقد تغيرت حدود المملكة كثيرا، و توسعت على حساب نوميديا مرتين، مرة في عهد بوخوس الأول كجزاء للعون الذي قدمه للرومان في حربهم ضد يوغرطة الثائر، فكان التوسع على المناطق المجاورة للملوشا باتجاه الشرق حتى الصومام، و في المرة الثانية كان

---

* أفضل مصدر حول هؤلاء الليبيين، هي رحلة حنون، الذي تحدث عن نهر لكسوس (واد درعة) و لم يتحدث عن مدينة ليكس (مدينة العرائش)، فهم أقوام بدو رحل بامتياز، يرعون قطعانهم على ضفاف النهر، وفي الأعلى من موطنهم يعشون الإثيوبيون المنعزلين يعشون على الجبال الوعرة و الآهلة بالحيوانات المفترسة، و لقد خلط هيرودوت بينهم و بين الناسوميين (Nasamons)، و الذين يعيشون على الفواكه و الكروم البرية، و موطنهم ليس المناطق الداخلية بل على حواف البحر، كما ينعت البعض الأخر اللكسيين أنهم رعاة مستقرون. للمزيد من المعلومات يعاد إلى:

Merlin, A., 1944, « La véritable portée du périple d'Hannon (Jérôme-Carcopino Le Maroc antique) », *Journal des savants*, V.2, N.2, p.62-76.

Desanges, J., 1989, "Lixos dans les sources littéraires grecques et latines », *E.F.R, lixus, Acte du colloque de Larache*, p.1-6.

[11] قزال، إ.، 1913، ص.11-13.

[12] الكعاك، ع.، بدون تاريخ، *البربر*، الجزائر، ص.52.

[13] مهران، م. ب.، 1990، *المغرب القديم*، مصر، ص.292.

[14] كامبس، ق.، 1960، *في أصول البربر ماسينيسا أو بدايات التاريخ*، ترجمة العربي عقون، 2010، الجزائر، ص.306-309.

في عهد يوبا الأول* الذي انكسر في معركة تابسوس** (Thapsus) 46 ق.م، و المساند لخصم يوليوس قيصر*** (Julius César) بومبيوس**** (C.N Pompeius)، فضم بوخوس الثاني ما بقي من بلاد الماسيسيل حتى الواد الكبير[15].

* الابن البكر لهمبصال الثاني، ترعرع داخل قصر والده و لازمه أثناء ملكه، ظهرت عليه ملامح التطلع إلى الحكم منذ نعومة أظافره، فكان دائما يحرص على الظهور بمنظر لائق أمام الآخرين مما يوحي بهذا التطلع المبكر، كما كان حريصا على المحافظة على العادات و التقاليد الموروثة من مجتمعه، و لم تاستهويه ما كان وراء البحر، و لا يقبل التقليد سواء من الرومان أو الإغريق، و هذا ما يبين تطلعاته الوطنية و يبرر ما سيقدم عليه من بعد من حربه ضد قيصر، كما عرف عنه حبه للميدان العسكري بعكس والده، تقلد الكثير من المهام الدبلوماسية في حياة والده، و هذا ما جعل الخطيب شيشرون (Cicéron) يلمح الأمير و هو في إحدى مهامه بروما، و لما تقلد الحكم سنة 50 ق.م وجد نفسه قد آلف العمل السياسي و وجد سهولة في تناوله، و كان كما ذكرنا بعيدا عن التأثيرات اليونانية أو الرومانية فكون حرسه من الأسبان و الغاليين، كانت زما (Zama) عاصمة مملكته التي لم يكتفي بتزيينها بالقصور الفاخرة، بل أقام حصن ثلاثيا لتكون أكثر حصانة. حول الموضوع اطلع على:
Mercier, E., 1888, *Histoire de l'Afrique septentrionale depuis les temps les plus reculés jusqu'à la conquête Française(1830),* V.3, p.74.

** وفق التقرير الذي قدمه السيد اوسكار داميشال (Oscar Damichel)، ملحق بوزارة التعليم، و مكتبي بمدينة بون (Bone)، وضع خط جغرافيا لمدينة تابسوس حاليا مدينة ديماس (Dimas) أو حسب قزال "برأس ديماس" و هو مرتفع يمثل زاوية تكاد تكون قائمة تتجه أضلاعها من الغرب للشرق و من الشمال للجنوب، و من ورائها إلى الجنوب الغربي توجد بحيرة عريضة تدعى "سبخة موكنين"، ولا تزال بقيا المدينة القديمة واضحة، كبقايا الميناء و الذي تمتد 206 متر على طول الساحل و بقيا صهاريج رومانية، و تشهد هذه البقايا المترامية على عظم المنشئات و المدينة و هي في الأصل مدينة فينيقية تتموضع بالشمال الشرقي لواد بكانس (l'Oued-Bikens)، وقعت فيها معركة حاسمة يوم 6 ابريل 46 ق.م بين يوليوس قيصر من جهة وسكيبويا ميتيللوي و يوبا الأول من جهة ثانية، بحيث انتصر قيصر على منافسيه و حطت الحرب أوزارها في إفريقيا و خلفت خسائر حول محيط المدينة و تحولت تابسوس إلى مدينة رومانية. حول الموضوع ارجع إلى:
Damichel, O., 1921, « Thapsus », *B.S.G,* Paris, p. XXIX
قزال، إ.، 1913، الجزء السابع، ص.110.109.

*** كايوس يوليوس قيصر (CAIVS IVLIVS CAESAR IV) ولد عام 100 ق.م و مات عام 44 ق.م، أول من أطلق على نفسه لقب إمبراطور، تولى الحكم عام 49 ق.م، و كما سبق ذكره ينحدر من عائلة عريقة بروما أسرة جوليا (julia)، و نظرا لشهرته و ثقافته الواسعة فلقد تبنى الكثيرون بعده اسمه، تيمنا بهذا القائد الفذ، عايش في حياته في شبابه الحرب الأهلية بين سيلا (Sylla) و ماريوس (Marius)، استطاع يوليوس قيصر أن يلعب كل الأدوار و بجدارة فكان السياسي المحنك الذي كانت له القدرة على رفع التحديات و أن يقضي على خصومه، لعب دور العسكري البطل و المنتصر كان قائد محبوبا لدى جنده استطاع استمالتهم و ربى فيهم حب الذات و الاعتزاز كما هو، حتى كان يشري جنده وذممهم بالمال الذي كان يجمعه من الحروب حيث كان يقول :"إذن بالمال يكون لنا جند، و بالجند نسرق المال." حتى يبرر أعمال النهب التي المناطق سواء المال العام ، الأماكن المقدسة المهم كل ما يجده أمامه، كذلك لعب دور المؤرخ، فكان من بين أشهر كتبه "حرب إفريقيا"، العالم اخترع شيفرة سميت باسمه، تاريخه مملوء بالحروب و الانتصارات سواء في غالة (La Gaule) أو اسبانيا أو إفريقيا، للمزيد من المعلومات طالع: Baudement, T., 1865, « Vie de César », *C.B.O,* France, p.158-181.

**** (من 106- 48 ق.م) كينيوس بومبيوس ماقنوس سياسي و قائد روماني، ينتمي إلى عائلة عريقة، اظهر منذ نعومة أظافره مناصرته و ميله لسناتوس، في حين كان يوليوس قيصر يتعاطف مع حزب الشعبيين، حينما عاد سولا (Sulla) من إفريقيا عام 83 ق.م انضم إليه بعدما كان من أنصار ماريوس، فتخلى على ماريوس و حاربه في كل من صقلية و إفريقيا سنة 82 ق.م، عينه سولا ماجنوس (Magnus)، و لما مات سولا رأى فيه حزب السناتوس خليفته، عين عام 70 ق.م قنصلا رغم صغر سنه، ثم اشترك في حكم روما مع كراسوس (Grachus) و قيصر، و حينما مات كراسوس عام 53 ق.م، نشأ خلاف بينه و بين شريكه المتبقي في الحكم يوليوس قيصر، و دخل معه في حرب انتهت بانهزامه و موته في معركة فارسالوس عام 48 ق.م.==

غير أنه لا ينبغي أن ننسى أن المنطقة قد اتخذت أسماء مختلفة للدلالة على رقعة جغرافية و حقبة زمنية معينة، وهي موريطانيا الطنجية (Mauretania Tingitana) عاصمتها تينجيس (Tingis) (طنجة) تمتد غرب المولوشا، و موريطانيا القيصرية عاصمتها قيصرية أي يول (Iol Caesarea) (شرشال) متربعة على شرق و وسط (الجزائر) و شمال (المغرب الأقصى)، و موريطانيا السطايفية امتدت على الشرق من (الجزائر)، عاصمتها سيتيفيس (Sétifis) (سطيف)[16].

و أيا كان من أمر فان المنطقة قد شهدت جملة من القلاقل و الاضطرابات، إن الملوك أو القادة المحليين مع بعضهم البعض (ماسينيسا و سيفاكس) أحيانا تدفعهم طموحاتهم الشخصية (بوخوس الثاني) أو دوافع أسمى تكون وطنية (أرابيون)* (Arabion)[17] ، أو مع طرف خارجي هو روما (يوغرطة أو يوبا الأول)، مما أضعفها وعرضها لعملية تصفية ممنهجة من الرومان بتطبيق سياسة إلحاق و ضم للأراضي، سواء القرطاجية النوميدية و الموريطانية،

==حول الموضوع انظر: حارش، م. هـ.، 2008، " الجذور التاريخية لمملكة نوميديا "، *مجلة الإتحاد العام الآثاريين العرب*، العدد 10، القاهرة، ص.285، العبادي، م.، 1999، *الإمبراطورية الرومانية النظام الإمبراطوري و مصر الرومانية*، الإسكندرية، ص.47-50.

[15] حارش، م. هـ.، 1992، ص.102-103.

[16] Le Bohec, Y., "Maures ou Mores », *Encyclopaedia Universalis*, URL : http://www.universalis.fr/encyclopedie/maures-mores/

* ابن ماسينيسا الثاني، اتبع نهج أسلافه في مقاومة الاحتلال الروماني كمحاولة لتحقيق مآربه الوطنية، فقد استغل هذا الأخير نزاع حدث بعد مقتل قيصر سنة 44 ق.م، بين حاكمي إفريقيا القديمة (Afica Vetus)، و اختار أن يصف إلى جانب الحاكم المعزول من مجلس الشيوخ سيكتيوس، إذ سجل هذا الأخير انتصارا محققا على خصمه الحاكم القديم كورنيفسيوس (Q.Cornificius)، ولقد اغتال سيتويوس و شتت مرتزقته من الايطاليين و الايبيرين و استرجع ملك يوبا الأول، و كان اشد كرها لقيصر و أنصاره، و لما رجعت إفريقيا من نصيب القيصريين أمثال اوكتافيوس، تراجع عن التزاماته اتجاه سيكتيوس الذي دبر له مكيدة لاغتياله لما رآه من انتصارات التي حققها ارابيون في المنطقة، و كان من نفذ ذالك الملك بوكوس الذي لم يعجبه توسع نوميديا من جديد و تقلص مملكة موريطانيا.للمزيد من الاطلاع عد إلى:
غانم، م.، ص.، 2010، *مقالات و آراء في تاريخ الجزائر القديم*، الجزء الأول، عين مليلة، ص.196-198.

عرفت هذه السياسة تاريخيا بسياسة الرومنة وذلك من 146 ق.م إلى غاية 40 م، وهذا ما يوضحه الجدول الآتي بمراحله المتعاقبة[18]:

الفترة الزمنية	المنطقة التي طالها الضم
146 ق.م	قرطاجة أضحت ولاية رومانية سميت إفريقيا الرومانية (Africa Romana)
46 ق.م	بعد هزيمة يوبا الأول ضمت نوميديا الشرقية و أصبحت إفريقيا الجديدة (Africa Nova)
33 ق.م	نوميديا الغربية و موريطانيا تحت وصاية روما
25 ق.م	وضع مملك موريطانيا بيد يوبا الثاني
40 ق.م	بعد مقتل ابن يوبا الثاني بطليموس ضمت نهائيا موريطانيا لروما

حتى وإن كانت مملكة موريطانيا لم ترعى باهتمام الرومان في بادئ الأمر، و لم تظهر أثر الرومنة إلا في مناطق محدودة من مدن الساحل المتناثرة و أثر حدود الليمس*

[18] الشنيتي، م.ب.، 1982، *سياسة الرومنة في بلاد المغرب من سقوط الدولة القرطاجية إلى سقوط موريطانيا (146 ق.م – 40 م)*، الجزائر، ص.3. 45. 64. 67.
برنيان، أ.، نوشي، أ.، لاكوست، إ.، 1960، *الجزائر بين الماضي و الحاضر*، ترجمة اسطنبولي رابح و منصف عاشور، ص.73. 77.

* هو حزام دفاعي، أقيم على الحدود، و لقد تطور مداه مع تطور التوغل الروماني بالمنطقة جنوبا أو غربا من قرطاجة بعد دكها سنة 146 ق.م، و لقد تضمن منطقة يتراوح عمقها بين خمسين إلى مائة كيلومتر، تتوسطه سلسلة من الطرق و القلاع المحصنة، و التي اختير مكانها بعناية فائقة لترصد حركة القبائل النوميدية و الموريطانية على حد سواء، وكذلك مهمتها أيضا الدفاع، و كذا مستعمرات قدماء المجندين الرومان، و جملة من الخنادق و الأسوار، و لم تكن حدوده ثابتة، بل يزداد حسب الانجازات العسكرية المحققة، و كان بمثابة نظام عسكري و اقتصادي، و لقد خضع لجملة من التعديلات بزيادة التحصينات بحسب اشتداد المقاومة آنذاك، ويتكون الليمس من ثلاث عناصر أساسية الخندق، الأسوار و الطرقات، و لقد شكل لدي الرومان خط الليمس كما اصطلح على تسميته ، حدا بين التحضر الذي يمثله العنصر الروماني المحتمي داخل أسوار الليمس، و==

(Le Limes) و قري عسكرية التي لم تتعمق كثيرا مثل ما كان لنوميديا بالشرق منها و حينما ضمت موريطانيا لحكم روما في عهد كل من الإمبراطورين كلوقولا* (Caligula) و كلوديوس (Claude) ورثت روما عصيانا مسلحا امتد حتى إلى أقاصي موريطانيا الطنجية (المغرب الأقصى)، و اتضحت معالم عدم الاهتمام الروماني بهذه المناطق من الآثار المدية المتبقية، فأجمل المدن الرومانية كانت متموقعة بالشرق من الشمال الإفريقي[19] مثل ما يؤكد هذه الحقيقة كامبس، بأن المناطق الحضارية و الطرق كانت أقلُ تطورا و لربما يعزى هذا إلى قلة اهتمام روما بإلحاق هذه المنطقة، و إن كانت لا تخلوا من الاضطرابات[20].

و عل كل فلقد حدد المؤرخون، مملكة موريطانيا الكبرى على أنها امتدت على طول المسافة من المحيط إلى واد لأمبساقا (Ampsaga) (واد الرمال)، و بعد وفاة بخوس الثاني الذي لم يعين خليفة له، ألحقت إلى أوكتافيوس الذي أبقى عليها مثل ما كانت ولم يحلقها إلى

==التخلف الذي مثله البدو خارج تلك الأسوار، و الذي يشكل خطرا علي تواجدهم. حول الموضوع انظر: الشنيتي، م. ب.، 1982، ص.113.

* الاسم الكامل كايوس قيصر كلوقولا (Caius César Caligula)، ابن جارمانكوس دراسوس (Germanicus Drusus) و اونتونيا (Antonia)، اصغر بنات اونتوان (Antoine)، والده الذي حقق انتصارات ببلاد الجرمان، قبلها شغل منصب قنصل، عند وفاة أغسطس (Auguste)، لم يعرف بتيبريوس (Tibére) كإمبراطور، لذا سيبعد من روما ببعثه نحو الشرق لقمع التمردات، سيموت و سنه لم يتجاوز أربعة و ثلاثون سنة، من مرض يعتقد أن سببه سم تجرعه، كلوقولا هو لقب أخذه من المعسكر الذي تربي فيه، بسبب مزحة من رفاقه على الحذاء الذي كان يرتديه، رافقه والد إلى سوريا، سيلقي مضايقات خلال حياته، تزوج من جونيا كلوديلا (Junia Claudilla) إحدى بنات احد أشراف روما سيالنوس (Silanus)، و التي فقده أثناء الولادة، تعلق بزوجة احد قادة الجيش ماكرونوس (Macron)، أنيا نافيا (Ennia Naevia)، ووعدها كتابيا و بالقسم بالزواج في حالة وصوله إلى الحكم، و بحسب المؤرخين انه سمم تيبريوس، وأقدم على خلع خاتمه و هو لازال حيا فألقى عليه وسادة و خنقه دو رحمة، عرف بتصرفاته الشاذة مع أخواته، و أعماله الإجرامية مثل عملية القتل التي طالت ابن يوبا الثاني بطليموس و هذا بالاقدام على ذبحه كما تذبح الشاة و الاستيلاء على أملاكه و أمواله و هو احد أقاربه لأنه حفيد الإمبراطور ماركوس اونطنيوس (Marc Antoin)، التي لم تشفع له عنده، فاغرق منطقة موريطانيا في حمام من الدم، إذ جندت روما ما يقارب 20.000 جندي لإخماد الثورة، كما اتصف بالبربرية و الوحشية، فقد قدم السجناء للحيوانات المفترسة و كان يتلذذ لرؤية ذالك، و الأمثلة كثيرة على وحشيته، سيغتال في سن تسع و عشرون سنة، دام حكمه ثلاث سنوات عشر أشهر و ثمانية أيام، حرق جسده ثم دفن، فستظهر مرة أخري من إخوته لحرقه و بعثرت الرماد المتبقي. للمزيد من المعلومات يعاد إلى:
Suétone, *vie de Caligula*, I-LX, Trad. M. Cabaret-Dupaty, Paris, 1893

[19] Meynier, G., 2007, *L'Algérie des origines de la préhistoire à l'avènement de l'islam*, Alger, p.71-73.

[20] كامبس، ق.، ص.212.

روما، أو إحدى ولايتها، بل أشرف عليها بنفسه في بادئ الأمر بواسطة واليين، ثم قسمها إلى ما يقارب اثني عشر مستوطنة، هذا حتى عام 25 ق.م أي سنة تنصيب الملك يوبا الثاني على المملكة، و من بين هذه المستوطنات، ستة ساحلية مثل صلداي (Saldae) (بجاية)، أو ايجيجلي (Igilgili)، و ثلاثة داخلية كحمام ريغة (Aqualcidae)، و تيكلات التي تبعد عنابة (Tubusuptu) في جونها الغربي ب 92 كلم[21].

كما أن روما قد مارست مثل ما حدث بجارتها نوميديا سياسة الإلحاق التدريجي فقد غرست عدد من المستعمرات وكان يوبا الثاني مساهما في إنشاء البعض منها فشكلت هذه الأخيرة أحزمة حول المدن ذات الأهمية الاقتصادية مثل العاصمة الثانية للمملكة الموريطانية وليلي و التي امتازت بخصوبة الأراضي المجاورة لها، و مدينة سيقا (Siga) وليكسوس* (Lixus)، و ما إن طلت سنة 40 م، حتى أصبحت أغلب و أهم الأراضي الجيدة و الخصبة بأيدي المعمرين الرومان، و بالرغم من المعارضة التي أبداها السكان و منهم الجيتول المتموضعين بالهضاب العليا، غير أن سياسة روما استمرت و قضت في أخر المطاف على كل إدارة محلية، و كان الإلحاق النهائي لكل المناطق بالمغرب القديم[22]، حقيقة الإلحاق التدريجي أو النقل على مراحل، نبع من قناعة رومانية بضرورة تأمين الأراضي الملقحة، فإنشاء حزام من المستوطنات حول كبريات المدن كان القصد منه عزل و تأمين المناطق ذات الكثافة الرومانية، كما كان مساحو الأرضي (Agrimensores) يجعلون من اغتصاب الأراضي من أصاحبها بحد السيف على يد الجند الرومان ذات صبغة قانونية بتقطيعها إلى أجزاء متساوية ثم

---

[21] غانم، م. ص.، 2010، ص.198.199.

جوليان، ش. ا.، 1951، *تاريخ إفريقيا الشمالية تونس ، الجزائر، المغرب الأقصى من البدء إلى الفتح الإسلامي 646 م*، تعريب محمد مزالي و البشير بن سلامة، 1969، تونس، ص.171.

* سميت كذلك نسبة للنهر الذي تقع على ضفته اليمنى و الذي يصب في المحيط الأطلسي، و هي أقدم المدن الفينيقية في غرب المتوسط، تبع عن مدينة شمالا بأربعة كلم. حول الموضوع انظر: غانم، م. ص.، 2008، *سيرتا النوميدية النشأة و التطور*، عين مليلة، ص.54.

[22] الشنيتي، م. ب.، 1982، ص.136.137.

توزيعها على المعمرين الجدد، و تكون الأسبقية للجند المتقاعدون كعربون امتنان للخدمات التي قدموها للإمبراطورية[23].

و خلاصة القول أن سياسة الرومنة أتت على مراحل، فلقد قضى قيصر على مملكة نوميديا سن 46 ق.م، حتى و إن أبدى قيصر استعداد لإعادة تجربة سيبوين الإميلي على ما كان مع ماسينيسا و أبنائه، إذ سمح لبوخوس بضم الجزء الغربي في صورة مكافئة، فكان منه الولاء و الطاعة لروما إلى آخر حياته عام 33 ق.م، و استمرت نفس السياسية وإن كان هناك انقطاع لمدة ثمان سنوات لتعود عام 25 ق.م بتنصيب يوبا الثاني على ملك موريطانيا، حيث يقول الشنيتي في هذا الصدد ما يلي عن يوبا و سياسته: "عمل هذا الملك على إتاحة الفرص للنفوذ الروماني لأن يتغلغل في موريطانيا بكيفية تفوق ما كانت عليه الحال في نوميديا موطن أجداده"[24].

[23] الشنيتي، م. ب.، 2012، *نوميديا وروما الإمبراطورية تحولات اقتصادية و اجتماعية في ظل الاحتلال*، الجزائر، ص.68.69.

[24] الشنيتي، م. ب.، 1982، ص.81.82.

2-أوضاع إفريقيا قبيل فترة يوبا الثاني

اتسمت فترة حكم والد يوبا الثاني أي يوبا الأول بالصراع بينه و بين الديكتاتور يوليوس قيصر (Jules César)، و تعود جذور القضية إلى الخلاف بين الديكتاتور من جهة و بومبيوس (Pompée) من ناحية أخرى، و اللذان تسببا في نهاية العهد الجمهوري حارب يوبا الأب إلى جانب بومبيوس، نتيجة بغضه الشديد ليوليوس قيصر[25]، و لقد لقي يوبا مناصرة مجلس الشيوخ التابع لبومبيوس، حتى و إن حقق انتصارا لا مثيل له في أوتيكا * (Utique) عام 49 ق.م ضد القائد كوريون** (Curion) الذي كان أكثر بغضا له من تصريحاته بوجوب إلحاق نوميديا، و من مظاهر كراهية يوبا الأول لقيصر أن كان سكان أوتيكا ميلين للدكتاتور، مما دفع بيوبا إلى إصدار أمر بتقتيلهم و حرق مدينتهم، و من حسن حض هؤلاء أن عارض كاتون (Caton) هذا القرار، و لا تدل هذه الاستجابة على أي نوع من التبعية، لأن يوبا لم

---

[25] قزال، إ.، 1913، الجزء الثامن، ص.7.

* مدينة ساحلية أقامها الفينيقيون عام 1101 ق.م و بذلك تكون من أقدم مدن البحر المتوسط، و لقد مثلت إحدى محطات التجارة الفينيقية، تقع في الشمال من تونس الحلية، على بعد حوالي ثلاثون كلم شمال غرب قرطاج، باللاتينية (Utica) و التي تعني المدينة القديمة، عرفت عبر تاريخها الطويل عدة حروب، غيرت باستمرار انتمائها بحسب الظروف المفروضة عليها، كانت فينقية في البداية فحاربت الإغريق ثم الرومان، إلى أن تنحاز إلى جانب الرومان في البونيقية الثانية، و لما تسقط قرطاجة 146 ق.م تكون من المدن التي تحضي بمعاملة خاصة، و تكون من ضمن المدن السبع الحرة أي أنها لم تدمج في الممتلكات الرومانية و أخذت الحكم الذاتي نتيجة الإخلاص الذي أظهره سكانها تجاه روما، و على هذا الأساس كان لمدينة اوتيكا تنظيما بلديا احتفظت به من قبل سنة 146 ق.م، مجلس شيوخ، الأشفاط و مجلس المواطنين، و من الامتيازات الإعفاء من ضريبة الأرض (Stipendium)و كذلك اعفي سكانها من ضريبة الرأس التي فرضت على الأتباع الأفارقة و المدن السبع هي:(أوتيكا، تابسوس، أوسولا، حضرموت، لمطة، ثيودواليس و أخيلا) لتعود لتظهر على مسرح الأحداث سنة 49 ق.م في خضم الحرب الأهلية بين القيصريين و البومبيين، و تكون نقطة اتصال بين البومبيين، تشهد انتحار كتون سنة 46 ق.م نتيجة الانكسار في تابسوس . للمزيد من المعلومات ينظر:

Fethi, C., Roland, P., Pol, T., 1995, "La baie d'Utique et son évolution depuis l'antiquité", *Ant.Afr,* vol.31, France, p.7-51.

** ابن القنصل كايوس سكريبونيوس كوريون (Gaius Scribonius Curio)، ولد عام 90 ق.م، رجل سياسي لأخر عهد النظام الجمهوري، ممثل للعامة، في سنة 50 ق.م ينحاز إلى حزب قيصر و كان من بين المطالبين بإلحاق ملك يوبا الأول، اسند له قيصر قيادة الفيلق الرابع للإستيلاء على صقلية، وقام برد كاتون منها ثم تسلل إلى إفريقيا بفيلقين فقط و هاجم قوات بومبيوس قرب اوتيكا ليفاجئ بقوات يوبا الأول تهاجم و يموت هناك يوم 20 أوت 49 ق.م، بلين يرجع له الفضل في اختراع مدرج المسرح بالخشب. للمزيد من المعلومات ينظر: Visconti, E.C., Frédéric, C., 1820, *Description des antiques du musée,* Paris, p.404., Ampère, J. J., 1862-1864, *L'histoire romaine à Rome,* France, p.23.

يظهر أبدا بهذا المظهر، ومثال ذلك ما كان يبرز عليه العاهل النوميدي في ساحات القتال، فلقد كان يقاتل و بشدة و لا يرضخ لأحد دون أن يملي عليه الجند الرومان الأوامر، و أمام التطورات الحاصلة في شمال إفريقيا، و التي كانت تسير إلى صالح بومبيوس و حلفائه، أعلن مجلس الشيوخ التابع لقيصر أن يوبا عدو عمومي و زكى كل من بوخوس و الذي أشرف على قسم من كبير من (الجزائر) و يمكنه مهاجمة يوبا من الخلف و بوكود (Bogud) و الذي امتدت مملكته من ملوية حتى الأطلسي (المغرب الأقصى)، ملكين على نوميديا سنة 49 ق.م[26]، قدم قصير في 31 أكتوبر 47 ق.م إلى إفريقيا على رأس جيش قوامه أربعة ألاف جندي و عشر فيالق (Legions)، و قد استند الديكتاتور على حلفائه بالمنطقة و خاصة بوخوس و سيتيوس، و في هذا الصدد يُبين فيفري أهمية هذين الحليفتين، إذ يرجع انتصار قصير إلى دعم كل من بوخوس و سيتيوس و أن الانتصار المحقق في تابسوس هو انتصار مشترك بين هؤلاء الثلاث[27].

إن انهزام يوبا الأول و حليفه أمام عدوهما قيصر في معركة تابسوس المصيرية (6 فبراير 46 ق.م)، لم يكن نتيجة أخطاء في نظمهما العسكري لكن الظروف و الحض الذي لعب دورا كبيرا في حسم المعركة و التي لم تكن على الإطلاق من ناحية التكتيك العسكري مواتية للدكتاتور، و لكن هذا لا ينفي اتسام قيصر بالدهاء و الذكاء الخارقين اللذان امتاز بهما فكان بموقعه منعزلا بحسب طبيعة المدينة كما جاء تفصيله من قبل، و مثلت هذه المعركة مخاطرة على قيصر، ففي حالة إذا تمكن عدوه من عزله و قطع الطريق من البرزخين و انحصاره ما بين البحر شمالا و بحيرة " سبخة موكنين" جنوبا، فإنه إن لم يمت في الحرب لا شك أنه

[26] قزال، أ.، 1913، الجزء الثامن، ص.21-27.

[27] Février, P. A., 1989, *Approches du Maghreb romain pouvoirs, différences et conflits*, France, p.98.

سيموت جوعا نتيجة الحصار[28]، كما أن العامل النفسي لدى جند العدو قد لعبا دورا أساسيا في انهزام سكيبيو (Metellus Scipio) و انتصار قيصر بحيث لاحظ قيصر حينما عسكر أمام معسكر جيش سيكيبيو، و الذي كان متفوقا بعدد ثلاثون فيلا أمدها يوبا لحليفه و وضعت على الجناحين، ما مدى الرعب الذي لف مخيم عدوه، فكان يرى الجنود يتحركون حركة غير عادية، لا يستقرون في مكان و يذهبون هنا و هناك و الفزع يتملكهم، فكانت ساعة الحسم بالنسبة لقيصر و جنوده قد أتت، فتوسله قدامى الجند أن يعطي إشارة الانطلاق قائلين:" أن الآلهة تبشرهم بالنصر"، و الحق أن النصر كان نصيبهم و هذا دون رغبة قيصر بالتحرك[29].

و من ضمن العوامل التي أسهمت في انتصار الديكتاتور، و انهزام يوبا ما أقدم عليه حليف قيصر، بوخوس باحتلال كريتا، وتحريض أنصار قيصر أيضا قبائل الجيتول بالهجوم من الجنوب، فاضطر يوبا إلى تشتيت قواته على ثلاث جبهات، مما سهل مهمة دحره في تابسوس[30].

في خضم الخط الزمني لتطور الأحداث، و التي بدأت كفتها تميل لصالح قيصر، وفقد الملك النوميدي الأمل خاصة لما التحق جموع رؤساء القبائل و قادة الجند التابعين لنوميديا و الاستسلام دون قتال، أعطى يوبا لنفسه حق الموت بعد ذلك نتيجة لما لحقه من عار[31] وكذلك ليتجنب الوقوع في أيدي أعدائه، في نزال مع أحد رفاقه بيتريوس (Petreius)[32]

---

[28] قزال، أ.، 1913، الجزء الثامن، ص. 38. 112.

[29] قيصر، ي.، *حرب افريقية 47-46 ق.م*، ترجمة محمد الهادي حارش، 2014، الجزائر، ص.83-84.

[30] حارش، م. هـ.، 2013، ص.34-35.

[31] Christa, L., 2007, « Les portraits de Juba II, roi de Maurétanie, et de Ptolémée, son fils successeur », R.A, N°43, France, p.65-110.

[32] Berthier, A., 1981, *La Numidie Rome et le Maghreb,* Paris, p.88.

وخاصة عندما منع من دخول مدينة زاما، و بهذا الصدد يطرح الصغير غانم جملة من التساؤلات حول عملية الانتحار هاته، وأن من غير المعقول أن توصد الأبواب في وجه يوبا دون أدنى سبب:

1- هل توجد هوة بين الحاكم و رعيته، و كراهية هؤلاء له نتيجة تعسفه في الحكم دفعتهم حينما أتت الفرصة للتخلص منهم؟ مثل ما يحدث حاليا ببعض الحكام المتسلطين

2- هل المسألة هي خلاف بين القبائل النوميدية (ماسيل و ماسيسيل)؟

3- هل صح ما قيل عن يوبا قسمه، إذا ما هُزم سيعود لينتقم من سكان العاصمة بحرقها بمن فيها، و لذلك سدوا أمامه الأبواب؟ يورد قزال تلك الرواية في كتابه "تاريخ شمال إفريقيا" أن يوبا جمع حزمة من الحطب في الساحة العمومية قبل مغادرته العاصمة زاما قائلا: " أنه إذا اندحر فسيحرق كل ثرواته و جميع أهل المدينة، و أخيرا يحرق نفسه و أهله"[33].

4- هل صيغت القصة بحسب تأثيرات قيصر على المؤرخين و أن القضية من الأساس محبوكة و ضرب من الخيال؟[34]

وأمام هذه الأحداث الأليمة ينقل قيصر مجريات عملية الانتحار و كيفيتها، قائلا ضمن كتابه "حرب إفريقيا":

" و الحالة هذه، فإن الملك الذي أغلقت كل الحواضر أبوابها في وجهه، قد يئس من النجاة، في نهاية المطاف، و بيتريوس أن يتقاتلا بالسيف كي يمنحا نفسيهما وفاة شهمة. و انتهى بسهولة سيف بيتريوس القوي في يوبا الضعيف. بعد ذلك حاول بيتريوس أن يُغمد سيفه في الصدر لم يفلح، و حصل أن قتله أحد عبيده، و هذه المرة أشبع رغبته"[35].

---

[33] قزال، إ.، 1913، الجزء الثامن، ص.133.

[34] غانم، م.ص.، 2006، ص.100.

[35] Pseudo-César, *La guerre d'Afrique,* XCIV, Trad. Guillaume Budé, 1949, Paris.

ففي مدة ستة أشهر استطاع قيصر القضاء على خصومه، وتحقيق نصر مؤزر، و لم يبقى إلا كاتون محتمي بأوتيكا، و لما بلغه خبر سقوط المدن النوميدية و استسلامها و يأس من أن يتمكن من الاحتفاظ بمدينته التي يتواجد فيها، وضع هو الأخر حدا لحياته أما سيكبيو الذي استطاع الفرار، و ركوب البحر ستعترض طريقه عاصفة هوجاء تلقي به على سواحل هيبون (Hiponne) أين سيلقى حتفه[36].

و مجمل القول أن بعد موت يوبا الأول، و خروجه من ساحة التنافس، أذعنت المدن الأخرى للمنتصر فأعلنت ولائها لقيصر و فتحت أبوابها مثل أوتيكا، تابسوس، ثودورس و سوسة، لم يبقى ما يذكر عن مملكة تدعى نوميديا رغم محاولة أربيون إحيائها، و تناهشتها ثلاث قوى قيصر، بوخوس و سيتيوس* (Sittius)، فتسلم بوخوس المتعاون مع قيصر الجزء الممتد بين واد الساحل (الصومام) و المبساقا (الواد الكبير)، و حصل سيتيوس على مقاطعة بمحاذاة كيرتا[37]، و أقدم الديكتاتور بعد انكسار يوبا الأول ضم مملكته إلى مقاطعة أفريقيا (Africa Nova)، كما أن الجزء الذي منح للمغامر سيتيوس سيدمجُ مرة أخرى في المقاطعة تحت تنظيم خاص الإتحاد السرتي[38] و بذلك اختفت نوميديا من خريطة الشمال الإفريقي و تبخر حلم إنشاء كيان سياسي مستقل بالمنطقة.

---

[36] De Verneuil, B., Bugnot, J., 1870, *Esquisses historiques sur la Mauritanie et Césarienne et Iol caesarea,* Alger, p.6.

* من المرتزقة الرومان، اسمه الكامل بوبليوس سيتويوس (Publius Sittius)، كان من رجال المال الأثرياء بروما، اتهمه سالوستيوس نتيجة صادقته مع شيشرون بضلوعه في قضية كاتيلينا، لكون بعد ذلك جيش من الايطاليين الناقمين أو الذين خسروا أموالهم و ثرواتهم نتيجة الحروب الأهلية، وضع جيشه تحت تصرف المتنازعين في إفريقيا فتجمعت له ثروة و سمعة بحسن التدبير الحربي كان من أنصار يوليوس قيصر لما حط هذا الأخير الرحال بشمال إفريقيا عام 47 ق.م في حربه ضد بومبيوس في إفريقيا و استطاع أن يلحق الهزيمة بجيش يوبا و حلفاء بومبيوس عام 46 ق.م، و جزاء على ذلك منحه قيصر عند إنهاء الحرب جزء من مملكة ماسينيسا الثاني، لقي حتفه على يد اربيون ابن ماسينيسا الثاني عام 44 ق.م كانتقام لما عمله اثر عودته من اسبانيا و استرجع ملك والده. حول الموضع ينظر: قيصر، ي.، ص.33.

[37] حارش، م. هـ.، 2014، ص.84-88.

[38] كامبس، ق.، 1980، *البربر ذاكرة و هوية*، ترجمة عبد الرحيم حزل، 2014، الدار البيضاء، ص.200.

ولم يخرج قيصر عن إستراتيجية روما في التوسع باعتماد أسلوب التدرج، و يقول شنيتي في صدد عملية التقسيم أنها لم تكن كما قال : "اعتباطا، إذ أنه كما حصل على وقاية الولاية من الخطر الوطني بغرسه جماعة سيتيوس في المناطق الصعبة، لا يستبعد أن قد راعى في منح المكافأة الإقليمية لبوخوس ما يتفق و المصالح الرومانية، (...)، كانت من المناطق التي لا يطمئن الرومان إلى سكانها، بدليل أن تلك المناطق ما لبث سكانها أن هبوا لداعي الواجب الوطني الذي ردده أرابيون"[39].

[39] الشنيتي، م. ب.، 1982، ص.67.

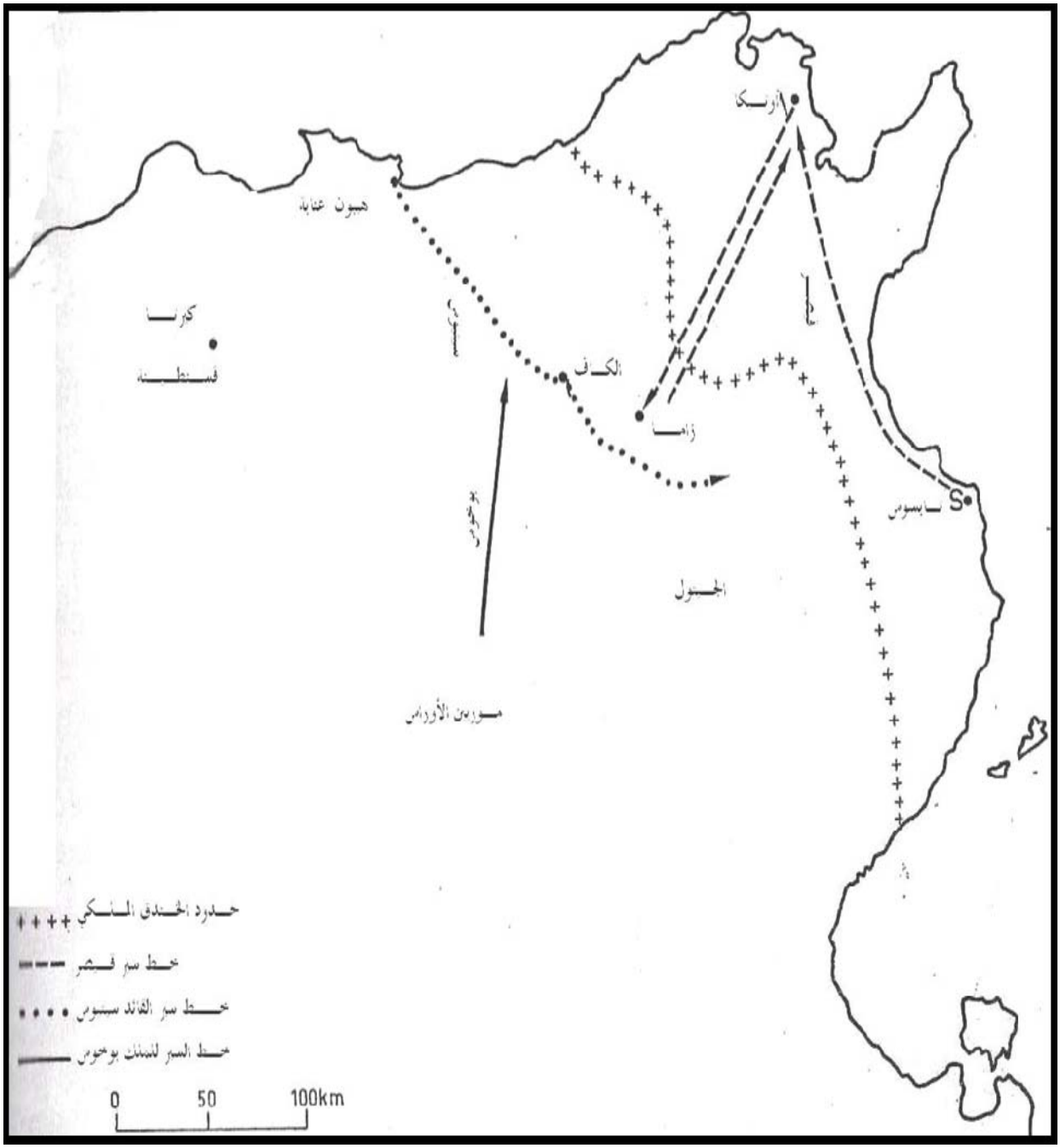

خريطة رقم2: **حملة قيصر بأفريقيا (ترجمة الطالب)**

Berthier, A., 1981, *La Numidie Rome et le Maghreb,* Paris, p.86

بعد وفاة قيصر تأجج الصراع مرة ثانية بين القيصريين و الجمهوريين، و ظهرت ثورة أرابيون، و في 33 ق.م لما مات بوخوس ألحق أوكتافيوس المنطقة لسلطته المباشرة و أنشأ مستعمرات لاستقبال الجنود المُسرحين من الفيلق السابع في ايجيجلي (جيجل) صلداي (بجاية)، روزازوس (عزفون)، روسغونيا (برج البحري)، و في كونوغو (بالقرب من قورايا) استقبلت كتيبة خيالة، و في كارتينيا (تنس) من الفيلق الثاني، هذا في المناطق الساحلية أما بالداخل فوجدت ثلاث مستعمرات هي توبوسوبتو (تكيلات جنوب غرب بجاية) أكاكاليدا (حمام ريغة) و زوكشابار (ملیانة)، و لم يستمر هذا النوع من الحكم ففي سنة 25 ق.م سيسلمها أغسطس للملك يوبا الثاني[40].

3-بيوغرافية يوبا الثاني

إبن الملك يوبا الأول، ولد عام 50 ق.م، نقل إلى روما وهو إبن أربع أو خمس سنوات عام 46 ق.م، حيث سيظهر في موكب قيصر، بمناسبة النصر المؤكد و الباهر على خصمه بومبيوس، قيصر الذي هزم والده يوبا الأول في معركة تابسوس عام 46 ق.م، و سقط يوبا الثاني بين يديه أسيرا، سرعان ما عطف عليه، ثم وضع تحت رعاية الأميرة أوكتافيا (Octavie)، إحدى شقيقات الإمبراطور أغسطس (Auguste) بمدينة روما، و أغسطس ما هو إلا أوكتافيوس الذي اشتهر باسم أغسطس، حيث سيحظى يوبا الثاني بتربية ملكية وترعرع في ظل وسط من العلم و المعرف[41]، كما سيظفر برضا الإمبراطور، ويقف في مصاف المتميزين في البلاط الروماني، كما سيبرز في المعارك التي يخذوها إلى جانب الإمبراطور كما كان يوبا لا يفوت أي فرصة لمدح أغسطس إذا ما سمحت المناسبة

[40] قداش، م.، 1993، ص.113-115.

[41] Eugène, N., 1889, *Histoire de la littérature grecque depuis ses origines jusqu'au VIe de notre ère,* Paris, p.443.

ووجدت قطع نقدية تدل على ذلك[42]، مما سيؤهله أن يتولى حكم مملكة بوخوس الثاني إلى جانب ما تبقى من مملكة والده يوبا الأول، و لما بلغ سن الرشد تحصل على حق المواطن الرومانية، سيأخذ لقب من كان تحت حمايته أي الإمبراطور، كايوس يوليوس (Caius Iulius)[43].

منح المواطنة في العهد الإمبراطوري أصبح مألوفا، بعكس ما كان في العهد الجمهوري فلم يسجل منحها أي أمير أجنبي، و لقد مثل هذا الإجراء للأجانب من الأمراء بمثابة صمام الأمان، و ضمان الولاء لهؤلاء اتجاه روما[44].

زوجه الإمبراطور أغسطس ابنة كليوباترا (Cléopâtre) ملكة مصر و الإمبراطور الروماني ماركوس انطونيوس (Marc-Antoine)، كليوباترا سليني (Cléopâtre Séléné) أو (Cléopâtre VII)، سنة 30 ق.م، مع توخي الحذر لأن معظم المؤرخين يعترفون بعدم معرفة سنة القران بين يوبا و سيليني، و سينجبان ولدين احدها ذكر يعطيانه اسم بطليموس (Ptolemaios / Ptolemaeus) وأنثى ستحمل اسم دورسولا (Drusilla)[45]، و بهذا منح يوبا ملكا و زوجة في آن واحد، و كان سن الملك النوميدي حين توليه الحكم على موريطانيا خمس و عشرون عاما، و التي كان لها دلالة عظيمة لدى الإمبراطور، و هي نيته بإنشاء مملكة جديدة في المنطقة بعدما حقق النصر الأكيد على منافسه انطونيوس و تصفيته جسديا، و انتحار كليوباترا و اغتيال ابنيها[46].

---

[42] حارش، م. هـ.، 2013، 217.

[43] Görlitz, J. A., et autres, 2000, *Dictionnaire des philosophes antiques,* Paris, p.940.

[44] Christa, L., 2007, p.67.

[45] Christa, L., 2007, p .68.

[46] Coltelloni-Trannoy, M., 1997, *Le royaume de Mauritanie sous Juba II et Ptolémée (25 av.J-C-40 ap. J-C),* France, p.36.39.

و الحقيقة أن يوبا مثّل بالإضافة لذلك تحقيق آمل روما و الإمبراطور بتسهيل انتقال شعوب المنطقة إلى تقبل التواجد الروماني و الذوبان فيه، أي الاستسلام للرومنة بأريحية و دون رفض أو اعتراض، فكان أفضل عنصر ينحدر من المنطقة قد ترومن و بشكل تام (Romanisé)[47]، أي أنه سيكون أفضل عنصر يحمل المشروع الروماني.

و من الصدف الصادمة أن لاقت حليلته أي كليوباترا سيليني، تقريبا نفس المصير أنها نقلت إلى روما بعد غياب والديها و برزت في موكب النصر سنة 29 ق.م و الذي نظمه أغسطس، لتلقى تربية ملكية في قصر أوكتافيا هي الأخرى، مع أختيها من والدتها أي غير الشقيقتين (Antonia maior et Antonia minor)، و لقد مثلت عملية نقل أو الأصح اختطاف أبناء الملوك، عادة بدأت مع كل من بومبيوس وانتونيوس و هذا بغية إنشاء سلالة من الأمراء تنشأ وفق مصالح روما، و تكون صديقة و تابعة لحكمها و تجسد روما في المناطق التي توضع فيها (بمبيوس نقل إلى روما تغرانيوس (Tigrane) الابن البكر للملك تغرانيوس من أرمينيا (Arménie))[48].

ثم ارتبط يوبا بزيجة ثانية مع إغريقية ثيب من آسيا الصغرى، جلافيرا* (Glaphyra) والذي لم يستمر زواجهما طويلا[49]، عين قبل توليه مُلك أجداده حاكما على فلسطين[50]

---

[47] Mercier, E., 1888, p.89.

[48] Coltelloni-Trannoy, M., 1997, p.33.

* أميرة كابادويا (Cappadoce) وسط الأنضول، وملكة موريطانيا، ابنة الملك أرخيليوس الرابع (Archélaus)، و أميرة أرمينية غير معروف نسبها، كانت زوجة الأمير الكسندر (Alexandre)، ترملت بعد أن اعدم زوجها من أبيه في العام 7 ق.م، لتتزوج بعدها الملك يوبا الثاني، لكن ما لبث أن نفرها و تنكر لها الملك بسرعة، و هي من طلبت الطلاق بعدها، لترتبط مرة أخري باخ زوجها الأول و هي في نظر الديانة اليهودية غير شرعية لكنها توافيها المنية بعد عودتها مباشرة إلى فلسطين (Judée). حول الموضوع يعاد إلى: Chaumont, M. L., 1976, *L'Arménie entre Rome et l'Iran : de l'avènement d'Auguste à l'avènement de Dioclétien,* France, p.83.

[49] Josèphe, F., 1911, *Œuvre complètes,* V, Trad. Reinach, Paris.

[50] حارش، م. هـ.، 2013، ص.217.

بالإضافة حكم مصر قبلها قد حارب إلى جنب الإمبراطور في معركة اكتيوم (Actium)[51] و امتدت مملكته أي موريطانيا من المحيط الأطلسي غربا إلي الوادي الكبير شرقا بالإضافة إلى جانب من تراب الجيتوليين[52].

وأقام عاصمة مملكته قيصرية ، على أنقاض المدينة القديمة يول (شرشال) عاصمة الملك مكيبسا (Micipsa)، ثم الملك بوخوس، في قلب المملكة الموريطانية[53]، و التي عرفت كمحطة فينيقية منذ القرن الخامس ق.م، فلقد اتخذ التجار الفينيقيون غير بعيد من المدينة في جهتها الشرقية، حيث خليج متسع تتقدمه جزيرة، لإقامة محطة تجارية أسموها ايول نسبة لآلهة فينيقية[54]، و اسماها بقيصرية تكريما و إرضاء لحاكم روما* ، جعل منها أجمل المدن في المغرب القديم، بما حمله إليها من اليونان و غيرها، فلقد تحدث عنها بومبنيوس ميلا (Pomponius Mela)، في كتابه المعنون (De Situ Orbis)** ، في عام 40 م، سنة إلحاق روما لموريطانيا، في الكتاب الأول في الفصل السادس، الصفحة 38، قائلا :" يول، على ضفاف البحر، مدينة قديمة مشهورة الآن لأنها كانت الحاضرة الملكية ليوبا تسمى قيصرية." بحيث كانت عاصمة للفن و الثقافة، فكان بلاطه يعج بالممثلين و الفنانون و الأطباء، و من

---

[51] Mercier, E., 1888, T.1, p.88.

[52] غانم، م.، ص.، 2010، ص.199.

[53] Coltelloni-Trannoy, M., 2003, « Juba », *E.B*, France, p 14.

[54] Bouchama, K., 2008, *De Iol à Césarée à Cherchell,* Alger, p.426.

* غير أن الصغير غانم يذكر حقيقة أخرى أن أصل التسمية للمدينة يول باسم قيصرية، تعود إلى الإمبراطور أغسطس كوفاء لوالده بالتبني يوليوس قيصر مستشهدا بكتاب عبد الحميد بن شنهو "الملك العالم يوبا الثاني". حول الموضوع ينظر: غانم، م. ص.، 2010، ص.254.

** من مؤلفات اللاتيني مومبنيوس ميلا هو كتاب تضمن جغرافية المناطق المجاورة للبحر المتوسط، البحر السود، بحر قزوين و المحيط الأطلسي، و قد أخذ على بعض الأخطاء الجغرافية كتسمية البحر بالأطلسي نسبة إلى قمة أطلنت (Atlante) الذي يغيب في يغيب في سحب السماء نتيجة قمته الشاهقة، غير أن هذا الجبل لا وجود لها على ارض الواقع حسب ديوارتي باشيوكا (Duarte Pacheco Pereira). للمزيد من المعلومات أنظر: Joaquim, B. C., 1972, *La traduction espagnole du «De situ orbis » de Pomponius Mela par Me Joan Faras et les notes marginales de Duarte Pacheco Pereira* , *P.H.E*, France, p.719-729.

الملاحظ هو كثرة الحراس الشخصيين[55]، مما يرجح أن يوبا كان يعلم بعدم رضي الناس عنه لمدى تبعيته لروما.

و من نافلة القول أن يوبا قد تعرض لعدد من الاضطرابات عكس ما يُذكر أن فترته اتسمت بالهدوء التام، بل تعرض لثورة من قبائل الجيتول و التي قُمعت من البروقنصل الروماني كسوس كورنيليوس لونتيلوس (Cossus Cornelius Lentulus) وقد احتفل العاهل بهذا الانتصار و تلقى تكريما (triumphalia insignia) مثل توضحها النقود التي ضربت في تلك الفترة، و يرجح بعض الباحثين أنها ليس الثورة الأخيرة التي ستزعزع عرش يوبا.[56]

كما كثر الحشم و الخدم في بلاطه، مما يدل على الترف و البذخ اللذان اتصفا بهما الملك الشاب، و ظهرت و بوضوح التأثيرات البونية بقصره إضافة إلى المصرية و اللاتينية[57]، و لقد اصدر أوامر لكل من يعيش على أرض موريطانيا بتقديس قيصر بشكل رسمي، مثل ما نثر في كل مكان عددا من التماثيل كتمثال للإلهة أتينا و أخرى لأبولون بالإضافة لبعض قادة الرومان مثل أغسطس و هو حامل درع، كما اهتم يوبا بمدينة وليلي فوجدت بها تماثيل برونزية حتى ظنها كاركوبينوا (Carcopino) عاصمة ثانية ليوبا الثاني بحسب ما جاء على لسان شارل جوليان[58].

لقد اهتم يوبا بتطوير عاصمة مملكته قيصرية اهتماما بالغ الأثر، إلى يومنا هذا لا زالت تسحر العيون بجمالها و متحفها مملوء بمخلفات هذه الفترة، فجعلها مدينة متألقة بامتياز، فدأب الملك الشاب على تغير المدينة الفنيقو-ليبية إلى مدينة ساحرة، فامتزجت

[55] جوليان، ش. ا.، 1951، ص.172.

[56] Görlitz, J. A., et autres, 2000, p.941

[57] قداش، م.، ص.119.117.

[58] جوليان، ش. ا.، 1951، ص. 173.

الحجارة مع الرخام الأصيل هذا كله على الطراز اللاتيني، و تربعت على مساحة 370 هكتار تقريبا[59]، ومثل صورها أحد أكبر أصوار العالم الروماني فكانت ثاني أكبر مدن الشمال الإفريقي بعد قرطاج، و لقد ضاهت المدينة بما تزخر به المدن اللاتينية بومبي (Pompéi) أو مدينة أوستيي (Ostie)[60].

تقع على بعد حوالي مائة كيلومتر عن العاصمة (الجزائرية) في الجهة الغربية و تتربع على سحل ضيق تحيطه حزمة من الجبال تتسع لثلثين كلم مثل من جبال شرشال بعرض سبعة إلى ثمان كلم، و بعلو 600 متر تعزلها عن سهول (الشلف)[61]، و هذا ما يجلها مدينة منيعة بشكل طبيعي.

و نفس الرعاية و الاهتمام أولاه أيضا يوبا لمجمل مملكته، إن من الجانب الفني و الشواهد لا تزال إلى يومنا هذا في عاصمته قيصرية فشيد فيها القصور والمسارح و الحمامات و أقواس النصر و التماثيل و النقوش البديعة فكانت أشبه بما كانت عليه ازهي و ارقي المدن الرومانية، و أيضا اقتصاديا، أن أقام معملا للنسيج و الصباغة في موقادور (السيورة) بالمغرب الأقصى الحالي، كما تم الإشارة إلى معامل لتجفيف السمك بالمدن الساحلية[62].

سليل الجيل الخامس من جده ماسينيسا وابن أخ يوغرطة، و هذا يعني انه أصول نوميدية، و يتضح ذلك من المخطط التالي:

---

[59] Coltelloni-Trannoy, M., 2003, p.15-16.
[60] Leveau, P., 1992, « Caesarea Mauretaniae », *E.B,* V.11, Paris p.3.
[61] Leveau, P., 1992, p.2.
[62] حارش، م. هـ، 2013، ص.219.

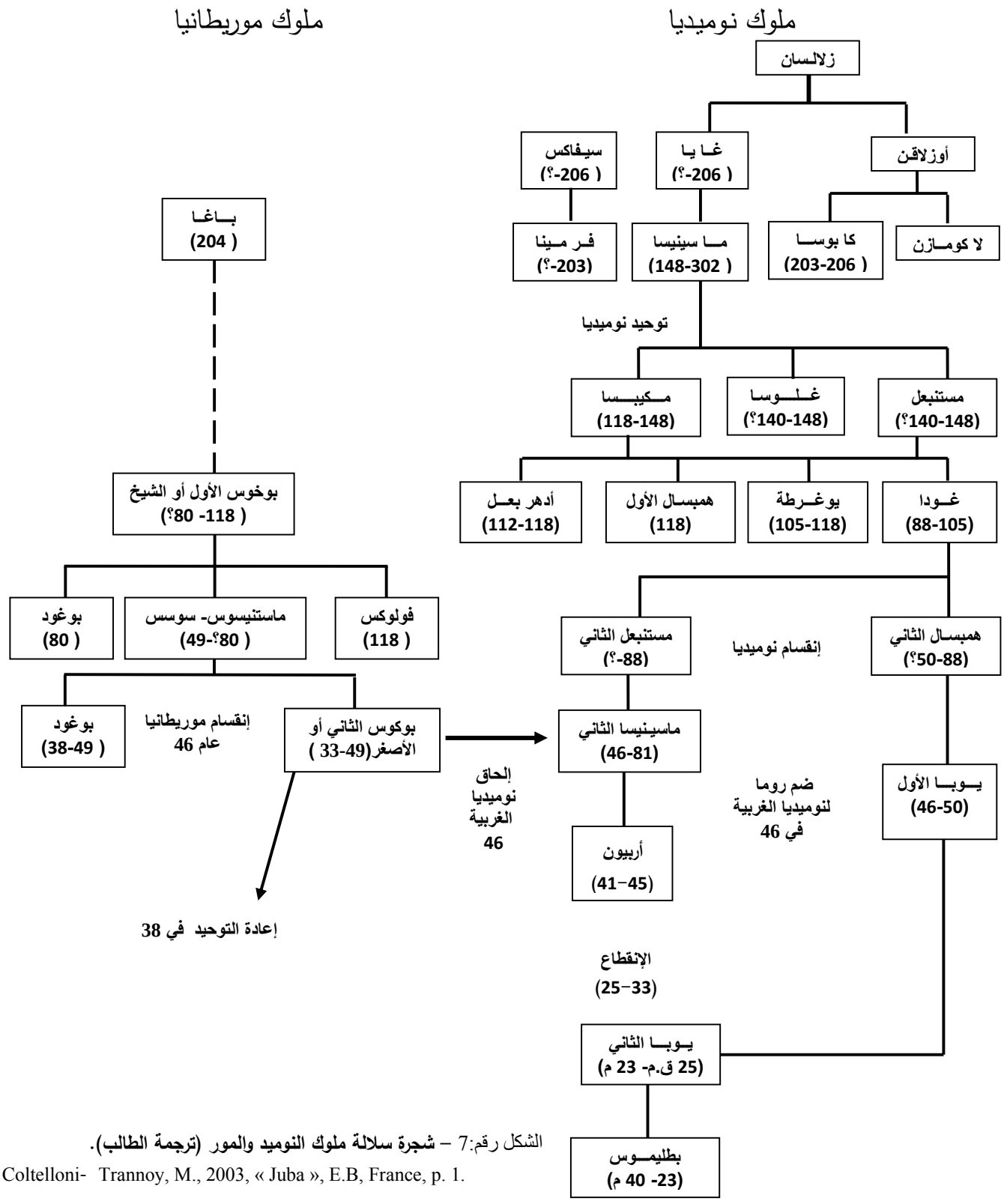

الشكل رقم:7 – **شجرة سلالة ملوك النوميد والمور (ترجمة الطالب).**

Coltelloni- Trannoy, M., 2003, « Juba », E.B, France, p. 1.

أما صفاته الخلقية فلم يشبه أبدا أسلافه الليبيون فلم تكن له لحية، و حتى تسريحة شعره كانت إغريقوا–رومانية، أكثر منها محلية، فكان اقرب إلى الرومان منه إلى بني جلدته، مثل ما تبينه التماثيل النصفية التي عثر عليها، و مثال ذلك الرأس البرونزي في مدينة وليلي (Volubilis) شمال مدينة فاس (Fès) سنة 1944[63]، حُمل اسم يوبا من الملكين الأب و عرف بيوبا الأول ملك نوميديا و الابن يوبا الثاني ملك موريطانيا القيصرية، كتب باللاتينية إيوبا (Iuba)، إيوبا (Ioba)، أو إيوباس (Iobas ou Ioubas) بالإغريقية، و إيوباي (Iobai) بالبونية، وقد ارتبط في نقش في فترة متأخرة آلهة باسم إيوبا (Iuba) وجد بموريطانيا السطيفية[64]، و كان يوبا أميرا حسن المحيى خلال حياته، يحسن انتقاء الكلمات الطيبة اتصف بالعلم و الأخلاق معا، خفيف الظل، يهواه كل من التقى به[65].

و لقد وجدت تماثيل نصفية (Buste) كما سبقت الإشارة، و هي في الصفحة الموالية لكل من يوبا الثاني و كليوباترا سيليني، التمثال الأول ليوبا الثاني من البرونز و جد بمدينة وليلي حاليا يحتفظ به بمتحف الرباط، التمثال الثاني ليوبا كذلك، نسخة من الجبس لتمثال أصلي من الرخام عثر عليها بإيطاليا، التمثال الثالث لكليوباترا سيليني، من الرخام عثر عليه بشرشال و احتفظ به بمتحفها (أنظر الشكل رقم 8)، و تُبرز هذه التماثيل الحقيقة التي أثارها جلبار منيي (Gilbert Meynier)، لما كان عليه يوبا الثاني شكلا، لم يشبه على الإطلاق أسلافه النوميدين، فكان يشبه الرومان الذين ترعرع بينهم أكثر منه إلى النوميد، أو المور، و لربما هذا ما يدفع

63 Meynier, G., 2007, p.61.
64 Coltelloni-Trannoy, M., 2003, p.2.
65 Mazarin, P., 1924, « Tout-Ankh-Amon et Juba II », *La vie algérienne, tunisienne et marocaine*, Revue illustré du dimanche, Lettre, arts, sports, Alger, p.3.

الكثيرين لاتهامه بالعمالة للرومان، و ما حكمه الممتد من 25 ق.م إلى 23 م، إلا استمرار لحكم الرومان، حتى الشكل الخارجي كان مثلهم، و كأنه يبعد أي علاقة بسكان المنقطة.

يوبا الثاني ، تمثال نصفي
من البرونز و جد بمدينة وليلي

يوبا ، نسخة من الجبس لتمثال
من الرخام عثر عليها بإيطاليا

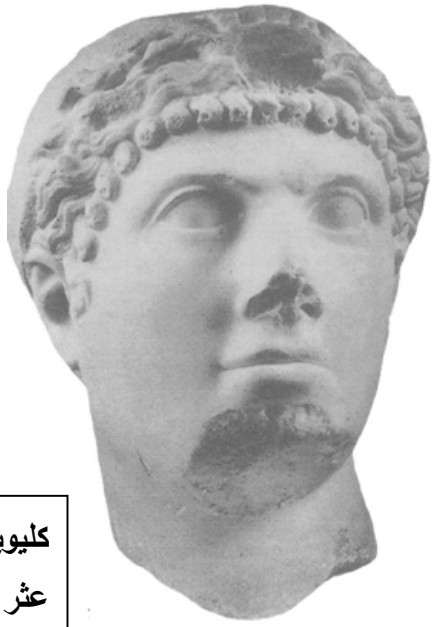

كليوباترا سيليني، من الرخام
عثر عليه بشرشال

الشكل رقم:8 – **تماثيل نصفية ليوبا الثاني وكليوباترا سيليني .**
Coltelloni-Trannoy, M., 2003, « Juba », *E.B*, France, p.18

ولكن هل نستطيع القول أن البيئة كان لها دور كبير في صقل شخصية الأمير و خاصة مظهره الخارجي، وهل كان تابعا لروما (Vassal)[66] ؟. و هل كان بإمكان الملك التابع لروما من سك عملة؟ في الحقيقة كانت النقود المضروبة باسمه موجودة لكن الذهبية منها نادرة جدا و في هذا الصدد يتساءل كلتوليني (Michèle Coltelloni-Trannoy) عن حظوة ملوك موريطانيا عن باقي الأمراء و الحكام التابعين في صك عملة ذهبية، و التي لم يسبق أن أقدم على ذلك أي حاكم إفريقي، فيرها الباحثة أنها تمثل مؤشر ثقة بين روما و يوبا الثاني و الذي أعطي مهمة إرساء قواعد إدارة رومية بحتة[67] ففي سنة 1910 عثر في حوزة بائع مغربي عملة ذهبية تعود للملك يوبا الثاني، مثلت في احد وجهيها الملك، و في الوجه الأخر صورة ابنه بطليموس* (Ptolémée)، حملت العبارة التالية (XERPTOLEMAIVS REGIS IVBA F.) (XER) بمعنى (REX) و قد مثلت عملة نادرة من نوعها[68]، و العملة أبرزت ما مدى تأصل تأليه الإمبراطور و قدسيته في موريطانيا، فوجدت سلسلة من النقود الفضية سكت من يوبا الثاني، أظهرت على الجانب الآخر واجهة معبد مع عمودين على الجوانب و في أعلى السقف كرة أرضية و هلال يزينه، أما على الجنب نصر مكتوب على حاشيته (AVGVSTI)، و يعود ظهورها إلى عام 5 و 6 ق.م كما ظهرت في عهد خليفته بطليموس تبرز مواصلة

---

66 Mercier, E,1888, p.89.

67 Coltelloni-Trannoy, M., 1997, p.44-45.

***** ولد بمدينة قيصرية عام 5 ق.م، شارك والده يوبا الثاني في الحكم منذ سنة 20 م، خاصة بعد أن غادرت والدته كاليوبترا سيليني الحياة، كان مولعا باللهو و المجون، حتى انه ترك أمور تسيير الحكم لمن حوله من حاشية و عبيد محررين، كما اتسم بضعف الشخصية، و قلة الكفاءة في إدارة أمور مملكته، كما تمتع بسمعة سيئة بين رعيته، كما اظهر هو الأخر الوفاء لروما وواصل مسيرة والده في محاربة القائد تكفاريناس، و نتيجة لهذا الإخلاص، قدم له الرومان تاجا و ثوبا فضفاضا بلون ارجواني و عصا الملك من العاج الخالص اغتاله الإمبراطور الروماني كاليقولا، و بذلك تم وضع نهاية لأي حكم محلي بالمنطقة و ألحقت موريطانيا بروما. حول الموضوع يعاد إلى: غانم، م. ص.، 2010، ص.201. 213.

68 Rabanit, H. , 1920, « Sur la numismatique au Maroc**",** France-Maroc **,** *Revue mensuelle Illustrée*, Rabat, p.264.

الانتماء و الإذعان لسلطة روما و إرضاءً لها من خلال العملة و الذي تغير هو فقط، اسم (AVGVSTI) بـ (TI.AVGVS)[69].

و لكن ما يهمنا هنا هو الأعمال التي قام بها و التي تدخله في قفص الاتهام كتابع و منفذ لرغبات روما، فكان دوما يهرع لتهدئة الأوضاع فحاول قمع قبائل جدالة، التي لقنت الرومان دروسا و فنونا عسكرية لا قبل لهم بها، و وقف أيضا في وجه الثائر تكفاريناس* (Tacfarinas)[70]، كما أن الملك يوبا الثاني كان يدخل المعارك إلى جانب الرومان بكل ما لديه من بأس و قوة ضد بني قومه، و ما يشهد ماديا على هذا، اعتزازه بمناصرة حلفائه، أن سجل على ظهر عملته سنة 18 م تخليدا لانتصارات الرومان على الثائرين الأفارقة[71].

و لكن لننظر إلى الأحداث من زاوية أخري و لا نقف موقف الجلاد بل المحامي نلتمس الأعذار، و نجد المخارج، و لربما كان يرتقب يوبا الثاني من روما أن تدعه يحكم بلده و هو يلمحها أو يراها مصممة يوما ما على الإلحاق و الضم، فلن تكون هناك أي سلطة محلية فهو

---

69 Fishwick, D., 1985, « Le culte impérial sous Juba II et Ptolémée de Mauritanie :le témoignage des monnaies », *Histoire et archéologie de l'Afrique du nord*, II colloque international, *B. CTHS*, Paris, p.225.227.

* ينتمي إلى قبيلة موسالامس (Musulames, Musulamites) حيث وجد مصدر قوته و هي قبائل جبلية تمتد بسلاسل الأوراس، جند في الجيش الروماني، فتعلم النظم العسكرية و تكتك الحربي، و الذي سيوظفه في بعد لمحاربة الرومان، وبذلك يخرج عن المألوف أن تكون فرقه جيشا منظما مثل ما يذكرها الكاتب و المؤرخ تيسديوس (Tacitus) " non inconditae turbae" معناه أن تكفاريناس لم يقد جيشا من الغوغاء و عمه الفوضى، و هو ما جعل منه عدوا لا يستهان به ، لقد الحق بالرومان عدد من الهزائم، و انطوت تحت لوائه قبائل مثل الموريين و الجرامونيين (Garamentes) واشرف على تدريبها على فنون القتال، أي ساكنة الشرق و الغرب، حتى إلى فزان (Fezzan)، بحيث اعتمد الأفارقة أسلوب ضرب المدن الآهلة بالرومان و تجريدها من ما تملك ثم اللجوء إما إلى الجبال أو الصحارى و هذا باحترافية، إذ كان على علم بنقاط الضعف و القوة لجيش عدوه، استغرقت ثورته مدة ما يقرب ثمان سنوات، و كانت في عهد الإمبراطور تيبريوس (Tibère)، هذا الأخير لذي أي مساومة مع تكفاريناس و اعتبرها بمثابة إهانة فجند له جيشا عرمرما بقيادة القنصل بليسوس (Blesus) الذي استطاع أن يكسر التحالف الإفريقي و ياسر أخ تكفاريناس، و ينتهي شان الثائر النوميدي سنة 24 م، على يد البروقنصل دولابيلايوس (Dolabella). للمزيد من المعلومات يعاد إلى:

Victor, L. T., 1926, « Tacfarinas ou Abd El Krim sous Tibère », *La revue française de Prague*, France, p.173-176.

70 جوليان، ش. ا.، 1951، ص.173.

71 غانم، م.ص.، 2010، ص.213.

يري في ذلك انه تحقيق لأخف الضررين، أي حكمه خير من حكم الغير الأجنبي و إن كانت كل الأدلة الأدبية و المادية ضده، بل إن زوجته كانت أكثر حضورا منه، من خلاله ما أظهرته من انتماء لذويها، و هي التي بدأت شخصيتها تبرز منذ عام 20 ق.م من خلال النقود المضروبة آنذاك التي حملت اسمها، و لا أدل على هذا الحضور القوي للفكر الهليني من تسمية ولدها باسم أسلافه "بطليموس"[72].

غير أن قداش يبرز بعض مناقب الملك، ويخفف وطأة الاتهامات الملحقة به، و منها انه وفق و إلى حد كبير في اختيار العاصمة و التي امتازت بالمناخ الممتاز و الصحي أيضا، و بجودة التربة، و ازدهار زراعة الزيتون و الكروم لتوفر المنحدرات، و دنو مواد البناء، و حصانة مينائها بوجود جزيرة، كما دأب على تطوير مملكته من كل الجوانب، إن في التجارة فربط الاتصال ببلاد الغال و إسبانيا و الإمبراطورية الرومانية، ومما دل على هذه العلاقة هو العثور في شرشال على سبائك اسبانية من الرصاص، و كذلك جرار فخارية من ايطاليا و بلاد الغال، كل هذا أسهم في تطوير المملكة ورقيها في عهد يوبا الثاني[73].

مات يوبا في أواخر عام 23 و بدايات 24 م، بعد حكم دام قرابة نصف القرن، وقد ماتت قبله زوجته سيليني في العام 6 م، و دفن هو الأخر في الضريح الملكي الموريطاني*

---

[72] Christa, L., 2007, p.65.110.

[73] قداش، م.، 1993، *الجزائر في العصور القديمة*، ترجمة صالح عباد، الجزائر، ص.117.

* يعرف بقبر الرومية نسبة للنمط على شكل صليب، و أيضا بقبر كليوباترا، و هو ما لم يتم إثباته، غير انه أكيد لعائلة موريطانية أو نوميدية، يقع الضريح بين مدينة شرشال و الجزائر العاصمة، على قمة جبل على الساحل يعلوا بنحو 261 متر أي أن الضريح يلمح عن بعد و يغطي مساحة واسعة (متيجة، البليدة، الحجوط، بوزريعة) و من يكون في عرض البحر، يبدوا الضريح على شكل اسطواني، بني على قاعدة مربعة بـ 63.40 مترا، تدركها من سلسلة من الدرج المصنوع من الصخر الصلب، محيط دائرته 185.50 متر، أما قطر دائرته 60.90 متر، و المخروط يتشكل من 33 درج، علو كل واحدة 0.58 متر و ينتهي بسطح، كما يوجد أمام بابه بقايا لبناء طوله 16 متر، و عرض 6 أمتار، له أربعة أبواب وهمية بعلو 6.90 متر ==يزينها إطار من نقوش، حامت حوله الأساطير لوجود كنز بداخله فتعرض مرارا للتخريب قصد استخرجها ففي العهد العثماني قصف بالمدفعية عام 1555 م من الباشا صالح، مما اثر على المبنى من الشرق، أما الداي بابا محمد فلقد أمر == ==بحفريات لكن المحاولات باءت بالفشل و لا يزال الضريح يحتفظ بأسراره أول من ذكره هو الجغرافي بومبيوس ميلا في حدود 30 ق.م كما ذكره المستشرق هـ. برك (H. Berque) ضمن كتابه "الجزائر ارض فن وتاريخ" بقوله: "لا زال قبر

(Le mausolée royale de Maurétanie) الذي شيده هو بنفسه للملكة كليوباترا غير بعيد عن قيصرية[74]، بمدينة (تيبازة) (Tipasa)، تاركا ملكه لمدة سبعة عشر ربيعا لابنه الوحيد بطليموس الذي انشغل عن الحكم، و الذي كان يتباهى بالإسراف و البذخ تركا ملكه و تصريف أمور رعيته لمن عتقهم من العبيد، فكان من ثار بعد اغتياله من الإمبراطور كاليقولا الذي أماته شر ميتة، هو احد العبيد المحررين من الملك بطليموسِ آدمون، إذ أذاقت المقاومة الأمرين للجند الرومان و دامت العمليات الحربية عامين كاملين كرد فعل على اغتيال الملك رغم ما أظهره هذه الأخير من إخلاص اتجاه الإمبراطورية، و قمعه لتمرد الثائر تاكفارناس الذي استعصى على الكتائب الرومانية فكان جزائه الذبح، هذا الجزاء الذي كان من جنس عمله، غدر بذويه، فغدر به من والاه على بني جلدته ، و كان مصير مملكة موريطانية بعد هذه الجريمة الإلحاق، و ذاك لمدة أربعة قرون (من 42 إلى 429 م) أي العام الذي شهد غزو الوندال لبلاد المغرب و إفتكاكها من قبضة الرومان[75]، و لعل الرومان قد وفقوا في مسعاهم بضم حوضي البحر المتوسط و جعله بحيرة رومانيه بشقيه الغربي و الشرقي.

الرومية يشكل أسطورة تاريخية، و لا زالت الأشباح تحيط به، و الأسرار تعمره، مما جعله منبعا لأنفاس رومنطيقية. ففي ليالي الشتاء يسمع أنين وهمسات في الرواق، و تهتز الحجارة و تكاد تنطفئ الأنوار..."، و فعلا فان بالضريح أكثر من سر و منه اللون المتغير عبر الفصول و سعات النهار، فيذكر بوشناقي، فهو حينا تراه بلون اصفر و تارة يظهر بلون رمادي تعلوه زرقة حينما يلفه الضباب. للمزيد من المعلومات ينظر: منير، ب.، 1979، *الضريح الملكي الموريطاني*، تعريب عبد الحميد حاجيات، الجزائر، ص.7-22.

[74] Mercier, E., 1888, I, p.92.

[75] جوليان، ش. ا.، 1969، ص.173-174.

4-أعمال يوبا الثاني العلمية

اشتهر يوبا الثاني أكثر بأعماله منه بحكمه، مثل ما يذكر بلين الشيخ (Pline l'Ancien)، و حضي بإجلال من الشعوب الأخرى، مثل ما أقدم الاتنيين (Athéniens) على نصب تمثال لذكرى الملك العالم و المؤلف[76]، و لم يكن يوبا الثاني مبتدعا بل سبقه جده هيمصال الثاني (Hiempsal) حيث يُذكر انه لم يقل علما و معرفة عن حفيده يوبا الثاني و انه خلَف مؤلفا باللغة البونية، كان بمثابة مصدر قيم عن ساكنة المنطقة و الذي استعان به المؤرخ سالوستيوس لاستفتاح كتابه "حرب يوغرطة"، مثل ما ألف الحفيد يوبا الثاني كتب عدة، منها ما عرف بلبيكا (Les Libyca) يتكون من ثلاثة أجزاء تحدث فيها عن الحياة البرية و الجغرافية و الأساطير و التاريخ، و نجد في هذا المضمون قزال يتحسر على ضياع هذا التراث البشري، و ماذا لو كان موجودا ما يمكن أن يضيفه إلى المعارف الإنسانية الآن بما تحمله هذه المجموعة من معلومات عن كل المجلات التي تناولتها[77]، كما انه لم يكن ليكتب أي شئ دون التحري من صحته فلقد أرسل البعثات العلمية إلى مناطق كثيرة و منها منابع النيل، و جزر الكناري (îles Canaries)[78]، كما ألف عن شبه الجزيرة العربية واسمي مؤلفه أرابيكا (arabica)، و عن روما و تاريخها[79]، مثل ما ألف الملك العالم و المثقف تقريبا في جميع المجلات، كالأدب، الفن، الإعراب، الزراعة و الرسم، فكان سبب إلهام و مصدر ثري لكل باحث أتى من بعده أمثال، بلينوس (Pline)، و ديون كاسيوس (Dion Cassius)، فلقد عرف في زمانه بأكثر الباحثين

---

76 René, D, Gsell, S., 1927, « Juba II savant et écrivain », *R.Afr*, 9, F.2, Alger, p.169.

77 René, D., Gsell, S., 1927, p.164.

78 Charlotte, L., « Juba II (roi de Maurétanie, 25 av.J.-C.-23 ap.J.-C) », *Département des antiquités grecques, étrusques et romaines : Art romain*, Paris.

79 غانم، م. ص.، 2010، ص.189.199.

شهرة و غزارة في الإنتاج[80]، كما ينعته جولين بأنه المثقف الذي راعى في مؤلفاته أن يؤخذ "من كل شي بطرف فلم يبقى علم واحد غريبا عنه، و كان بإمكانه أن يكتب في كل موضوع بفضل مكتبته الثرية و نسَاخه الذين لا يعرفون التعب."[81]، و من المجلات التي خاض فيه يوبا الثاني بحيث ذكر بلينوس أن ملكنا قد راسل الأمير كايوس قيصر (Caius César)، ابن الإمبراطور أغسطس (Auguste)، بأنه تم رؤية حيتان على السواحل لشبه الجزيرة العربية و يضيف أن التجار الأسيويين كانوا يستعملون شحومها لطليها على نوقهم قصد حمايتها من لسعات البعوض و الذباب، و يضيف بلين قوله أن لو علم يوبا الثاني بالاستخدامات الأخرى التي تستخلص من الحيتان لما توانى في ذكرها[82]، وهذا إنما يدل على أن يوبا لم يتوقف عند فن واحد من الفنون التي خاض فيها السابقون إلا و ستشرف آفاقها و نقلها لغيره لتعم الفائدة و كان يتقصى الحقائق و يتابع الأخبار عن الناس و عما يعيش من حولهم فكان الملك الحاكم العالم و الباحث.

أجاد يوبا اللاتينية و البونية واليونانية، و قد شهد له الكثير من المؤلفين بسعة علمه و اتساع معارفه، و نهمه في التهام صنوف المعرفة، و فضوله الذي لا ينتهي فكان شغوفا بالفلسفة و مولعا بها، حتى تجمعت لديه مكتبة جد ثرية بالمؤلفات البونيقية و اللاتينية و اليونانية، و قد أضاف لها ما حصل عليه من إرث جده هميصال، و نظرا لأهمية ما كتبه فقد كانت مؤلفاته يستشهد بها مثل ما جاء ذكره من قبل، لدى الباحثين المعاصرين له أو اللاحقين أمثال بلوطاركوس أو بلينوس الذي ذكره ثماني و ثلاثين مرة[83].

---

80 Eugène, N., 1889**,** p.443.

81 جوليان ش. ا.، 1951، ص.173.

82 Justin, M., 1838, *Diptères exotiques nouveaux ou peux connus*, 3, Paris, p.22-23.

83 قداش، م.، 1993، ص.118.117.

كما يجب أن نقول أن ما بلغنا عن هذا الملك الباحث و العالم هو قليل، لان جرت عادة سيئة في العصور القديمة، و هي أن نقل المعلومات يتم دون الرجوع إلى ذكر صاحبها بل بالعكس الكثير من ينسب إلى نفسه العمل المذكور و يتباهى بها، و بالتالي تضيع الحقوق[84] و يورد حارش قائمة هاته الكتب التي ألفها يوبا الثاني و التي لم يصلنا أي واحد منها و هي:

1-ليبيكا: و الذي تناول فيه سكان المغرب، عاداتهم، لغاتهم و خصالهم، و عن فنيات الحياكة، و الصباغة الأرجوانية التي تميزت و اشتهرت بها الحضارة البونيقية، و لم يغفل أن يتحدث عن جوانب الطبيعة الموريطانية كالحيوانات التي عاشت فيها، كما تطرق فيه أيضا عن نهر النيل و الجزر الخالدة،

2-أرابيكا: و الذي قدمه كهدية للإمبراطور كايوس قيصر تبيريوس، هذا الأخير الذي كلفه بإعداده على شكل تقرير عن الجزيرة العربية، وصفا للأرض و ما فوقها وكذا تاريخها ويضنه الباحثون انه كتبه أيام توليه إدارة فلسطين و هو الأرجح.

3-سيرينيكا: أي عن بلاد الشام

4-بابيلونيكا أو مختصر الآشوريين (جزءان): تضمن هذا الكتاب مجمل تاريخ بابل و بعض ملوكها أمثال الملك نبختنصر و الحروب التي خاضها ضد اليهود و مصر، كما تناول أيضا الملكة سميراميس.

5-كتاب الصباغة.

6-كتاب المشابهات أو الأشباه (خمسة عشر جزءا): حيث أقام مقارنة بين ما كان عليه اليونانيون و الرومان من أديان و تقاليد.

7-موسوعة ضخمة عن الموسيقى.

---

[84] Gsell, S., 1927, *H.A.A.N*, V, p.193.

8-كتاب عن فن الرسم أو الرسامين (ثمانية أجزاء).

9-تاريخ المسرح: و الذي تحث فيه عن الرقص و الآلات الموسيقية.

10- تاريخ روما[85].

و لربما يأخذنا الخيال إلى القول دون الجزم، أن هناك في أغلب الظن كتب أخرى لأن ما توفر إلا ما جمعه الباحثون وتم الإشارة إليه في كتبهم.

يبقى التساؤل محيرا حول ملابسات ضياع هذا التراث الإنساني، و الراجح بأنه ثمة علاقة بالوضع الذي عاشته موريطانيا بعد وفاة ملكها سنة 23 م، و على ضوء ذلك كان لزاما علينا أن نصُف إلى جنب من وضعوا تلك الافتراضات كسبب مقنع لعدم العثور على هذه المؤلفات التي اشتملت على صنوف عديدة من مجلات المعرفة حيث يرجعها الدكتور حسين مجدوبي إلى الحروب التي أعقبت فترة حكم يوبا الثاني، و خاصة بعد اغتيال الملك بطليموس حيث يقول الباحث :" نعتقد أن السبب الرئيسي في فقدان الإرث التاريخي المكتوب في المغرب في عهد يوبا الثاني يعود أساسا إلى الحروب التي شهدتها المنطقة و خاصة المواجهات مع الرومان في أعقاب إقدام الإمبراطور الروماني كاليقولا على اغتيال الملك المغربي بطليموس، و انحلال الحكم المركزي بكل ما حمله ذلك من تدهور وضعية مدن رئيسية، مثل: وليلي، و دخول المغرب في تشرذم لم يساعد على إقامة حياة عمرانية مستقرة، توفر الظروف لحفظ الإرث المكتوب، و من ضمنه ارث يوبا الثاني و آخرين ربما قد يكونوا قد وجدوا، و لم تصل أخبارهم"[86].

---

[85] حارش، م. هـ.، 2013، ص.218.

[86] مجدوبي، ح.، 2013، "الملك الامازيغي يوبا الثاني: أول عالم و مؤلف في تاريخ المغرب"، *بوابة تاريخ المغرب*، من الربط:http://www.maroc-histoire.net/2015/05/blog-post_86.html

و قياسا على ما حدث للمخلفات الأثرية التي تركها ماسينيسا في كيرتا و التي لم يبقى لها اثر يذكر، لأنها تعرضت للهدم، و استبدلت ببنيات رومانية، و الحال نفسه لبقية المنشآت العمرانية المحلية في مدن كجميلة و تيمقاد و تبسة، فروما ليست روما بريئة، كبارئة ذئب سيدنا يوسف، من ضياع هذا التراث الأدبي و الفني و العلمي.

إن الفرضية المقدمة بكثرة الآن كطرح جديد ظهر مع البعض المحدثين من الباحثين المؤرخين، أن لا نتبع خط السير الذي رسمته المدرسة الكولونيالية و التي اهتمت و عن كثب بكتابة تاريخ المغرب القديم و سلطت الضوء على الملك يوبا الثاني مثل شارل أندري جوليان[87] أو ستيفان قزال[88] و لا التقاعس عن تسليط الأضواء عن هذه الفترة من قدامى مؤرخي المغرب، أمثال ابن خلدون الذي لم يشير لا من قريب و لا من بعيد إلى هذا الإرث البشري و لا عن صاحبه.

ولعل الجزئية التي ذكرها جميل حمداوي ضمن كتابه "يوبا الثاني الملك المثقف" عن بعض الباحثين كإبراهيم حركات في كتابه "المغرب عبر التاريخ"، إن المغرب لم يكن لينجب مثقفا واحدا إلا بعد الفتوحات الإسلامية، حيث يقول: "لكن المغرب لم ينتج من المفكرين البارزين في عهد الرومان احد، أو على الأقل من الذين أنتجوا في حقل الفكر شيئا مشرفا. و على العكس من ذلك بعد الفتح الإسلامي ببضعة عقود حيث ظهر علماء و مثقفون بارزون من البربر."[89]، تتركنا نفكر في الإجحاف الذي لقيه ملكنا من بعض الباحثين و يؤسفنا أن نرى هذا الاهتمام من مَن ليس لهم أي انتماء إلى هذه الأرض، و من الموضوعية بمكان أن

---

87 جولين، ش.، 1951، 172.173.
88 قزال، ا.، 1913، ص.177.
89 حمداوي، ج.، *يوبا الثاني الملك الأمازيغي المثقف*، المغرب، ص.4.

تتناول الأبحاث لا بدافع العرق و لا الدين و لا المصلحة السياسية بل بدافع تحقيق المنفعة العلمية، فيتجرد الباحث المثالي من كل هذا.

و الحالة هاته، كان لزاما علينا أن نقر بالفضل بدل الجحود، و الاعتراف بالجميل عوضا عن التنكر لأولئك الذين انطلقوا من لاشئ لإنتاج شئ ننتفع به و نطوره و نتمتع به اليوم، و كان يوبا من ضمن العناصر المخصبة في تلك الحضارات، و أن ندوس على سيناريو مسلسل طال أمده اسمه "ما هذه الأرض إلا للأجنبي الذي يطرده أجنبي آخر" و إبعاد ما تروجه المدرسة التاريخية الكولونيالية، بأن أرض المغرب عديمة الخصوبة و عاقر، و غارقة في أتون جمود ثقافة غير مادية، و بقيت على هذا الحال إلى أن أتاها الإرث اليوناني و الروماني، ليحمل بواعث التحضر و الخروج من العصور ما قبل التاريخية، و أن لأولئك الوافدين من وراء البحر، الفضل كله، و أنهم هم وحدهم من يحملون ناصية العلم و المعرفة.

إذن وقعت الكثير من المغالطات و ذلك إما عن قصد أو البعض ساذج و سطحي مثل تقديم المغرب القديم على انه عاجز أو غير قادر على الإنتاج الفكري أو الإبداع لكن تاريخيا هذه أكبر أكذوبة صنعتها أقلام الغربيين، و هذا ما أكده كل من أندري نوشي و أندري برنيان و إيف لاكوست في كتابهم "الجزائر بين الماضي و الحاضر" بعد ما اثبتوا أن المجتمع المغربي خليق بالإنشاء و الإبداع، مثل ما هو بالنسبة للنظم السياسية و الاجتماعية التي كانت موجودة عشية الاحتلال الروماني، و أن ما يروج عن الجمودية البربرية هي حقيقة، قد أكدها أيضا ما جاء على لسان قوتيي قولهم :" و مع ذلك فان عددا من المؤلفين لم يحرموا أنفسهم من ذلك :"إن المغرب لا يتطور أبدا."[90]، ووجدت اليوم –في واقع الحال– من الدراسات من أماطت اللثام عن حقائق مذهلة عن علماء موسوعيون كيوبا مثلا و يضيف قزال إلى ما قاله قوتيي أن

[90] برنيان، أ.، نوشي، أ.، لاكوست، إ.، 1984، ص.63.

ما كان عليه حال و تاريخ نوميديا و موريطانيا، مثله ما كانت عليه بلاد البربر في العصور الوسطى من حالة فوضى و رتابة و اشمئزاز صورتها هي القتل و الخديعة الانتفاضات و عدم الاستقرار و انهيار على جميع الأصعدة نتيجة انعدام الكفاءة لدى حكام هذه المناطق، و إن قوة الحاكم هي من تضمن الاستقرار و الرفاهية للشعوب[91]، فلقد عكف المؤرخون الغربيون على إظهار منطقة المغرب بصورة قاتمة، وهذا قبل ولوج الحضارة الغربية الممثلة في الحضارة الرومانية، هادفين من وراء ذلك إبراز لهجة العقم و قابلية الأرض و من يعيش فوقها للاستعمار، فهذا كله تكرسا للفكرة العنصرية الاستعمارية التي جسدتها هذه المدارس التاريخية وروادها.

[91] Gsell, S., 1927, *H.A.AN,* V, Paris, p.167.

5- نهاية مملكة موريطانيا

مثل سقوط قرطاج عام 146 ق.م، إعلانا واضحا عن نوايا الرومان باحتلال الشمال الإفريقي، فتشكلت هيئة من عشر شيوخ من المجلس الروماني للبث في مصير ممتلكات قرطاجة فكانت المقاطعة الإفريقية (Provincia Africa)[92]، و الحق هذه لم تكن إلا الخطوة الأولى لإتمام روما لمشروعها التوسعي، فأصبحت نوميديا في خبر كان منذ العام 46 ق.م باستغلال قيصر قيام لموقف يوبا الأول ضده، لينهي مرحلة التمهيد و يضم نوميديا رسميا للممتلكات الرومانية[93].

و يبدوا أن موريطانيا لاقت المصير نفسه، فقسمت خلال الحروب الأهلية إلى دولتين لتتحد بعد ذلك في عهد بوخوس الأصغر[94]، ثم عرفت حكما مزدوجا ما بين 33 ق.م و 40 م عسكريا استغرق ثمان سنوات و حكما مدنيا باسم مملكة موريطانيا حتى مقتل بطليموس ليعلن الإمبراطور كلوديوس (Clodius) عام 42 م، عن الفصل بين موريطانيا القيصرية و الطنجية، و إلحاقهما بحكم الإمبراطور في إطار المقطعات العسكرية إلى غاية انتهاء العهد الإمبراطوري 284 ق.م، و الظاهر أن تمديد الحكم العسكري كان بسبب صعوبة إرساء الحكم الروماني و مما يدل على شدة المقاومة هو تراجع خط الليمس نحو الشمال بسبب ضغط قبائل الجنوب[95]، فكانت على النحو التالي:

---

[92] جوليان، ش. ا.، 1969، ص.46.
[93] الشنيتي، م. بـ.، 1982، ص.81.
[94] كامبس، ق.، 1960، ص.200.
[95] الشنيتي، م. بـ.، 1982، 82-83.

1- موريطانيا الطنجية: تحت سلطة وكيل الإمبراطور (Procurator)* المقيم بنطنجة، و امتدت غرب واد ملوية.

2- موريطانيا القيصرية: محصورة بين واد ملوية و الوادي الكبير، هي الأخرى تحت إمرة وكيل الإمبراطور، و يحدث أن تُجمع المقاطعتين تحت حكم وكيل واحد مثل ما حدث في عهد كل من قالبا (Galba)، و سيفريوس (Septime Sévère) و ابنه كراكلا (Caracalla) و هدريانوس (Hadrien)[96].

و مما تقدم يتضح أن مهمة الإلحاق و الضم التي مارستها روما على مراحل لم تؤت أكلها فلم تكن مهمتها سهلة، بالرغم كل الاحتياطات المتخذة و التمهيد بالأمر الواقع، فمثلا إذا أخذنا تمرد القبائل الجنوبية كالموزولام** (Musulames) و الجيتول و لحقهم بعد ذلك الجرامونت*** (Garamantes) فقد لاقت روما الأمرين لمدة زادت عن ثلاثين سنة[97].

فـزوال الكيانـات السيـاسية لـيس معنـاه زوال الشخصـية الوطنيـة، و لا زوال المـقاومة واستمرارها هو استمرار للتعبير عن هذا الوجود الذي لا يخبوا و لا ينطفئ بالرغم من محاولات الطمـس والإقصـاء، وكـان خلـق كيانـات عميلـة و تابعـة لا يشـفي غليـل هـذه

* كان بمثابة قاضي يمثل الإمبراطور، و يختلف عن القاضي من حيث الرتبة حيث إن هذا الأخير ينتمي إلى الأعيان (مجلس الشيوخ) و الوكيل إلى رتبة الفرسان، و يختاره و يعينه الإمبراطور بنفسه. حول الموضوع يعاد إلى: حارش، م. هـ.، 1992، *التاريخ المغاربي القديم السياسي و الحضاري منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي*، الجزائر، ص.174.

[96] حارش، م. هـ .، 1992، ص.174.

** استقرت في المنطقة الأوراسية وما يحيط بها، يحدها شمالا كيرتا و جونبا الجيتول و الغرامونت غربا تمتد حدودها إلى الحضنة، و نحو الشرق إلى مدينة تبسة، اقرن اسمها بثورة تاكفاريناس، و كانت عونا لسيفاكس ثم يوغرطة، لتتحد مع الجيتول في الحرب ضد الرومان في عهد يوبا الثاني. حول الموضوع ينظر: كامبس، ق.،

*** هيرودوت يضع هؤلاء في وسط ليبيا، بينما الجغرافي سترابون فيجعلهم بين الجيتول في إفريقيا الشمالية و الإثيوبيين بالجنوب، غير أن ما ثبت أنهم أقوام من منطقة فزان، كما أن المصادر تذكر تجنيدهم في جيش قرطاجة، كما أنهم رفعوا عصى المعصية أمام التواجد الروماني و تحالفوا مع قبائل أخرى من المنطقة مثل الموزولاميس. حول الموضوع ينظر إلى:
Ait Amara, O., 2009, p.74.

[97] قداش، م.، 1993، ص.125-126.

المقاومات بل ازدادت اشتعالا، وعبرت عن رفضها المطلق لأي شكل من أشكال السيطرة الأجنبية تحت أي غطاء كانت.

فعلى مر الزمن ثارت موريطانيا في وجه الغزاة، ففي عام 117 إلى 122 م حدثت ثورتان متتاليتان، اتبعتها اضطرابات عام 138 إلى 190 م في عهد كل من انطونان (Antonin) و مارك اوريل (Marc Aurèle) و كومود (Commode)[98].

و الدليل على استعصاء و صعوبة احتلال موريطانيا هي سياسية الفتح المحدود فقد انحصر توسع الرومان على الهضاب و السهول الخصبة، ويرفض الشنيتي تفسير بعض الباحثين على أن انحصار التوسع الروماني في المناطق ذات التأثير البونيقي، أي المناطق الخصبة، يرجع بالأساس إلى عدم رغبة روما بذلك، و إنما تم احتلال أجزاء من موريطانيا لاستكمال "الحلقة الأخيرة لإغلاق البحر الأبيض المتوسط، كي يصبح بحرا روميا، و من ثم اكتفوا بشريط ضيق في موريطانيا و لم يتوغلوا جنوبا كما فعلوا في نوميديا"[99].

يتبين لنا مما سبق، أن الملك يوبا الثاني بالرغم من تبعيته للرومان، إلا أن تسجل له نقاط تحسب له، مثل ما جاء عند توفيق المدني أن يوبا الثاني " كان على شيء من العلم و سعة المدارك له ذكاء حاد و فكر وقاد، و له تآليف كثيرة جدا في كل العلوم و الفنون أهمها تاريخ الرومان، و جغرافية إفريقيا و بلاد العرب، و كتب في فن التمثيل و الموسيقى وعلم الأخلاق عند الرومان و اليونان، و يميل إلى فلسفة اليونان و أدخل ثقافتهم و فنونهم إلى بلاده"[100].

---

98 المدني، ا. تـ، 1986، *قرطاجنة في أربعة عصور من عصر الحجارة إلى الفتح الإسلامي*، الجزائر، ص.93.
99 الشنيتي، م. بـ، 1982، ص.83-84.
100 المدني، أ. ت.، 1986، ص.91.

و بهذا يمكن القول أن الملكين و إن اختلف أسلوبيهما في المقاومة، إلا أن الغاية تكاد تكون واحدة و هي إظهار الساكنة بصورة أليق أمام الغير.

الخاتمة

ينتهي بنا الرحيل عبر دروب هذا العمل المتواضع فصولا و عناصر، بما وُفقت من جهد جمع و دراسة جوانبه بحسب قدرتي القاصرة، إلى جملة من النتائج قطفناها عبر مسالك هذه الدراسة نوجزها في ما يلي:

أن الدراسة البيوغرافية تمكننا من دراسة تاريخ المنطقة : الأرض، الزراعة المجتمع، العادات، اللغة، المستوى الاقتصادي، المؤسسات كالجيش و نظام الحكم.

وجدت صناعة التاريخ بمادة دراسة السير منذ التاريخ القديم، سواء مع بلوتاركوس و الذي مثل أحد روادها بكتابه "السير المقارنة لعظماء اليونان و الرومان" (vies parallèle)، سويتون "حياة انثني عشر قيصر" (Vies des douze césars)، سالوستيوس "حرب يوغرطة" (La guerre de Jugurtha)، و غيرهم إن من خصص لها كل مؤلفه أو جزء منه.

عبر هذا العمل تغمرنا قناعة، أن المقاربة البيوغرافية هي إحدى صنوف الكتابة التاريخية، و لونا مرغوبا فيه لدى القراء، و هي الأكثر مبيعا اليوم، بعدما شهدت إحجاما و تقلصا شديدين خلال ظهور مدرسة الحوليات التي نبذت التفرد و التوحد، و فضلت الجماعة و المجتمع و لم تعتبرها إلا عملا أدبيا لا يسموا إلى درجة العمل التاريخي.

تجدر الإشارة من أول وهلة لقراءة الموضوع أن القبائل تمتعوا بصحة جيدة و كثر عندهم الإنجاب (ماسينيسا كان له 54 ولدا)، و هذا ما أشارت إليه المصادر القديمة الإغريقية و اللاتينية.

لاحظنا من خلال معايشتنا للموضوع أن اهتمام روما لمنطقة المغرب القديم كان سابق لدك و تحطيم قرطاج سنة 146 ق.م، و إنما سارعت تلك العملية في تنفيذ مخططها التوسعي على الشمال الإفريقي، و تحويل حوض البحر المتوسط إلى بحر رومي بامتياز.

كذلك من خلال هذه الدراسة فقد لمسنا أن روما دوما تستثمر النزاعات المحلية بين الإخوة الأعداء لبلوغ مآربها التوسعية، حدث هذا مع ماسينيسا و سيفاكس من جهة، و في ناحية أخرى مع يوبا الأول و بوخوس و بوغود، و الأمثلة منثورة عبر تاريخ المغرب القديم، و إنما ذكرنا هذين المثالين على سبيل المثال لا الحصر.

أدركت روما أن الإغراء بالملك و استغلال فكرة ولاية العرش هي أفضل السبل للولوج إلى المنطقة، و إيجاد الذرائع للتدخل و تنفيذ فكرة الاستعمار، الاستغلال و الاستيطان.

بلغتنا قناعة أخرى من خلال إعداد الموضوع، أن توسيع سلطة روما بمنطقة الشمال الإفريقي لم تكن سهلة و ممتعة، بل كانت صعبة و تحفها المخاطر بالرغم من مراحل التهيئة التي أعدتها مُسبقا، و يبدوا هذا الواقع جليا من الانحصار الذي شهدته عملية الاستيطان و خاصة في موريطانيا، أو التراجع الذي عرفه خط الليمس من فترة لأخرى.

يلاحظ كذلك أن فكرة الاستقلال كانت موجودة لدى السكان المحليين، و قد اختمرت أكثر بقدوم الرومان و إنشائهم لأول مقاطعة بالشمال الإفريقي و هي ما عرفت بالمقاطعة الرومانية، و تجسدت في الرغبة في إنشاء سلطة محلية بعيدة عن كل تأثير خارجي.

إن القول بإنشاء كيانات غير مكتملة السيادة، و ارتماء حكامها في أحضان روما كما كان الحال مع يوبا الثاني و ابنه بطليموس، هو خطوة أولية لإنشاء كيانات محلية، هو ضرب من الخيال، فلم تكن إلا ذات استقلال صوري قد مهدت الطريق و سهلت مهمة روما في رومنة المنطقة، و إنهاء كل ما يمت بصلة لمحاولة إبراز هذا الكيان على مسرح الأحداث.

حتى و إن خضع النوميد و المور خضوعا سطحيا لروما، فلم يتوقفوا عن حمل مشعل الثورة من حين لأخر مكلفين الرومان خسائر و معاناة في البقاء بالمنطقة و الاستمرار في عمليات الاستنزاف.

تبين لنا أيضا أن السكان هذه المنطقة بعكس ما روجت له المدرسة الكولونيالية عقيم و غير قادر على الإبداع، من خلال انجازات ماسينيسا الاقتصادية مثلا و الإبداع الفكري ليوبا الثاني، و أن تلك الفكرة لا تنبع إلا من خلفية عنصرية و تبريرية لعملية الاستعمار.

إن الولاء الذي اتصف به بعض القادة المحلين اتجاه روما، لم يكن كافيا من كف يد روما و بطشها، فمقتل بطليموس هو أحسن مثال للجزاء الذي يلقاه من يضع الجميل في غير أهله و لا موضعه، و أن الذي يولي غير أهله و بني جلده و ينقلب عليهم، إنما يكون جزائه من جنس عمله.

مثل ماسينيسا الملك الوطني، فكان أعظم ملوك النوميد، فشهد له بذلك مؤرخو الرومان مثل ما جاء في هذه المذكرة على لسان بوليبيوس:"كان ماسينيسا، ملك النوميديين، أفضل و أسعد الملوك في أيامنا حيث حكم ستين سنة."[1]

و يبدو أن ماسينيسا بذل ما لديه من القوى العقيلة و الحسية، ليحقق هدفه بإنشاء مملكة قوية و مترامية الأطراف، و كان له ذلك.

الحقيقة التي لا مناص منها أن الرومان قد أدركوا قوة ماسينيسا فكان المعاملة بالند وهذا يقودنا للقول أن الحاكم له دور أساسي في خلق هذه الكيانات واستكمال سيادتها،

[1] Polybe, XXXVI, 16.

التي كان السكان يتطلعون لها من باب الدخول إلى مثيلتهم من السكان الرومان أو الإغريق أو المصرين أيضا.

وتجدر الإشارة بأن بعض الأحداث هي و ليدة الظروف و لا يمكن الحكم القطعي عليها إلا إذا قدرنا أن نوفر نفس تلك الظروف و معايشتها، فمثلا بعض الدراسات التي تظهر ماسينيسا أنه موال لروما و جسد رغبتها، إنما هو حكم قاس انطلاقا من القاعدة سالفة الذكر.

ماسينيسا خاض مقاومة تكاد تكون متكاملة، ففي الجانب الاقتصادي حقق قفزة و ثورة شاملة في المجال الزراعي و حمل المنطقة إلى الإنتاج الوفير و الاتجار مع العالم القديم من إغريق و رومان، أما يوبا الثاني فكان وضعه مختلفا نوعا ما و خاض مقاومة سلمية في المجال الفكري فكان الملك الموسوعي بامتياز.

لقد كان ماسينيسا يرسل الرسائل المشفرة لروما دون أن يخدش مشاعرها، و لا يود أن يعكر صفو العلاقات بينه و بين حليفه السابق و المعين على تحقيق أهدافه بمنطقة المغرب، و غير متنكر للجميل، عبر جعل عاصمته كيرتا مدينة هلينستية، و إبعاد أي أثر لروما.

منطقة المغرب القديم ذات موقع متميز إذ تشرف على الحوضين الغربي و الشرقي للمتوسط، مما جعلها محل أطماع الطامعين و لم يكن لها أن تهدأ و تنام قريرة العين على مر تاريخها من الاضطرابات و القلاقل، فكان حالها لا يخلو من عمليات الكر و الفر بين المحليين و الغزاة.

إقامة هذه الممالك لعلاقات تجارية سواء في عهد ماسينيسا أو يوبا الثاني مع معظم كيانات حوض البحر المتوسط، من الدلائل القاطعة على وجودها.

و يلاحظ أيضا أن روما كانت من وراء جميع الانقسامات الحاصلة بمنطقة المغرب القديم تطبيقا للقاعدة "فرق تسد"، حتى تمكنوا من الاستحواذ عليه عام 40 م، بعد تنفيذ جريمة القتل في حق آخر ملك محلي بطليموس، ليتبدد معه حلم إنشاء كيان مغاربي مستقل قادر على العطاء و الإبداع و إبراز هوية المحلي.

و أخيرا نقول أن الرومان عملوا على طمس كل معالم الخلق لدى سكان المنطقة فقد حطموا كل ما خلفه ماسينيسا في كيرتا، و بنو على أنقاضها المعابد و المسارح و فعلوا كذلك بباقي المدن الليبية أو البونيقية، و هذا لحاجة في نفس يعقوب قضاها.

المصادر و البيبليوغرافيا

1- المصادر.

المصادر العربية

المصادر الأجنبية

2- البيبليوغرافيا.

المراجع العربية

المراجع الأجنبية

المصادر و البيبليوغرافيا

1. المصادر.

أ-بالعربية:

قيصر، ي.، حرب *إفريقيا 47-46 ق.م*، ترجمة حارش، م. هـ.، الجزائر، 2014.

هيرودوت، *التواريخ*، IV، ترجمة عبد الإله الملاح، أبو ظبي، 2001.

ب- باللغة الأجنبية:

Appien, *Guerres civiles,* V, Trad. Etienne Maud, France, 2007.

Appien, *Histoire Romaine,* VIII, " *Livre Africain",* Trad. Paul Goudowsky, Paris, 2002.

Cicéron, *De la république*, VI, Trad. V. Poupin, Paris, 1911.
Cicéron, *Songe de Scipion*, Trad. M. Pottin, 1984.

Dion Cassius, *Histoire romaine*, II, Trad. E. Gros et V. Boissé, Paris,1845-1870.

Pline L'Ancien, *Histoire naturelle*, XVII, Trad. M.E. Littré, Paris, 1887.

Pseudo-César, *La guerre d'Afrique*, Trad. Guillaume Budé, Paris, 1949.

Salluste, *La guerre de Jugurtha,* VI et XVIII et LXXX, Trad. Charles Durosoir, France, 1865.

Strabon, *Géographie*, XVII, Trad. Gabriel de La Porte Du Theil, Paris, 1805-1819.

Strabon, VII-XII, Trad. Amédée Tardieu, Paris, 1873.

Strabon, XVII, trad. Roget.R, Paris, 1924.

Suétone, *Vie de Caligula,* I-LX, Trad. M. Cabaret-Dupaty, Paris, 1893.

Tite-Live, *Histoire romaine,* II, Trad. M. Nisard, Paris, 1839.

2. البيبليوغرافيا.

أ-بالعربية:

إبراهيم، س.، 1997، *أساليب التعبير الأدبي*، عمان.

إحدادن، ز.، 1999، *الصحيح في تاريخ المغرب و الجزائر*، مجلة الدراسات القيمية الإعلامية المعاصرة، العدد 2، الجزائر.

إيمار، أ.، أوبوايه، ج.، 1964، "روما و إمبراطوريتها"، *موسوعة تاريخ الحضارات العام*، ترجمة فريد م. داغر و فؤاد ج. أبو ريحان، بيروت.

برنيان، أ.، نوشي، أ.، لاكوست، إ.، 1984، *الجزائر بين الماضي و الحاضر*، ترجمة اسطنبولي رابح و منصف عاشور، الجزائر.

بوشناقي، م.، 1979، *الضريح الملكي الموريطاني*، تعريب عبد الحميد حاجيات، الجزائر.

توفيق، ب.، 2014، "الفارس النبيل. في ضمير الفكر الأوروبي"، *جريدة الوطن*، العدد 6836، الجزائر.

جغلول، ع. ق.، 1982، *مقدمات في تاريخ المغرب العربي القديم و الوسيط*، ترجمة فضيلة الحكيم، بيروت.

جوليان، ش. ا.، 1969، *تاريخ إفريقيا الشمالية تونس، الجزائر، المغرب الأقصى من البدء إلى الفتح الإسلامي* 647 م، تعريب محمد مزالي و البشير بن سلامة، تونس.

حارش، م. هـ.، 2013، *دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر ة بلدان المغرب في العصور القديمة*، الجزائر.

حارش، م. هـ.، 2014، *التطور السياسي و الاقتصادي في نوميديا منذ اعتلاء مسينسيا العرش إلى وفاة يوبا الأول* 203-46 ق.م، الجزائر.

حارش، م. هـ.، 2013، *دراسات و نصوص في تاريخ الجزائر و بلدان المغرب في العصور القديمة*، الجزائر.

حارش، م. هـ.، 1995، *التاريخ المغاربي القديم السياسي و الحضاري منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي*، الجزائر.

حارش، م. هـ.، 2013، *مملكة نوميديا دراسة حضارية منذ أواخر القرن التاسع إلى القرن الأول قبل الميلاد*، الجزائر.

حارش، م. هـ.، 2008، "الجذور التاريخية لمملكة نوميديا"، *مجلة الإتحاد العام الآثاريين العرب*، العدد 10، القاهرة.

حمداوي، ج.، *يوبا الثاني الملك الأمازيغي المثقف*، المغرب

حسين، ط.، 1992، *الأيام*، الطبعة الأولى، القاهرة.

الحويري، م.، 2001، *منهج البحث التاريخي*، القاهرة.

رشاد، ف.، 1999، "المنهج البيوغرافي: استعمال السير الذاتية و الحياتية في علم الاجتماع"، *مجلة العلوم الاجتماعية*، المجلد 27، العدد 2.

رمضان، ت.، 1993، "معاهدة زاما (201 ق.م)"، *تاوالت. مجلة الدراسات التاريخية*، العدد السابع.

شنيتي، م. ب.، 2012، *نوميديا و روما الإمبراطورية تحولات اقتصادية و اجتماعية في ظل الاحتلال*، الجزائر.

شنيتي، م. ب.، 1982، *سياسية الرومنة في بلاد المغرب من سقوط الدولة القرطاجية إلى سقوط موريطانيا (146 ق.م– 40 م)*، الجزائر.

طراد، ن. إ.، 1998، *تاريخ الرومان*، مصر.

طحطح، خ.، 2011، *تحولات الكتابة التاريخية*، المغرب.

الطاهر، م.، 1999، بورونية، ش.، *قرطاج البونية*، الإسكندرية.

عباس، إ.، 1900، *فن السيرة*، الطبعة الثانية، بيروت.

العروي، ع.، 2000، *مجمل تاريخ المغرب*، الدار البيضاء.

عيساوي، م.، 2009، *النقوش النوميدية في بلاد المغرب القديم دراسة تاريخية لغوية حول الواقع قبيل الاحتلال الروماني*، المحمدية.

عقون، ع.، 2014، *ماسينيسا كان يريد أن يجعل قرطاج عاصمة لإفريقيا لكن الرومان منعوه*، جريدة النصر، الجزائر.

غانم، م. ص.، 2010، *مقالات و آراء في تاريخ الجزائر القديم*، عين مليلة.

غانم، م. ص.، 2008، *سيرتا النوميدية النشأة و التطور*، عين مليلة.

غانم، م. ص.، 2006، *المملكة النوميدية و الحضارية البونية*، عين مليلة.

غانم، م. ص.، 2003، *التوسع الفينيقي في غرب البحر المتوسط*، عين مليلة.

غانم، م. ص.، 1997، "الملك سيفاكس الكيان السياسي النوميدي"، *مجلة التراث*، العدد 9، باتنة.

قداش، م.، 1993، *الجزائر في العصور القديمة*، ترجمة صالح عباد، الجزائر.

قزال، إ.، 2007، *تاريخ شمال إفريقيا القديم*، ترجمة محمد التازي سعود، الرباط.

القمني، س.، 1999، *الأسطورة و التراث*، القاهرة.

كامبس، ق.، 2010، *في أصول بلاد البربر ماسينيسا أو بدايات التاريخ*، ترجمة و تحقيق العربي عقون، الجزائر.

كامبس، ق.، 2014، *البربر ذاكرة و هوية*، ترجمة عبد الرحيم حزل، الدار البيضاء.

الكعاك، ع.، 1951، *البربر*، الجزائر.

لكبير، ف.، 2008–2009 *دور الأسطورة الدينية في بناء النظام الاجتماعي*، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع، باتنة.

مجدوبي، ح.، 2013، "الملك الامازيغي يوبا الثاني: أول عالم و مؤلف في تاريخ المغرب"، *بوابة تاريخ المغرب*، المغرب.

المدني، أ. ت.، 1986، *قرطاجنة في أربعة عصور من عصر الحجارة إلى الفتح الإسلامي*، الجزائر.

مهران، ب.، 1990، *مصر و الشرق الأدنى القديم، المغرب القديم*، الإسكندرية.

يوسف، م.، *السيرة الذاتية و حقائقها في التاريخ*، نقلا عن الموقع الالكتروني:
http://maraji3-elondy.blogspot.com/2011/05/blog-post_26.html

ب- باللغات الأجنبية:

Aït Amara, O., 2009, *Les soldats d'Hannibal*, France.

Ampère, J. J., 1862-1864, *L'histoire romaine à Rome*, France.

Augustin, S., 1868-1878, *Œuvres complétés*, Trad. P. Écalle et V. Charpentier, France.

Armand, A., 1844, *L'univers Afrique : esquisse générale de l'Afrique et Afrique ancienne. Carthage. Numidie et Mauritanie*, Paris.

Ayache, A., 1964, *Histoire ancienne de l'Afrique du nord*, Paris.

Anes, P., 1987, *Sagonte, Iliturji, Astapa : trois destins vus de Rome*, France.

Baudement, T., 1865, « vie de César », *Catalogue de la bibliothèque de Lorient*, France.

Berthier, A., 1981, *La Numidie Rome et le Maghreb*, Paris.

Bertrandy, S., 1994, "Cirta", *E.B*, France.

Le Bohec, Y., 2013, "Maures ou Mores », *Encyclopaedia Universalis.*

Bongars, B., 1843, *Biographie universelle ancienne et moderne ; histoire par ordre alphabétique de la vie publique et privé de tous les hommes*, Paris.

Bouchama, K., 2008, *De Iol à Césarée à Cherchell*, Alger.

Bourdé, G., 1983, Martin, H., *Les écoles historiques*, Paris.

Carbonell, Ch-O., 1986, *L'Historiographie*, Que sais-je?, Paris.

Charles, R., 1834, *Abrégé de l'histoire ancienne de Rollin*, Lyon.

Chaumant, M. L., 1976, *L'Arménie entre Rome l'Iran ; de l'avènement d'Auguste à l'avènement Dioclétien*, France.

Charlotte, L., « Juba II (roi de Maurétanie, 25 av. J-C- 23 ap. J-C) », Louvre, Département des antiquités grecques, étrusques et romaines : Art romain, Paris,

Christa, L., 2007, « Les portrais de Juba II, roi de Maurétanie, et Ptolémée, son fils successeur », *R.A*, France.

Charlet, J., 1994, « Corippe », *E.B*, France.

Conrad, M. B., 1840, *Précis de la géographie universelle ou description de toutes les parties du monde*, France.

Conrad, M. B., 1838, *Histoire générale d'Espagne*, Paris.

Conrad, M. B., 1826, *Oeuvres completes de Rollin*, France.

Coltelloni-Trannoy, M., 1997, *Le royaume de Mauritanie sous Juba II et Ptolémée (25 av.J-C-40 ap.J-C)*, France.

Coltelloni-Trannoy, M., 2003, « Juba », *E.B*, France.

Damichel, O., 1921, « Thapsus », *B.S.G*, Paris.

De Verneuil, B., 1870, Bugnot, J., *Esquisse sur la Mauritanie et Césarienne et Iol Casaerea*, Alger.

Didot, F., 1854, *Nouvelles biographie : depuis les temps les plus reculés jusqu'à nos*, Paris.

Dubois, F-R., 2013, « Le biographique partout, tout le temps – point d'interrogation », *Acta fabula*, 14, n°3.

Durkheim, E., 1883, *Le rôle des grande hommes dans l histoire*, Québec.

Duruy, V., 1890, *Histoire romaine*, Paris.

Eugene, C., 1993, « A propos de quelque vies de Suétone », *Vita Latina.*

Eugene, G., 1899, *Excursion dans la péninsule ibérique, Espagne et Portugal*, Paris.

Eugène, N., 1889, *Histoire de la littérature grecque depuis ses origines jusqu'au Vie de notre ère*, Paris.

Ernest, M., 1888, *Histoire de l'Afrique septentrionale (Berbérie) depuis les temps les plus reculés jusqu'à la conquête française (1830)*, Paris.

Fantar, M. H., 1970, *Carthage la prestigieuse cité d'Elissa*, Tunisie.

Février, P. A., 1989, *Approches du Maghreb romain. Pouvoirs, différences et conflits,* France.

Fernand, J-C., 2002, « Pierre Bourdieu (1930-2002) », *R.F.P*, France.

Fethi, C., Roland, P., 1995, « La baie d'Utique et son évolution depuis l'antiquité », *Ant.Afr,* France.

Fishwick, D., 1985, « Le culte impérial sous Juba II Ptolémée de Mauritanie : le témoignage des monnaies », *BCTHS*, France.

Gaïd, M., 2009, *Aguellids et romains en Berbèrie*, Algérie.

Gaïd, M., 2009, *Les Berbères dans l'histoire de la préhistorique à la Kahina,* Alger.

Georges, D., 1892, Paul, G., *Description de l'Afrique du nord. Musées et collections archéologiques de l'Algérie et de la Tunisie,* Paris.

Görlitz, J. A., et autres, 2000, *Dictionnaire des philosophes antiques,* Paris.

Gsell, S., 1927, *Histoire ancienne de l'Afrique du nord,* Paris.

Gsell, S., 1927, « Juba II savant et écrivain », *R.Afr,* Alger.

Henri, W., 1865, *Promenade en Europe et au-delà,* Paris.

Houle, G., 1997, *La sociologie comme science du vivant : l'approche biographique*, Paris.

Jacques, B., 1806, *Annibal à Carthage après la bataille de Zama,* Paris.

Jean, D., 2013, « Strabon (-65env.-env.25) », *Encyclopaedia Universalis.*

Josèphe, F., 1911, *Œuvres complètes,* Trad. T. Reinach, Paris.

Joaquim, B. C., 1972, *La traduction espagnol du «De situ orbis » de Pomponius Mela par Me Joan Faras et les notes marginales de Duarte Pacheco Pareiera,* Ecole pratique des hautes études 4e section sciences historiques philosophiques, France.

Julien, Ch., 1978, *histoire de l'Afrique du nord. Des origines a la conquete arabe,* Alger.

Justin, M., 1838, *Diptères exotiques nouveaux ou peux connues,* Paris.

Kadra, H., 2013, *Massinissa le grand africain,* France.

Lacheraf, M., 1998, *Des noms et des lieux. Mémoire d'une Algérie oubliée,* Alger.

Lanier, L., 1884, *L'Afrique,* Paris.

Legrand, M., 1992, *L'Approche Biographique : Théories, Méthodes, Pratiques*, Paris.

Levallois, A., 2002, « Le retour la biographie historique. L'histoire et la psychanalyse s'y rejoindraient-elles ? », *L'Homme et la société*, n° 146, France.

Leveau, P., 1992, « Caesarea Mauretaniae », *E.B,* Paris.

Lucas, A. J., 1931, « Considération sur l'ethnique maure et en particulier sur une race ancienne les Bafours », *J.S.A.*

Maud, E., 2007, *Le livre V des guerres civiles d'Appien d'Alexandrie,* Thése en langues et littérature greques, Univrsité Nancy, Ecole doctorale, HISCANT, France.

Mahfoud, F., 2009, *Les rois africains de l'antiquité, nos ancêtres les rois numides les aguellids des imazighen (du 3 siècle avant J-C. au 1 siècle après J-C),* Alger.

Maurice, B., 1886, *expédition française en Tunisie,* Paris.

Mazarin, P., 1924, « tout-Ankh-Amon et Juba II », *La vie algérienne, tunisienne et marocaine,* Alger.

Merlin, A., 1944, « La véritable portée du périple d'Hannon (Jérôme-Carcopino le Maroc antique) », *Journal des savants.*

Meynier, G., *2007*, *L'Algérie des origines de la préhistoire à l'avènement de l'islam, Alger.*

Prost, A., 1996, *Douze leçons sur l'histoire*, Paris.

Rabanit, H., 1920, « Sur la numismatique au Maroc », *France-Maroc,* Rabat.

Rousseau, J. J., 1925, *Les confessions,* Paris.

Salmon, P., 1969, *Histoire et critique,* Bruxelles.

Stora, B., 1985, *Dictionnaire biographique de militants nationalistes algériens,* Paris.

Victor, L., 1927, « Tacfarinas sous Tibère », *La revue française de Prague*, France.

Visconti, E. C., 1820, Frédéric, C., *Description des antiques du musée,* Paris.

Waelkens, M., 1982, « Gabriel Camps, berbères aux marges de l'histoire », *A.C.*

Werner, J. F., 1991, *Approche biographique et construction anthropologique de la marge,* Thèse (Ph.D) en anthropologie, Université de Montréal.

Wikipédia, *« Béja », du lien :* http://fr.wikipedia.org/wiki/B%C3%A9ja

Zarini, V., 1986, « La préface de la Johannide de Corripe, certitude et hypothèses », *R.E.Aug*.

فهرس المحتوى

مقدمة 01

فـصل تمهيدي

توظيف المقاربة البيوغرافية لدراسة ملوك شمال إفريقيا: ماسينيسا و يوبا الثاني

1- مفهوم البيوغرافية.....10
2- المقاربة البيوغرافية بين المؤيدين و المعارضين لها.....16
3- تطورالكتابات البيوغرافية.....19
أ- الكتابة البيوغرافية من العصور القديمة إلى القرن التاسع عشر.....19
ب- ثانيا: الكتابة البيوغرافية من أواخر القرن التاسع عشر إلى منتصف القرن العشرين.....23
ج- الكتابة البيوغرافية منذ منتصف القرن العشرين.....24
4- أساليب كتابة سيرة.....24

الفـصل الأول

ماسينيسا في المصادر الأدبية و الأثرية

1- تسمية ماسينيسا.....30
2- ماسينيسا في المصادر.....34
أ- المصادر الأدبية.....34
ب- المصادر الاثرية: النقوش والرسوم.....61
3- دور الحروب البونيقية في تسليط الأضواء على شخصية ماسينيسا.....68
أ – انقلاب التحالفات بين ماسينيسا و قرطاجة و روما.....71
ب – ماسينيسا و حلم استرجاع قرطاجة أو طموح ماسينيسا.....73
4- علاقات ماسينيسا بالعالم الإغريقي.....78
5- علاقاته مع العالم الإيجي.....81
6- ماسينيسا بين الأسطورة و الحقيقة.....83

الفصل الثاني
يوبا الثاني ملك موريطانيا

1- التعريف بمملكة موريطانيا.....87
2- أوضاع إفريقيا قبيل فترة يوبا الثاني.....98
3- بيوغرافية يوبا الثاني.....105
4- أعمال يوبا الثاني العلمية.....119
5- نهاية مملكة موريطانيا.....126

الخاتمة.....131

المصادر والبيبليوغرافيا.....136

فهرس المحتوى.....148